اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الكوفة – كلية الآداب

قسم اللغة العربية

جوابات الإمام علي(عليه السلام) في نهج البلاغة ومستدركه
(دراسة تداولية)

أطروحة قدَّمها

الطالب مهند بديع ناجي الخفاجي

إلى مجلس كلية الآداب - جامعة الكوفة

وهي من متطلبات شهادة الدكتوراه في

اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور حسن عبد المجيد الشاعر

١٤٣٩هـ ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ

يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾

صدق الله العلي العظيم

المائدة:٥٥

إقرار المشرف

أشـهد بـأن إعـداد هـذه الرسـالة قـد جـرى بإشـرافي، بمراحلهـا كافـة، وأرشـحها للمناقشة.

الإمضاء:

المشرف

الاسـم:أ.د. حسن عبد المجيد الشاعر

التاريخ: / /٢٠١٧

بناءً على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة.

الإمضاء:

الاسم: أ.د. على كاطع

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / /٢٠١٧

الإهداء

إلى اللّذين قال الله تعالى فيهما:

﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾

الرعد: ٧

إلى من فتح بتضرعه أبواب السماء ... أبي العزيز

إلى من حملتني وهنا على وهن ... أمي الحنونة

الى الملاذ والعطاء الذي لا ينضب ... زوجتي الغالية

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

مهند

المحتويات

الموضـــوع	الصحيفة
المقدمــة	١_٤
التمهيــد:	٧_٢٢
أولاً: مفهوم الجواب:	٧_١٥
١. الجواب لغة واصطلاحا.	٧_١١
٢. الجواب وما يشتق منه.	١١-١٢
٣. توظيف مصطلح (الجوابات).	١٢-١٥
ثانياً: مفهوم التداولية:	١٧-٢٢
١. التداولية لغة واصطلاحا.	١٧-١٩
٢. أهميتها.	٢١-٢٢
٣. درجات التداولية.	٢٢-٢٢
الفصل الأول: الإشاريات في جوابات الإمام علي(عليه السلام)	٢٤-٦٨
مفهوم الإشاريات.	٢٥-٢٩
تعريف الإحالة.	٢٩-٣١
أقسام الإشاريات:	٣١-٣٣
أولا: الإشاريات الشخصية.	٣٣-٥٢

الموضــوع	الصحيفة
ثانيا: الإشاريات الزمانية.	٥٢ _ ٦٢
ثالثا: الإشاريات المكانية.	٦٢-٦٨
الفصل الثاني: الأفعال الكلامية في جوابات الإمام(عليه السلام)	٧٠-١١٨
١. مفهوم الفعل الكلامي	٧٨-٨٠
٢. أصناف الفعل الكلامي.	٨٠-٨٤
أولا: الفعل الكلامي المباشر:	٨٤-١١٨
١. الإخباريات.	٨٥-٨٩
٢. التوجيهيات.	٨٩-١١١
٣. الالتزاميات.	١١١-١١٥
٤. التعبيريات.	١١٥-١١٨
٥. الإعلانيات.	١١٨-١١٨
ثانيا: الفعل الكلامي غير المباشر.	١١٨-١١٨
الفصل الثالث: الحجاج في جوابات الإمام علي(عليه السلام)	١٢٠-١٨٠
أولا: مفهوم الحجاج.	١٣٣-١٤٠
ثانيا: تقنيات الحجاج	١٤٠-١٥٥
١. الأدوات اللغوية:	١٤١-١٥٥
أ. ألفاظ التعليل:	١٤١-١٤٦
– المفعول لأجله.	١٤١-١٤٣
– اللام.	١٤٣-١٤٤
– كي.	١٤٥-١٤٦
ب. تحصيل الحاصل	١٤٨-١٥٠

الموضــوع	الصحيفة
٢. التقنيات البلاغية:	١٣٧-١٦١
أ. تقسيم الكل الى أجزائه.	١٣٨-١٤١
ب. التشبيه.	١٤١-١٤٥
جـ. الاستعارة.	١٤٥-١٤٧
د. الكناية.	١٤٨-١٤٩
هـ.البديع.	١٥٠-١٦١
• السجع.	١٥٠-١٥١
• الطباق.	١٥٢-١٥٣
• الاقتباس والتضمين.	١٥٣-١٥٨
• التقسيم.	١٥٨-١٦٠
• العكس.	١٦٠-١٦١
٣. السلم الحجاجي.	١٦١-١٧٩
أ. أدوات السلم الحجاجي:	١٦٣-١٦٨
– الأدوات اللغوية:	١٦٣-١٦٨
١. الروابط النحوية.	١٧٩_١٨٥
– لكن.	١٦٤_١٦٥
– بل.	١٦٥-١٦٧

الموضـــوع	الصحيفة
– حتى.	١٦٧-١٦٨
٢. العوامل الحجاجية:	١٦٨-١٧٠
٣. السمات الدلالية.	١٧٠-١٧٢
٤. درجات التوكيد.	١٧٢-١٧٣
ب. تقنيات السلم الحجاجية:	١٧٤-١٧٦
١. التعدية بأفعل التفضيل.	١٧٤-١٧٦
٢. صيغ المبالغة.	١٧٧-١٧٨
٣. فحوى الخطاب	١٧٨-١٨٠
الخاتمة.	١٨١_١٨٤
المصادر والمراجع.	١٨٥_٢٠٣
ملخص باللغة الإنجليزية.	

المقدمة

الحَمْـدُ للهِ الَّـذَي لاَ يَبْلُـغُ مِدْحَتَـهُ القَـائِلُونَ، وَلاِ يُحْصِـي نَعْمَـاءَهُ العَـادُّونَ، ولاَ يُـؤَدِّي حَقَّـهُ الُمجْتَهِدُونَ، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على حبيبه المختار الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الكرام الغر الميامين.

أما بعد فإن نصوص كتاب نهج البلاغة ومستدركه تُعدُّ نصًّوصا زاخرة ومعيناً ثرّاً للبحث والدراسة من جوانب مختلفة، فهي تمتلك سيرورة معنوية، وإشعاعاً دلالياً لا ينتهي، وهي معجزة الإمام الخالدة، والإبداع الأوّل للعربية والأمثل لها بعد القرآن الكريم، فقد جاءت تلك النصوص رصينة في مبانيها وبحسبان هذه القيمة الجليلة التي تتحلى بها هذه النصوص، ودَّ الباحث الخوض في موضوع يُبيِّن وجها من الوجوه المشرقة التي أنارت السبل للدارسين وهو((**جوابات الإمام علي في نهج البلاغة ومستدركه دراسة تداولية**))؛ نظرا لكثرة جوابات الإمام وتنوعها في النهج ومستدركه ولاسيما في المدة التي نُصِّب بها الإمام خلفية للمسلمين إذ كثرت فيها الاضطرابات والاتجاذبات والأحداث السياسية المتقلِّبة فكان الغرض من الدراسة هو الوقوف على مدونة من مدونات هذه الكتب القيِّمة، وهي مدونة الجوابات الصادرة عن الإمام، فيلحظ في الوقت الحاضر إقبال الباحثين على الدراسات التي تخص المناهج اللسانية الحديثة، ونظريات النقد الحديث، التي لم تكتفِ بالوقوف على تفسير النصوص بالطريقة التقليدية، أو الوقوف على الدلالات الأولية لها، بل تتعداها إلى البحث عن الدلالات الكامنة خلف بعضها، واستكناه ما لم يصرّح به النص؛ طلباً للدلالة العميقة فيها. وتأسيسا على هذا وقع اختياري على النظرية التداولية، التي تجمع بين أدوات اللغة وأساليبها المختلفة فضلا عن البلاغة في دراسة النص ثمّ تقديم رؤية متكاملة في البحث والدراسة.

وقد تحدّدت هذه الدراسة في مجموعة من الجوابات الواردة في النهج ومستدركه، التي تنوّعت تنوّعاً ملحوظاً؛ يتسق مع المعاني، التي سيقت لبيانها، وتُعدّ هذه الدراسة مكملةً لحلقة من الدراسات والبحوث، التي اهتمت دراسة النهج في ضوء المنهج التداولي، كدراسة ((**سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الإمام علي ابن أبي طالب**))، وهو بحث منشور للباحث **دراجي صافيه** من الجزائر، و((**وظيفة الحجاج في نهج البلاغة قراءة في الأنماط والدلالات**))، وهو بحث للباحِثَين **هادي شندوخ حميد السعيدي، وحيدر برزان العكيلي** من كلية الآداب جامعة ذي قار، و((**تقنيات الحجاج في نهج البلاغة**))، وهو بحث منشور للأستاذ **مؤيد آل صوينت** من العراق، و((**أفعال الكلام للإمام علي في نهج البلاغة دراسة تداولية**))، وهي رسالة ماجستير للباحثة

أحلام صولح من الجزائر، إذ درست فيها الأفعال الكلامية في نهج البلاغة بالاستعانة بالجداول، ومقلعة عن التحليل التداولي المعهود للنصوص، و((**الاستلزام الحواري في خطب نهج البلاغة الطوال دراسة تداولية**)) وهي رسالة ماجستير للباحث **علي عباس فاضل الربيعي** من جامعة كربلاء في كلية التربية للعلوم الإنسانية التي اقتصر فيها الباحث على دراسة الاستلزام الحواري في تلك الخطب دراسة في ضوء الإطار التداولي و((**الأبعاد التداولية في نهج البلاغة**)) وهي أطروحة دكتوراه للباحثة **يسرى خلف سمير السعيدي** من الجامعة المستنصرية كلية التربية التي تزامنت مع أطروحتي ومن ثمَّ فهذه الدراسات متفرقة بحسب ما هو ملاحظ فبعضها يدرس أفعال الكلام وبعضها يتناول الحجاج فضلا عن اقتصارها على كتاب النهج من دون سواه من المستدركات الأخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسات لم تلتقِ بالبحث ما خلا بعض الخطوط العامة، فقد حاولتُ جاهدا ألَّا أكرر ما سبق تناوله بالبحث والدراسة، والذي أعانني على ذلك أنّ جوابات الإمام في نهج البلاغة ومستدركه لم تُدرس دراسة تداولية، فلم يدرسها باحثٌ من هذه الوجهة؛ لذا شرعت بدراسة الجوابات العلوية الواردة في النهج والكتب المستدركة عليه.

وقد عكفت على استقراء جوابات الإمام من كتاب نهج البلاغة وما استدرك عليه، فجمعت مدونةً غنيةً وكبيرةً للبحث.

ومن ثمَّ اقتضت خطة الدراسة تقسيمها على ثلاثة فصول، سُبقت بتمهيدٍ، وخُتمت بخلاصة تضمنت أبرز ما توصل إليه البحث من نتائج.

وقُسِّم التمهيد على محورين:

أما الأول فحمل عنوان **(مفهوم الجواب)** وكان على ثلاثة محاور درس المحور الأول مفهوم الجواب في اللغة والاصطلاح ودرس المحور الثاني مفهوم الجواب وما يُشتق منه على حين درس الثالث مصطلح الجوابات ومسوغ توظيفه في البحث.

أما الثاني فوسم بـ**(مفهوم التداولية)** وهو على ثلاثة محاور الأول تحدث عن مفهوم التداولية في اللغة والاصطلاح، وعرض الثاني الى الحديث عن أهمية التداولية ووقف الثالث على الحديث عن درجات التداولية.

درس الفصل الأول، الذي وسم بـ(**الإشاريات في جوابات الإمام علي**عليه السلام) مفهوم الإشاريات وتقسيماتها ثم انتقل الى دراسة محاوره الرئيسة الثلاثة المتمثلة بالإشاريات الشخصية،

والإشاريات الزمانية، والإشاريات المكانية، وكيفية توظيفها في جوابات الإمام، وما الدلالة التي قدَّمَتها بحسبان ظروف السياق التي ذكرت فيها.

وعُقد الفصل الثاني، الذي عُنونَ **بـ(الأفعال الكلامية في جوابات الإمام علي عليه السلام)** للحديث عن الأفعال الكلامية من حيث المفهوم والنشأة فضلا عن المحورين الرئيسين للفصل، المتمثلين بالأفعال الكلامية المباشرة بأقسامها الخمسة بحسب تصنيف **سيرل: (الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات)**، تحدثنا فيها عن كل صنف من هذه الأصناف ودراسته وبيان الصورة التي وردت عليها في جوابات الإمام(عليه السلام) وما امتلكت من طابع إنجازي فضلا عن إحداث التأثير في المخاطَب، على حين تمثل المحور الثاني في تناول الأفعال الكلامية غير المباشرة الواردة في جوابات الإمام وما تحمله من قوة إنجازية بالوصول الى المعنى المقصود، الذي يتم الوصول اليه بالمعنى الظاهر المنطوق ثمّ معرفة القوة الإنجازية والتأثيرية له.

وتكفَّل الفصل الثالث، الذي حمل عنوان **(الحجاج في جوابات الإمام علي عليه السلام)** بالكشف عن التقنيات والأساليب التي أوردها الإمام في محاجَّاته مع المخاطَبِين على اختلاف صورهم وتوجهاتهم وميولهم ومعتقداتهم وتم التطرق فيه الى مفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح ثم تناول آليات الحجاج، التي تتمثل في محاور ثلاثة: الأدوات اللغوية، والتقنيات البلاغية، والسلم الحجاجي.

وقد تنوّعت المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها تنوّعاً كبيراً بحسب نوع الدراسة التي لم تقف على حدود ظاهرة لغوية بحدّ ذاتها فقد اعتمدت على المعاجم اللغوية والاصطلاحية، ومصادر اللغة والبلاغة بأنواعها، ومصادر اللسانيات المعاصرة ولاسيما كتب التداولية، وقد أفدت من عددٍ من المراجع الأجنبية المترجمة، التي لا غنى للبحث عنها، فضلاً عن عددٍ من الأطاريح والرسائل الجامعية، والبحوث.

وأخيراً أرى من الواجب عليّ أن أتقدّم بخالص شكري وامتناني إلى الدكتور **حسن عبد المجيد الشاعر**؛ لإشرافه على أطروحتي التي أثراها بتوجيهاته السديدة، فكان لي معلما نصوحا وموجها رشيدا، وكان نعم العالم، والمرشد المقوّم، فأسأل الله له الصحة والعافية، وجزاه الله عني وعن العربية خير جزاء المحسنين.

وختاماً أقول لقد سعتْ هذه الدراسة لتحقيق الأهداف المرجوة منها ما استطاعت اليها سبيلا، فإن تجلت منها الفائدة فللّه يعود الفضل في ذلك، وإن بان منها النقص فمن نفسي وأكون قد نلت شرف المحاولة فالكمال لله وحده، وقد قال **العماد الأصفهاني** (ت٥٩٧هـ): ((إني رأيتُ أنّهُ لا

يكتبُ أحدٌ كتاباً في يومه...إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيِد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل... وهذا من أجمل العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملةِ البشر))،(خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٥٩٧هـ): ١/٥).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الباحث

مهند بديع ناجي

التمهيد

أولاً: مفهوم الجواب:

١. الجواب لُغةً واصطلاحاً.

٢. الجواب وما يُشتق منه.

٣. توظيف مُصطلح(الجوابات).

ثانياً: مفهوم التداولية:

١. التداولية لغةً واصطلاحاً.

٢. أهميتها.

٣. درجات التداولية.

أولاً: مفهوم الجواب

١.الجواب لغةً واصطلاحاً.

٢. الجواب وما يُشتق منه.

٣. توظيف مُصطلح(الجوابات).

أولاً: مفهوم الجواب

١ .الجواب لغة واصطلاحا.

الجواب في اللغة:

ذكر **ابن فارس(ت٣٩٥هـ)** في مادة (جَوَبَ) أنّ: ((الجيم والواو والباء أصل واحد، وهو خَرْقُ الشيء. يقال جُبْتُ الأرضَ جَوْبا، فأنا جائبٌ وجَوّابٌ))[١]، وأنَّ له أصل آخر، وهو: ((مراجعةُ الكلام، يقال كَلَمَهُ فأجَابه جوابًا، وقد تَجَاوَبَا مُجاوَبَة. والمجابَةُ الجواب))[٢]، وهو ((من أجَابَ يُجِيب، ويقال: هل عندك جابيةُ خبر؟ أي: خبرٌ ثابت. والجميع: الجَوائِب، ويقال الجوائب: الغرائب من الأخبار، وجابيةُ خبر، أي محمولة من أرض الى أرض بعيدة، أي: قد جَابَت البلاد))[٣].

ونقل **الأزهري(ت٣٧٠هـ)** قول الفراء(ت٢٠٧هـ) مبيّنا لفظة (جَابُوا) في قوله تعالى: ﴿**وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ**﴾[٤] ((قال الفّراء: جَابُوا: خرقوا الصخر، فاتخذوه بيوتاً فارهين، ونحو ذلك))[٥]، و((المِجْوَب : الذي يُجابُ به))[٦] .

أما **الصاحب بن عباد(ت٣٨٥هـ)** فيقول: ((الجواب: رديد الكلام، أجَابَ يُجِيب ومثلٌ (أساء سمعاً فأساء جابةً) و (إجَابَةً) وإنه لَحَسَنُ الجِيْبَةِ والجابَةِ: أي الجَوَابِ))[٧].

وقال **الزمخشري (ت٥٣٨هـ)** عن (جوب) : ((جَابَ الثَّوبَ واجتَابَه: قَطَعَهُ، واستَجَابَ الله دُعَاءَهُ، ومن المجاز: جَابَ الفلاة واجتَابَها، وَجَابَ الظّلام))[٨]، و((المُجَاوَبَة والتَجَاوب يعني: التَّحَاوُر))[٩].

---

[١] **مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (جوب): ٤٩١/١.**

[٢] **نفسه.**

[٣] **العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، (جوب): ٦ / ١٩٢-١٩٣.**

[٤] **الفجر : ٩.**

[٥] **تهذيب اللغة، الأزهري، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، (جوب): ٣ / ٢٦١.**

[٦] **المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، ، (جوب): ٥٦٧/٧.**

[٧] **المحيط في اللغة، تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (جوب): ٧/ ٢٠٢.**

[٨] **أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ، (جوب): ١٣٥/١-١٥٤.**

[٩] **مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر الرازي(ت٦٦٠هـ)، (جوب): ١٠٢.**

وذكر **الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)** أن:((الإجاب والإجَابَة والجَّابَة والمَجُوبَةَ والجِيبةَ، بالكسر: الجواب))[١]. و((الجَوْبُ: درعٌ تلبسه المرأة، وجبتُ المفازة: أي قطعتها، واجتبتُ الظَّلامَ والقميص، أي قطعتهُ. والجواب: رديد الكلام. تقول :(اساء سمعاً فأساء جابةً)[٢].

وقال صاحب **(لسان العرب)** عن (جَوَبَ): ((في أسماء الله المَجيبُ، وهو الذي يقابل الدعاء، والسؤال بالعطاء والقبول سبحانه وتعالى، وهو اسم فاعل من أجابَ يُجِيبُ ... تقول: أَجَابَه عن سؤاله، وقد أَجَابه إِجَابَة، وإِجَاباً وجابةً، واسْتَجْوَبَه. واسْتَجَابَه، واسْتَجَابَ له))[٣].

وذكر **سيبويه (ت١٨٠هـ)** أنّ أجابَ من الأفعال التي استُغني فيها عن (ما أفعَلَه) ، وعن هو أَفْعَلُ مِنْكَ، فيقولون: ما أجوَدَ جَوَابَهُ، وهو أجود جَوابًا، ولا يقال: ما أَجْوَبَهُ ولا هو أَجْوَبُ منه، وكذلك يقولون: أَجْوِدْ بجوابه، ولا يُقال: أَجْوِبْ به[٤].

وبالنظر الى ما جاء في المعجمات العربية نجد أن لفظة **(الجَواب)** قد تقلبت في معان عدة وصولا الى المعنى المتعارف عليه اليوم وهو ردّ الكلام وقطع الشيء، وهذا يتماشى مع مفهوم الجواب؛ لأن الجواب قائم على الرد وقطع الشيء ومن ثمَّ فالجواب يقطع السبيل على السائل فلا يدع له المجال لكي يزيد في كلامه؛ ولاسيما أذا سأل عن شيء ما؛ فانه يريد به الوصول الى ضالته أو ما يفكر فيه ويدور في ذهنه، وبحسب هذا ينتفي الغرض من الكلام ما إن يحصل المتكلم على الجواب.

أما في الاصطلاح:

فلم يجد الباحث بين طيات الكتب القديمة أو الحديثة من يعرِّف بالجواب تعريفا اصطلاحيا وافيا أو يفرد له جانبا خاصا مع أن العنوان يبدو وللوهلة الأولى في متناول اليد ولكن سرعان ما تتلاشى هذه الحقيقة ويزول هذا الاعتقاد، والسبب يردّ الى أن ما ذكر عن الجواب في مضانّ الكتب سواء أكانت لغوية أم غيرها لا يعدو أن يكون لمحات وإشارات مقتضبة لا يجمعها علم معين أو كتاب واحد ولا تقدم لنا تعريفا وافيا لمفهوم الجواب، فهذا **ابن عبد ربه (ت٣٢٧هـ)** يسمي بابا من أبواب عقده بـ**(كتاب المجنبة في الأجوبة)** إذ يصف فيه الجوابات بقوله: إنها ((أصعب الكلام كله مركبا، واعزّه مطلباً، وأغمضه مذهباً، وأضيقه مسلكاً؛ لأنَّ صاحبه يعجل

---

(١) القاموس المحيط، تح: مؤسسة الرسالة، (جوب):٧٠.

(٢) ظ: مجمع الأمثال، الميداني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٣١/١، ويروى هذا المثل أيضاً : أساء أساء سمعاً فأساء إِجابةَ، ظ: تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: علي هلالي، (جوب): ٢٠١/٢.

(٣) ظ: لسان العرب، : ٤٠٣/٢ (جوب).

(٤) ظ: كتاب سيبويه، ابو بشر سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون: ٩٩/٤ . ولسان العرب، (جوب): ٤٠٤/٢.

مناجاة الفكرة واستعمال القريحة؛ يروم في بديهة؛ نقض ما أبرم القائل في رويةّ))[1]، ويتضح من قوله أنه يقصد الجواب الذي يحدث مشافهة بين المتحاورين وما يتطلبه من بديهة وصفاء قريحة والدليل على أنه قصد به الجواب الشفاهي أنه عمد بذكر بعضا من الأمثلة على ذلك.

ونجد **الزجاجي (ت٣٤٠هـ)** يطلق اسم **(الأجوبة المسكتة)** في أماليه على الأجوبة التي ينقطع بها الكلام ويورد مثالين لذلك[2]، وهي تُقنع المخاطب وتسكته لما تحويه من دليل وحجة دامغة لا يكون معها كلام فلا يكون كل جواب مسكتا فهناك أجوبة تكون الحجة فيها ضعيفة وغير مقنعة فحينما يتلقاها المخاطب تراه يردف سؤاله الأول بسؤال آخر؛ لأن الجواب لم يكن جواباً مقنعا أو تاماً عنده فلا يعطيه تصوراً كاملاً عن جانب الموضوع المسؤول عنه.

وهناك كتب أخرى حملت عنوان **(الأجوبة المسكتة)** لعل أهمها كتاب الأجوبة المسكتة، **لابن أبى عون الكاتب (ت٣٢٢هـ)**، والاجوبة المسكتة، **لعلي عبد عيدان الخزاعي**، والأجوبة المسكتة، **لمحمد سعيد العاني** وغيرها حيث عمد فيها مؤلفوها الى الحديث عن الأجوبة المسكتة وإيراد النماذج والأمثلة عليها من دون أن يعرِّجوا على مفهوم الجواب أو يُبينوا ماهيته من أجل ترسيخ مفهومه.

وكان **ابن السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)** قد وضع لأحد فصول كتابه**(اللمع)** عنواناً هو **(كتاب المسائل واختلاف أقاويلهم في الأجوبة)**، فقد أخذ بذكر جملة من المسائل الفقهية وبين أجوبة الصوفية فيها وهو بذلك لم يعطنا مفهوم الجواب بداية مما يجعل مفهوم الجواب عائما من دون تقييد او إيضاح[3].

ويذهب **أبو حيان التوحيدي (ت٤١٤هـ)** الى ذكر سمات الجواب في كتابه **(الإمتاع والمؤانسة)** نقلا عن بعضهم قائلا : إن ((أحسن الجواب ما كان حاضراً مع إصابة المعنى، وإيجاز اللفظ، وبلوغ الحجة))[4]، ثم يعمد الى شرح ذلك بقوله: ((أما حضور الجواب فليكون الظفر عند الحاجة، وأما إيجاز اللفظ فليكون صافياً من الحشو، وأما بلوغ الحجة فليكون حسماً للمعارضة))[5]. وهو هنا لا يختلف عن سابقيه إذ اكتفى بوصف الجواب وأحسنه من غير إيضاح لماهيته. فضلا عن أن كتابه **(الهوامل والشوامل)**، الذي يقوم أساسا على السؤال والجواب، الذي توجه فيه **التوحيدي** بسؤال صاحبه **مسكويه(ت٤٢١هـ)** عن مسائل متنوعة في

---

(١) العقد الفريد، تح: د.مفيد محمد قميحة:٤/٨٩.

(٢) أمالي الزجاجي، تح: عبد السلام هارون: ١٤١.

(٣) ظ: اللمع، تح: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور: ٢٨٣-٢٨٨.

(٤) الإمتاع والمؤانسة، تح: احمد أمين واحمد الزين: ٣ / ١٦٣.

(٥) ظ: الإمتاع والمؤانسة:٣ / ١٦٣.

مختلف العلوم والموضوعات، التي بلغ عددها مائةً وخمساً وسبعين مسألة، وكان **مسكويه** يجيبه عن جميع تلك المسائل[١]، وعلى الرغم من هذا لم يقدم الكتاب مفهوما عن الجواب ولم يبحث في ذلك أصلا.

على حين يُلاحظ عند **الراغب الاصفهاني(ت٥٠٢هـ)** في كتابه**(المفردات في غريب القرآن)** شيئ يشبه التعريف الاصطلاحي للجواب، ولكنه غلب عليه الطابع الوصفي إذ قال:((وجواب الكلام هو ما يُقطَعُ الجَوبُ فَيَصِلُ من فَم القائل إلى سَمع المُستمع، ولكن خُصَّ بما يعُودُ من الكلام دون المُبتدأ من الخطاب))[٢]. أي إن الجواب يكونُ انتهاءً وتابعه **الفيروز آبادي** بقوله: ((الجواب يكون انتهاءً والسؤال يكون ابتداءً))[٣]. أي: لا بد من أن يكون هنالك سؤال كي يردفه الجواب.

ولعل **الزركشي (ت٧٦٤هـ)** في كتابه **(البرهان في علوم القرآن)** أكثر من ذكر الجواب ومثَّل له من القرآن الكريم. وقد تحدَّث عنه قائلا: إن ((الأصل في الجواب أن يكون مطابقاً للسؤال، إذا كان السؤال متوجهاً، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال تنبيها على انه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السَّكَّاكي (الأسلوب الحكيم)[٤]، وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال وأغفله المتكلم، وقد يجيء انقص لضرورة الحال))[٥].

وبالعرض الموجز لعدد من الكتب التي ورد فيها مفهوم **(الجواب)** يتبين أن أصحابها لم يعمدوا الى الإشارة لمفهوم الجواب اصطلاحا ولم يذكروا له تعريفا يوضح ماهيته وكنهه وربما يكون السبب في ذلك أنهم عَوَّلوا على المعنى اللغوي المعجمي لمفهومه فبدأوا كتاباتهم بوصف الجواب والتمثيل له متجاوزين بذلك المعنى الاصطلاحي وهذا ما نجده عند **الكفوي(ت١٠٩٤هـ)** أيضا في كتابه **(التعريفات)**، فقد ذكر الجواب بقوله: ((الجواب: هو مشتق من (جاب الفلاة) إذا قطعها، وسمي الجواب جواباً؛ لأنه يتقطع به كلام الخصم، وهو تارة يكون بـ(نعم) وتارة بـ(لا)؛ ويستعمل فيما يتحقق ويجزم وقوعه))[٦].

وعن طريق هذا التعريف نلاحظ بصورة واضحة انصراف اهتمام **الكفوي** الى المعنى اللغوي المعجمي وتعويله عليه وإن اشتمل تعريفه على شيء من المفهوم الاصلاحي بقوله: (لأنه

---

(١) ظ: الهوامل والشوامل:٢١- ٢٢، ٢٦٧-٢٦٨ مثلا.

(٢) المفردات في غريب القرآن، تح: هيثم طعيمي:١٠٧ .

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجّار: ١١٠/١ .

(٤) مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هنداوي:٤٣٦.

(٥) البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم: ٤٢/٤.

(٦) الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري: ٣٥٢.

يتقطع به كلام الخصم)، فضلا عن أنه يقيد الجواب بـ(نعم) أو (لا)، وهذان الحرفان يقتصران على جواب الاستفهام المسمى باستفهام التصديق فقط من دون سواه من الجوابات الاخرى؛ لأنه ليس كل سؤال يُجاب عنه بـ(نعم) أو (لا)، بل تتنوع الأجوبة وتختلف من حيث الاختصار والتفصيل وذلك بحسب نوع السؤال، وأن السائل ليس خصماً دائماً فقد يكون صديقا أو قريبا أو عابرا أو غير ذلك كما سيتضح في جوابات الإمام علي(عليه السلام) لاحقا.

٢.الجواب وما يُشتق منه.

عُلم فيما سبق من الكلام بأن الجواب يعني الرد والقطع وهناك بعض الألفاظ التي تشتق من مفردة **(الجواب)**، وتحمل دلالة الرد أيضا مثل **(الإجابة)**، و**(الاستجابة)** وقد نظر اليهما جملة من اللغوين على أنهما بمعنى واحد[١]، فقولهم: ((استجوبَه واستجابَهُ، واستجابَ له، وتَجاوَبُوا: جاوب بعضهم بعضًا))[٢] فضلا عن أن الإجابة تعني الجواب كما أشرت الى ذلك.

علي حين يوجد في الجانب المقابل من قال بالتفريق بينهما مع قول بعضهم بصحة مجيئهما بمعنى واحد، فقد نُقِل عن **الفراء (ت٢٠٧هـ)، وعلي بن عيسى الربعي(ت٣٢٨هـ)** أنهما قالا: ((إن استجاب أخصّ من أجاب؛ لأنّ استجاب يقال لمن قَبِل ما دُعِي إليه، وأجاب أعمّ، فيقال لمن أجاب بالقبول وبالردّ))[٣]، وعن **الفراء** أيضا قوله: ((إن الإجابة تطلق على الجواب ولو بالرد، والاستجابة: الجواب بحصول المراد؛ لأن زيادة السين تدل عليه إذ هو لطلب الجواب، والمطلوب ما يوافق المراد لا ما يخالفه))[٤]. وعن **الرماني(ت٣٤٨هـ)** أنه فرق بين أجاب واستجاب بأن استجاب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك أجاب؛ لأنه قد يجيب بالمخالفة[٥]. وهذا الاختلاف متأتٍ من اختلاف صيغ المفردات؛ لأن الزيادة والنقصان في المبنى المبنى

يؤديان بالضرورة الى تغيير في المعنى .

---

(١) ظ: نزهة القلوب، السجستاني، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي:١٢٤، وأساس البلاغة، (جوب):١٥٤/١، ومختار الصحاح، (جوب):١٠٢، ، ولسان العرب، (جوب): ٤٠٣/٢، وروح المعاني، ابو الفضل الآلوسي: ١٦٤/١، ١٦٧/٤ .

(٢) القاموس المحيط، (جوب): ٧٠،.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ٢٠٢/٤.

(٤) روح المعاني: ١٦٧/٤.

(٥) ظ: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض: معوض: ١٢٣/٤.

وقد ذكر **أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)** أن ((استجاب: طلب أن يفعل الإجابة؛ لأن أصل الاستفعال لطلب الفعل، وصلح استجاب بمعنى أجاب؛ لأن المعنى فيه يؤول إلى شيء واحد وذلك أن استجاب طلب الإجابة بقصده إليها، وأجاب أوقع الإجابة بفعلها))[١]، فهو يفرق بين الإجابة والاستجابة مع الإشارة الى إمكانية مجيئهما بمعنى واحد.

وتحدث **الراغب** عن الاستجابة بأنها ((هي الإجابة وحقيقتها هي التحري للجواب والتهيُّؤ له، لكن عُبِّرَ به عن الإجابة لقلة انفكاكها منها))[٢] .

وذكر **الطبرسي (ت٥٤٨هـ)** في مواضع من تفسيره أن الإجابة والاستجابة بمعنى واحد، ويردان أيضا بمعنيين مختلفين، إذ معنى: ((استجاب طَلَبَ الإجابة، وأجاب فَعَلَ الإجابة))[٣]، وأنّ ((في الاستجابة معنى الإذعان وليس ذلك في الإجابة))[٤]، وأن ((أجاب تطلق على (الإجابة) بالموافق والمخالف و(استجاب) خاص بالموافق))[٥].

وبهذا يمكن أن نجمل الفرق بين (**الإجابة**) و(**الاستجابة**) فيما يأتي:

أ. الإجابة في اللغة تعني الرد على السائل أو المنادي، تقول: ناداني فلان فأجبته أما الاستجابة فهي تحقيق ما قد طلبته من السائل، تقول: طلب فلان مني أمرا فاستجبت لطلبه، أي: أعطيته ما سأل.

ب. الاستجابة مصدر الفعل (**استجاب**) على زنة (استفعل)، وهي من الأوزان الدالة على الطلب ومن ثمَّ يكون المعنى من الاستجابة هو طلب أن يفعل الاجابة؛ لأن الأصل في الاستفعال هو طلب الفعل ويمكن أن تكون الهمزة والسين والتاء لزيادة التوكيد.

ج. إن معنى استجاب هو حصول المطلوب علي حين أن معنى أجاب هو إعطاء الجواب بنعم أو لا فقد تكون الإجابة بالقبول أو الرفض أما الاستجابة فهي مختصة بالقبول وتلبية المراد.

٣.توظيف مصطلح (الجوابات).

إن استعمال مصطلح (**جوابات**) وتوظيفه في هذه الدراسة من دون مصطلح (**أجوبة**) يردّ الى أن (**أجوبة**) جمع تكسير جاء على وزن (**أفعِلة**) وهذا الوزن من أوزان جمع القلة وإن كان

---

(١) **الفروق في اللغة، أبو هلال العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم: ٢٢٣ .**

(٢) **المفردات في غريب القرآن:١٠٨ .**

(٣) **مجمع البيان، الطبرسي:٢/٢،٣٥٦/١٠٥.**

(٤) **نفسه: ١٥/٢ .**

(٥) **تفسير ابن عرفه، ابو عبد الله بن عرفه، تح: جلال الأسيوطي:٤/٢٢٥.**

الرضي(ت٦٨٨هـ)، في شرح الشافية قد أشار الى مجيء (أفعلة) لجمعي القلة والكثرة[١] غير أن الغالب ورود هذا الوزن في القلة وإذا ما نظرنا في نهج البلاغة ومستدركاته لوجدنا أن أجوبة **الإمام علي**(عليه السلام) وردت في مواطن كثيرة، فهي كثيرة جدا ومن ثمَّ فإنها لا تتماشى مع جمع القلة (**أجوبة**). من هنا جاء توظيف مصطلح (**جوابات**) وعلى الرغم من أنه جمع مؤنث سالم، وجمع المؤنث السالم وكذلك جمع المذكر السالم يعدان من جموع القلة؛ لأنهما((أقرب إلى التثنية، وهي أقل العدد، فوجب أن يكون الجمع المشابه لها بمنزلتها في القلَّة))[٢]. غير أن ذلك مقيد بقيد وهو أن جمعي التصحيح إذا اقترن معهما في السياق جمع آخر يدل على القلة كانت دلالتهما على القلة؛ وأما إذا لم يقترن معهما جمع آخر صح أن تكون دلالتهما على القلة والكثرة وهذا ما تحدده قرينة السياق أو الحال أو غيرهما[٣]، ومن هنا كانت هذه القرينة دليلا مؤيدا لما ذهب اليه الباحث من استعمال مصطلح (**جوابات**) من دون سواه.

ولابد من الإشارة الى أن (**جوابات**) مفردها جواب، وهو مذكر يمكن جمعه على أوزان تكسير وجمع المؤنث السالم قلما يرد فيه جمع التكسير، كما في (بُوانات) التي جمعت أيضًا على (بُوَن)، التي مفردها (بَوْن) وهي المسافة الفاصلة بين شيئين[٤]، وأنَّ ((الجمع بالألف والتاء أصله للمؤنث نحو مسلمة ومسلمات ولا يكاد يجيء الجمع الذي واحدهُ مذكر هذا المجيء إلا ألفاظًا معدودة نحو حمام حمامات))[٥]، ولا بأس في أن يكون (**جوابات**) من بين هذه الألفاظ المعدودة التي تجمع جمع تكسير ومفردها مذكر.

وبناءً على ما تقدم يتضح سبب قلة شيوع مصطلح (**الجوابات**) من دون مصطلح (**الأجوبة**)؛ لأن الأمر ربما يرتبط بالأوزان الصرفية ومن الملاحظ أيضا أنه لم ترد لفظة (**الجوابات**) في التعبير القرآني بهذه الصيغة، وإنما وردت في الاستعمال اللغوي فمن ذلك جوابات **ابن عباس (ت٦٨هـ+)** لسؤالات **نافع بن الأزرق الخارجي (ت٦٥هـ)**، وقد قابل (**الجوابات**) في الاستعمال الفصيح (**السؤالات**) أيضًا.

أما مصطلح (**الجوابات**) من حيث الاستعمال فكان أول من استعمله بدلالته المعروفة مما

---

[١] ظ: شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد: ١٢٩/٢.

[٢] البرهان في علوم القرآن: ٣٥٦/٣ .

[٣] ظ: نفسه.

[٤] ظ: مفتاح العلوم: ١١١.

[٥] درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب ابو عبد الله الخطيب الإسكافي، تح: محمد مصطفى آيدين: ٢٦٠/١.

وصل الينا هو **ابن فارس** وذلك في كتابه **(الصاحبي)**[١]، ومن الجدير بالذكر هو أن هناك من الذين استعملوا مصطلح **(الجوابات)** وقد سبقوا **ابن فارس** زمانا لكن كتبهم لم تصل إلينا وقد أشار اليهم **ابن النديم(ت٣٨٥هـ)** في فهرسته أمثال: **مقاتل بن سليمان(ت١٥٠هـ)** في كتابه**(الجوابات في القرآن)**[٢]، **وابن عيينه(ت١٩٨هـ)** في كتابه **(جوابات القرآن)**[٣]، **وأبو إسحاق بن ابراهيم النظَّام(ت٢٢١هـ)** في كتابه **(الجوابات)**[٤]، **وابن الراوندي(ت٢٤٥هـ)** في كتابه **(النكت والجوابات على المنانية)**[٥].

وقد ذكر محقق كتاب **(تأويل مشكل القرآن)** في حديثه عن مؤلفات **ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)** أن منها **((الجوابات الحاضرة))**[٦] ، وهو مما لم يصل الينا أيضا.

وممن ذكر مصطلح **(الجوابات) الرازي (ت٦٠٤هـ)** في تفسيره إذ قال : ((واعلم أن تمام هذه السؤالات والجوابات))[٧]. **والفيروز آبادي في (بصائر ذوي التمييز)** في الفصلِ الـــذي عقدهُ في أصنافِ الخطاباتِ والجواباتِ التي يشتملُ عليها القرآن[٨]، ومن ثمَّ آثر الباحث استعمال استعمال مصلح (جوابات) جريا على استعمالات بعض العلماء القدماء في تسميه مصنفاتهم أو في أثنائها فضلا عن عدم وجود قرينه تقيده بالقلة فحسب زيادة على أن في استعمال (جوابات) فيه لفت للنظر أكثر من مصطلح أجوبة.

أما فيما يخص جوابات **الإمام علي**(عليه السلام) فهي كثيرة جدا ومتنوعة في النهج والمستدركات عليه ولا سيما في المدة التي تسنم بها **الإمام**(عليه السلام) سدة الحكم، أي: حين بويع بالخلافة سنة (٣٥هـ) حتى استمرت خلافته(عليه السلام) قرابة خمس سنوات وقد شهدت هذه المدة التي قضاها الإمام(عليه السلام) حتى استشهاده كثيرا من الاضطرابات والتجاذبات السياسية فضلا عن حدوث عدد من الوقائع من مثل: واقعة **الجمل، وصفين، والنهروان**، وتكالب المقرَّبون من أصحاب **الإمام** عليه وانقلابهم ضده طمعا منهم بالخلافة، وإنكارهم لأحقيَّته(عليه السلام) بها ناهيك عن معاوية وما كان يحدث بينه وبين **الإمام**(عليه السلام) من مراسلات، فكانت هذه المرحلة مليئة بالجوابات التي كان يردُّ

---

(١) ظ: الصاحبي في فقه اللغة، تح: احمد حسن لبسج: ١٨٦.

(٢) ظ: الصاحبي في فقه اللغة: ٢٢٧.

(٣) ظ: نفسه: ٣٧.

(٤) ظ: الفهرست، تح: رضا محمد تجدّد المازندراني: ٢٠٦.

(٥) ظ: نفسه: ٢١٧.

(٦) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: السيد أحمد صقر: ٢٩ .

(٧) التفسير الكبير(مفتاح الغيب)، : ١٤/١٥ .

(٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجّار: ١٠٨/١ .

بها **الإمام** على أصحابه تارة وعلى أعدائه تارة أخرى فقد سلك **الإمام**(عليه السلام) طريق الحق داعيا الى المساواة بين أفراد المجتمع ساعيا الى تخليصهم من العبودية محافظا على بيت المال من أن يُعبث به في غير مصلحة المسلمين فكان هذا الطريق وعرا جدا ذاق به الأمرَّين؛ لأنه ضرب بذلك كثيرا من مصالح المنتفعين بفوضى السياسات السابقة فكان(عليه السلام) كثيرا ما يتعرَّض للاتهام والاستفزاز من المتطفِّلين الذين تمكَّن الشيطان من عقولهم فانتزعها فأصبحوا مسيَّرين بلا عقل فضلا عمن كان يقطع عليه خطبه أحيانا ممن أنكر خلافته كل ذلك وغيره جعل **الإمام**(عليه السلام) يضطر الى الدخول معهم في جدال رادًّا أباطيلهم ومظهرا لهم الحقيقة ومبينا لهم جادَّة الصواب والطريق القويم هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كان(عليه السلام) يتعرَّض للسؤال من أصحابه وغيرهم ممن يدخلون المسجد للتَّعبد فيتوجَّهون له بالسؤال لمعرفتهم بما يحمله **الإمام**(عليه السلام) من علم غزير، ومعرفة جمة. فكان يُجيبهم جميعا ناصحا مبينا مرشدا فضلا عن الأسئلة التي كان يسندها إليه أبو بكر، وعمر بعد عجزهم عن إيجاد الجواب لها قبل خلافته(عليه السلام)، ولاسيما الأسئلة التي كانوا يتعرَّضون لها من اليهود، فيقفون عاجزين عن جوابها فلا يجدون بُدًّا من اللجوء الى الإمام(عليه السلام) فهو باب مدينة علم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ولسنا ببعيدين عن مقولاتهم المعروفة كـ(**لولاك يا علي لافتضحنا**)[1]، و(**يا مفرّج الكرب**)[2]، و(**لا أبقانا الله في بلدٍ لا يكون فيه عليّ بن أبي طالب**)[3]، وما سواها وبحسب هذا كثرت جوابات **الإمام**(عليه السلام) وتنوَّعت واختلفت بالنظر الى طبيعة الموقف الذي يعترضه والواقعة التي يصادفها.

---

(١) **نهج البلاغة: ٤/٤٧٥.**

(٢) **نهج السعادة: ١/٩٦.**

(٣) **نفسه: ٩/٣١٤.**

ثانياً: مفهوم التداولية

١.التداولية لغة واصطلاحا.

٢.أهميتها.

٣. درجات التداولية.

ثانياً: مفهوم التداولية

١ .التداولية لغة واصطلاحا

تعدّ التداولية فرعاً من فروع الدرس اللساني الحديث، وتُعنى بدراسة التواصل اللساني بين المتكلم والمتلقي، والرموز التي يبثها المتكلم في عملية التخاطب[١]، والتداولية شأنها شأن الدراسات اللسانية الحديثة، إذ تعدّدت فيها الآراء، وتنوّعت ترجماتها إلى اللغة العربية؛ بحسب اتجاهات الباحثين في هذا المجال.

التداولية في اللغة:

جاء في **مقاييس اللغة** أن: ((الدال والواو واللام أصلان أحدُهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكان إلى مكان، والآخر يدلُّ على ضَعْفٍ واستِرخاء))[٢]، وقال ((أهل اللغة: انْدَالَ القومُ، إذا تحوَّلوا من مكان إلى مكان. ومن هذا الباب تداوَلَ القومُ الشّيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض، والدَّولة والدُّولة لغتان. ويقال بل الدُّولة في المال والدَّولة في الحرب، وإنَّما سُمِّيا بذلك من قياس الباب؛ لأنّه أمرٌ يتداوَلُونه، فيتحوَّل من هذا إلى ذاك، ومن ذاك إلى هذا))[٣]، والتداول مشتقٌّ من دال يدول دولاً أي: انتقل من حالٍ إلى حالٍ ، ودالت الأيام ، والله يداولها بين الناس يداورها، ((وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة))[٤]، وقد وردت مفردة التداول في القرآن الكريم بتصريفات عديدة ، منها قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٥]، و**(نداولها)** هنا جاءت بمعنى يصرفها الله تعالى من حالٍ إلى حال[٦].

---

(١) ظ: الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار: ٩ .

(٢) معجم مقاييس اللغة، (دول): ٢٥٢/١١.

(٣) نفسه.

(٤) ظ: لسان العرب، (دول): ٢٥٢/١١.

(٥) سورة آل عمران: ١٤٠ .

(٦) ظ: البحر المحيط: ٦٨/٣ .

ونظرا لما تقدم يتضح أنّ المعنى اللغوي للجذر **(دول)** يدور في معان محددة تتمثل في التحول والتبـــــدل والدوران والانتقال، الأمر الذي يقتضي وجود أكثر من طرف لإنجاز عملية التداول، وما يؤيد ذلك هو أنّ لفظ **(تداول)** ورد على وزن **(تفاعل)**، وهو يحوي معاني كثيرة من بينها المشاركة، وقد أشار **سيبويه** الى هذا بقوله: ((وأمّا تفاعلت فلا يكون إلا وأنت تريد فعل اثنين فصاعداً))[١].

التداولية في الاصطلاح:

تعددت تعريفات **التداولية (pragmatica)** اصطلاحا ولكنها على الرغم من هذا التعدد والاختلاف نجدها تصب في معنى رئيس هو(دراسة الاستعمال اللغوي أو دراسة اللغة في الاستعمال أو وقت استعمالها)[٢]، ولعل هذا التعدد يُردُّ الى كثرة النظريات التي اشتملت عليها التداولية فضلا عن تداخلها مع العلوم الأخرى فهي ((الاتجاه اللغوي الجديد الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي))[٣]، وكان أقدم تعريف لها هو تعريف **موريس(Morris) (١٩٣٨م ـ ١٩٧٣م)**، إذ قال: ((إنّ التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات))[٤] ، وقد جعل البعد التداولي أحد الأبعاد الثلاثة لدراسة علم العلامات، العلامات، بعد البعدين التركيبي، والدلالي، وهناك من عرّفها بأنّها:((دراسة اللغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب، تقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب، بحسب قصد صاحبه، وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التّواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له))[٥]، وكما عرّفها **آن ماري دبير وفرانسوا ريكاناتي** بأنّها: ((دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية))[٦]، ولعلّ أوجز تعريف للتداولية وأدقّه هو: ((دراسة اللغة في الاستعمال (in use) أو في التواصل (communication)؛ لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى

---

(١) كتاب سيبويه : ٤ / ٦٩ .

(٢) ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة : ١٤، ومعجم المصطلحات الأدبية الحديثة ، د. محمد عناني : ٧٦ ، و تبسيط التداولية ، د. بهاء الدين محمد مزيد : ١٨.

(٣) المرجعية اللغوية في النظرية التداولية: د. عبد الحليم بن عيسى ،مجلة دراسات، الجزائر، ع١، ٢٠٠٨م: ٩.

(٤)المقاربة التداولية ، فرانسواز ارمينكو :٨، وظ: المدارس اللسانية المعاصرة، د. نعمان بوقرة: ١٦٦ .

(٥) التداولية والبلاغة العربية ، باديس لهويمل، مجلة المَخْبَر، بسكرة – الجزائر ، ع ٧ ، ٢٠١١ م : ١٥٩.

(٦) المقاربة التداولية ،:٨.

تتمثل في تداول(negotiation) اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي)، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما))[١].

وقد تمخضت التداولية عن مجموعة من النظريات والمناهج اللغوية الخاصة بتحليل الخطاب، التي تشابكت وذابت مع بعضها؛ لتظهر التداولية إلى الوجود في القرن المنصرم، وترمي إلى دراسة اللغة في طبقاتها المقامية المختلفة، وليس دراسة البنية اللغوية وحدها، أي بوصفها كلاماً صادراً من متكلمٍ، وموجهاً لمخاطبٍ، في مقام تواصلي محدد؛ بهدف تحقيق أغراض تواصلية محددة، أي إنّ التداولية تضم أثر المتلقي، والموقف، وهدف النص، والمقام، والرسالة المطروحة، وأشكال التواصل، والسياقات، وكيفية التواصل[٢]، وهذا الأمر يُعد جوهرا لنظرية التواصل التي جاء بها **رومان جاكبسون (Roman Jackobson)**، التي انبثقت فيما بعد عن التداولية .

فالاتجاه التداولي يُعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي، أو بمعنى آخر يمكننا القول بأنه يعنى بدراسة الرموز التي يبثها المتكلم في رسالته، والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة من دون أخرى، ومراعاة المتكلم لحال المخاطب وسياق حاله؛ لتحقيق عملية التواصل بعد تحليل تلك الرموز من قبل المتلقي بحسب ثقافته ومعرفته الخاصتين اللّتين تتلاءمان مع سياقي المقال والمقام[٣].

٢.أهمية التداولية

تكمن أهمية التداولية في دراسة اللغة في أثناء التلفظ بها في السياقات والمقامات المختلفة ((فالتلفظ هو النشاط الرئيس الذي يمنح اللغة طابعها التداولي بوصفه نقطة التحول بالممارسة الفعلية لها))[٤]، فهو ينتقل باللغة من وجود بالقوة في ذهن صاحبها الى وجود بالفعل بالممارسة الفعلية وتأسيسا على هذا يتحدد الغرض من الكلام فالدرس التداولي يسعى لدراسة المنجز اللغوي في إطار التواصل وليس بمعزل عنه ومعرفة مدى تأثير السياقات الاجتماعية في نظام الخطاب يقول العالم الأمريكي **فان دايك(Van Dyck)**(١٨١٨م- ١٨٩٥م):((والفكرة الاساسية في التداولية هي أننا عندما نكون في حالة التكلم في بعض السياقات فنحن نقوم أيضا بإنجاز بعض الأفعال المجتمعية وأغراضنا ومقاصدنا من هذه الافعال))[٥]، ويرى **فان دايك** أيضا أن أهمية التداولية تتمثل

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : ١٤ .

(٢) ظ: التداولية (النشأة والمفهوم)، مؤيد عبيد، مجلة الأقلام، ع٥، بغداد، ٢٠٠٨م :٣٩.

(٣) ظ: معجم المصطلحات اللغوية: رمزي منير البعلبكي: ٣٩٠ .

(٤) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري:٢٧.

(٥) النص والسياق: ٢٩٢.

تتمثل في دراسة شروط نجاح العبارات، يقول:((إن أحد مهام التداولية أن تتيح صياغة شروط انجاح إنجاز العبارة وبيان أي جهة يمكن بها أن يكون مثل هذا الإنجاز عنصرا في اتجاه مجرى الفعل المتداخل الإنجاز الذي يصبح بدوره مقبولا او مرفوضا عند فاعل آخر وبهذا الاعتبار فإن المهمة الثانية تقوم في صياغة مبادئ تتضمن اتجاهات مجاري فعل الكلام المتداخل الانجاز الذي ينبغي أن يستوفي في إنجازه العبارة حتى تصبح ناجحة))[١]. فالتداولية بحسب مفهوم **فان دايك** تقوم بمهمة دراسة الشروط التي تضمن النجاح والفاعلية المناسبين لكل استعمال لغوي وفاقا لما يتطلبه كل موقف تواصلي.

فالتداولية إذن هي العلم الذي يهتم بدراسة الاستعمال اللغوي في إطاره الاجتماعي التواصلي وصولا الى التأثيري أحيانا ووظائف الأقوال والتعابير اللغوية في أثناء التواصل، وهذا ما أشار اليه **صلاح فضل** بقوله: ((التداولية هي الفرع العلمي من مجموعة العلوم اللغوية التي تختص بتحليل عمليات الكلام بصفة خاصة ووظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال اجراءات التواصل بشكل عام))[٢].

فهي تتيح للمتكلم إنجاز العبارات اللغوية وضمان نجاحها حيث تقوم بمعالجة أسباب فشل الدراسات البنيوية الصرفة بمراعاة سياقات ورود العبارات اللغوية واستعمالها والانفتاح على ما يحيط بها ومراعاته وتتجاوزه الى كيفية إنجاز الأفعال بالقول وبيان أن إنجاز الفعل تتداخل فيه جهات مخصوصة ومتعددة (اجتماعية، ونفسية، وثقافية، وسياسية) وتهتم التداولية بشروط ملاءمة الفعل اللغوي ومناسبته لتراكيب الكلام المنجز وسياقاته ومدى مطابقة كل ذلك لبنية الخطاب العامة[٣].

وتتضح أهميتها أيضا بسعيها لبيان: كيف يمكن للتواصل الضمني غير الحرفي أن يكون في الاستعمال أفضل من التواصل الحرفي المباشر؟[٤]، فقد ((أسهمت بنحو كبير في ممارسة تأويل منضبط إلى حدٍّ ما))[٥] ، فهي تدرس اللغة بوصفها ((ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً))[٦]؛ معاً))[٦]؛ لأنّه لا يمكن للغة أن تدرس بمعزل عن استعمالها، وتنحصر في علمي النحو والمعاني فقط؛ بل إنّ الاتصال يمارس أثراً فاعلاً إذا أردنا فهم حقيقة اللغة[٧].

---

(١) نفسه: ٢٥٦.

(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٨.

(٣) ظ: التداولية والبلاغة العربية:٩.

(٤) ظ: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول، وجاك موشلار: ٧١.

(٥) التداولية ، محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً، فالح حسن ، مجلة الأقلام، بغداد، ع٥، ٢٠٠٨م: ١٥.

(٦) المقاربة التداولية: ٨ .

(٧) ظ: دليل الناقد الأدبي(إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً): ميجان الرويلي، وسعد البازعي: ١٦٩ .

٤. درجات التداولية:

للتحليل التداولي درجات ثلاث وذلك بحسب برنامج **هانسون(Hansson)** لسنة ١٩٧٤م، الذي يرجع إليه الفضل بما أسهم به من نظام وتطوير للتداولية؛ فهو أول من حاول التوحيد النسقي والربط بين مختلف الأجزاء المتقدمة الى الآن بطريقة مستقلة نسبيا بتقسيمه التداولية على ثلاث درجات وقد اختار مصطلح الدرجات بدلا عن الأجزاء ليدلل على فكرة العبور المتنامي من مخطط لآخر، وهذه الدرجات هي:

١. تداولية الدرجة الأولى:

تختص بدراسة الرموز الإشارية التي تشير الى عنصر الذاتية في الخطاب وتدرس الأقوال والصيغ التي تتجلى مرجعيتها ودلالتها في سياق الحديث، وهي العبارات الغامضة نسقيا إذ تعد هذه الأقوال مبهمة إذا ما درست في خارج السياق المقامي أما إذا درست حسب إحالتها ومرجعيتها في السياق، الذي وردت فيه، فإنها تعطينا دلالات على توظيفها في ذلك السياق، وتعتمد هذه التداولية على جملة من المعطيات كالسياق الوجودي المتمثل في المتخاطبين، والزمان، والمكان[١]، وسيدرس الباحث تداولية الدرجة الأولى ويطبقها في الفصل الأول المتمثل بالإشاريات.

٢. تداولية الدرجة الثانية:

وهي تدرس الطريقة التي تتصل فيها القضية المعبر عنها بالجملة المنطوقة لتبين كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح الى المستوى التلميحي وفي الحالات المهمة ينبغي أن تمتاز القضية المعبر عنها عن الدلالة الحرفية للجملة ويندرج تحت هذه الدرجة الاقتضاء، والتضمين، والمعنى الحرفي والسياقي، وقوانين الخطاب، وأحكام المحادثة، وما ينبثق عنها من ظواهر خطابية كالافتراض المسبق، والأقوال المضمرة؛ والسياق في هذه الدرجة هو مجمل المعلومات والمعتقدات، التي يشترك فيها المتخاطبون [٢].

٣. تداولية الدرجة الثالثة:

وهي نظرية أفعال اللغة التي تنطلق من أمر مسلّم به مفاده أن الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية، تحمل معاني ضمنية تتم معرفتها

---

[١] ظ: المقاربة التداولية: ٣٨، والأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني: د. صابر الحباشة:٤٦.

[٢] ظ: المقاربة التداولية: ٣٨، والمدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة: ١٨٨.

بالإحاطة بظروف الفعل الكلامي الاجتماعية[1]، وسيدرس الباحث تداولية الدرجة الثالثة ويطبقها في الفصلين الثاني والثالث وهما: (الأفعال الكلامية والحجاج).

[1] **ظ: المقاربة التداولية:٣٨، والمدارس اللسانية المعاصرة: ١٨٩.**

الفصل الأول: الإشاريات في جوابات الإمام علي عليه السلام

مفهوم الإشاريات.
تعريف الإحالة.
أقسام الإشاريات.
أولاً: الإشاريات الشخصية.
ثانياً: الإشاريات الزمانية.
ثالثاً: الإشاريات المكانية.

الإشاريات

الإشارة مصطلح تقني يستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح **(الإشاريات)**، وتعتمد في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق نفسه وتستعمل التعابير التأشيرية بصورة كبيرة في التفاعل المنطوق وجها لوجه إذ يكون فهم اللفظ يسيرا جدا على الحاضرين، ولكن الغائب قد يحتاج الى ترجمة لفهمه[١].

وقد ورد مصطلح الإشارة عند القدماء بمعانٍ عدة منها : الإيماء بجارحة من الجوارح[٢]، الإيجاز والتلميح الى معانٍ غير مصرح عنها باللفظ فيكون اللفظ القليل مشارا به الى معان كثيرة[٣]، والدلالة ويُقصد بالدلالة هنا دلالة اللفظ على معنى من المعاني نحو ما يستعمل عند المفسرين إذ نجدهم يقولون:**(إن الآية فيها إشارة الى كذا)** وغير ذلك[٤].

أما عند المحدثين فكان أول من وضع مصطلح الإشاريات هو الفيلسوف اللساني **بيرس (Peirce)**[٥]، كما تحدث **إميل بنفنيست** عن الإشاريات في بحثه (الذاتية في اللغة)[٦]، على حين اتفق **ستيفن ليفنسون (Stephen C.Levinson)**، **وجون ليونز (John Lyons)** على أن مصطلح الإشاريات (Deixis) مأخوذ من الأصل اليوناني (deiktikos)، الذي يعني (الإشارة والتعيين)، وقد استعمل الباحثون العرب ترجمات كثيرة للمصطلح الإنكليزي (Deixis)

---

[١] ظ: التداولية، جورج يول: ٢٧.

[٢] ظ: البيان والتبيين، الجاحظ(ت٢٢٥هـ)، تح: عبد السلام هارون: ٧٨/١.

[٣] ظ: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم: ٣٤٨، والعمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ٣٠٢/١.

[٤] ظ: النكت والعيون ابو الحسن الماوردي البصري: ٦٢/٤على سبيل المثال، والبحر المحيط: ١٧٠/١، والتحرير والتنوير: ١٥١/١.

[٥] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦.

[٦] ظ: الذاتية في اللغة، اميل بنفنيست، ترجمة: حميد سمير، وعمر حلي، مجلة نوافذ، ع٩، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م:٦٤.

منها: إشاري، وإشارة، ومؤشر، وتعيين، وبرهاني ضمني، ومشير مقامي، وكانت أغلب هذه الترجمات تدور حول وظيفة الإشارة والتعيين المتعلقة بالمقام[١].

فمن التعريفات التي أوردها المحدثون للإشاريات نعرض تعريف **الأزهر الزناد** إذ يقول: إنها ((مفهوم لساني يجمع كل الكلمات التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، إذ ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، من ذلك: (الآن)، (هنا)، (هناك)، (أنا)، (أنت)، (هذا)، (هذه) ... وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وهي تنظم الفضاء من نقطة مركزية، هي الذات المتكلمة أو (الأنا)))[٢].

وتُصنف الإشاريات ضمن الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي ومصطلح الإشاريات في الإطار التداولي يشير الى شيء محدد في الخطاب يؤدي وظيفة تداولية على مستوى تماسك النص وانسجامه، ولا تتضح مدلولات هذه المكونات أو العناصر إلا باستعمال المتلفظ لها في سياق خاص.

لقد اعتنى علماء التداولية بالإشاريات وأكدوا أن النص يتألف من عدد ما من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية، التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك في تلك العناصر؛ وتسهم الروابط التركيبية، والزمانية، والإحالية في تحقيقها[٣].

وعلى الرغم من ارتباط الإشاريات بالمرجع، الذي تحيل عليه في الخطاب المتلفظ به، إلا أن هذا المرجع يتصف بعدم الثبات؛ لأنه يتغير بتغير السياق، الذي ترد فيه الإشاريات، وتكمن أهميتها في أنها تدرس كيفية استعمال الإحالة.

والإشاريات من المعارف الاستعمالية، وليست من الوضعية لأنها تجمع بين الابهام والتعريف فإذا كانت هذه العناصر الإشارية مفردة كانت مبهمة أما إذا ركبت مع غيرها في سياق

---

[١] ظ: المشيرات المقامية في القرآن، منى الجابري: ٣٧-٣٩.

[٢] نسيج النص(بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزناد: ١١٦.

[٣] ظ: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري:٩٣، والتداولية امتداد شرعي للسيميائية، سحالية عبد الحكيم، الملتقى الدولي الخامس، السيمياء والنص الأدبي، المركز الجامعي، الطارف: ٤٣١،.

الاستعمال زال الإبهام عنها[١]، فصفة التعريف فيها مقترنة باستعمالها في سياق الخطاب أما إذا كانت خارجة أبهمت فلم تدل على معين حينها.

وهي من جهة أخرى تعنى باستجلاء مدى ظهور المخاطب والسياقين الزماني والمكاني في الخطاب، بتتبع العناصر الإشارية، المتمثلة في الضمائر وظروف الزمان والمكان، وما تحيل عليه في السياق، الذي وردت فيه، فهي علامات لغوية، لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في نفسها، وبحسبان هذا ألق النحويون عليها اسم**(المبهمات)**[٢]، بسبب افتقارها الى معنى محدد إذ يتحول معناها بتحول الخطاب من شخص الى آخر فإذا أردنا أن نفهم مدلول هذه الوحدات، استوجب منا ذلك- على الأقل- معرفة هوية المتكلم والمتلقي والإطارين الزماني والمكاني للحدث اللغوي[٣]، وهذا ما دفع بعض اللسانيين إلى القول بأن المعنى التداولي لعبارة ما، يستخلص من مجموعة عوامل السياق الذي قيلت فيه، وتشمل المتكلم والمخاطب والمستمعين، والمكان والزمان والموضوع، والأسلوب والغاية التي يقصدها المتكلم، والنتائج العملية والسلوكية التي تحدثها العبارة في المخاطب والمستمعين، فهي إذاً لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب الذي أنتجها؛ لأنها خالية من المعنى في نفسها، فإذا ما قرأنا جملة مقتطعة من سياقها، نحو :(**سوف يقومون بهذا العمل غدا؛ لانهم ليسوا هنا الآن)**، لوجدناها غامضة؛ لأنها تشتمل على عدد من العناصر الإشارية، التي يعتمد في تفسيرها على السياق الذي أنتجها، ومعرفة المرجع الذي تحيل عليه، وهي: واو الجماعة، وضمير الجمع للغائبين (هم)، وظروف الزمان والمكان (غدا، وهنا، والآن)، ولا يكون معناها مفهوما إلا إذا عرفنا ما تشير إليه العناصر، وتحديد زمانها ومكانها قياسا إلى زمان المتكلم ومكانه[٤].

ومن هنا نقول: إن كل ملفوظ إشاري لا يمكن إدراك معناه التداولي إلا إذا ربطناه بالسياق المقامي، الذي قيل فيه سواء أكان سياقا ثقافيا أم حضاريا أم اجتماعيا لأهمية السياق في الكشف عن المعنى وظلاله.

---

[١] ظ: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، محمد الشاوش: ١٠٦٩/٢.

[٢] ظ: المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس: ٨٣.

[٣] ظ: تحليل الخطاب، ج. ب. براون و ج. يول: ٣٥.

[٤] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦.

وإذا كان السياق يمثل مفهوما رئيسا لكل دراسة تهتم بالجانب الإبلاغي التواصلي فـــــإن **فندرليش(R. Winderlich)** قد قام بحصر صارم للعناصر المكونة له، وهي[١]:

- المشاركون في التبليغ ـــــــــــــــ المتكلمون والمستمعون.
- مكان التفاعل ـــــــــــــــــــــــ الوسط الذي يحصل فيه الحدث.
- القول ـــــــــــــــــــــــــــــــ الصفات اللغوية، وشبه اللغوية، وغير اللغوية.
- مقاصد المتكلمين.
- ترقبات المتكلم والمستمع.
- مساهمة المشاركين في الموضوع ـــــــ معارفهم اللغوية، المعايير الاجتماعية، وشخصياتهم، وأدوارهم.

إنَّ التلفظ في حقيقته يحدث من ذات، وبسمات معينة، وفي زمان ومكان معينين؛ وهما مكان التلفظ وزمانه، إذ تجتمع في الخطاب الواحد على الأقل ثلاث إشاريات؛ هي **(الأنا، والهُنا، والآن)**، وبحسب هذا فإن الإشاريات هي الأشكال الإحالية، التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه[٢]، فتكون وظيفتها تعيين المرجع الذي، تشير إليه ، فتستعمل في ضبط المقام الإشاري[٣].

ويتضح تأسيسا على ما تقدم أن المتكلم –الأنا –يشكل المركز، الذي نحدد به مسألتي **(القُرب)** و **(البعد)** لأطراف الخطاب، وهي المسافة الفاصلة بين المتكلم أو المخاطب من جهة، وبين المشار إليه من جهة أخرى، وهي موقع المشار إليه من المركز، كأن يكون إلى الوراء، أو القدام، أو الفوق، أو اليمين، وهي حضور المشار إليه أو غيابه، وتنحصر وظيفة هذه العناصر في تعيين المرجع الذي تشير إليه، وهي بحسب هذا تضبط المقام الإشاري[٤]، فكل فعل لغوي

---

[١] ظ: مدخل الى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي:٤٠

[٢] ظ: استراتيجيات الخطاب:٨١.

[٣] ظ: نسيج النص: ١١٦.

[٤] ظ: نفسه.

يكون ناجحا إذا علم المخاطَب قصد العبارة وإحالتها وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي به أن يُكوَن المخَاطب هذه المعرفة[١].

وتمثل الإشاريات مجالاً مشتركاً بين الدلالة والتداولية، وهناك من يراها أدخل في التداولية منها في علم الدلالة[٢] ولعلّ أهميتها متأتية من توظيفها واستعمالها الإحالة في الكلام بين المتخاطبين؛ إذ تعدّ الإحالة ((فعلاً تداولياً، مقصوداً به تمكين المخاطب من التعرف على ما يحيل عليه الخطاب))[٣]، ولورود مصطلح الإحالة في مواطن سبقت من الكلام فلابد من التعريج عليه وإيضاحه وبيان أنواعه.

- **الإحالة:**

يعُد موضوع الإحالة في التعبير اللغوي من القضايا المهمة التي حظيت باهتمام الباحثين فسلطوا أنظارهم عليها حتى أضحى من يطلع على ما قدمه الفكر اللساني الحديث حول موضوع الإحالة يرى أنه قد تجاذبته أطروحات مختلفة ومتنوعة بحسب الرؤية والمنهج[٤]، وأولته التداولية اهتماما واضحا يدللنا على ذلك المعجم الموسوعي للتداولية إذ نراه يورد تساؤلا مفاده: بمَ تكون الإحالة مسألة تداولية؟ وقد أجاب عن هذا التساؤل اللساني **ميلنر(Milner)** بقوله: إن من الوظائف الأساسية للغة التعيين والإحالة بل تعد اللغة أهم وسائل التعيين والإحالة؛ وقد ترد الإحالة في اللغة بجارحة من الجوارح عندما يكون الواصل غير لفظي، وقد ترد بوسيلة لغوية سواء أكانت تعضدها إشارة حسية عندما يتعلق الأمر بأسماء الإشارة أم لم تكن معضودة فلا يمكن تحديد مرجع تعبير إحالي ما إلا إذا كان مستعملا؛ لأن الإحالة ظاهرة تتعلق باللغة المستعملة، وهذه الصفة تجلوها بعض التعابير الإحالية من قبيل التعابير الإشارية[٥].

---

[١] ظ: النص والسياق: ٢٦٦.

[٢] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٧.

[٣] الوظيفة بين الكلية والنمطية ، د. احمد المتوكل : ٣٠ .

[٤] ظ: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية:٩.

[٥] ظ: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر، وآن ريبول: ١٥٩- ١٦٠.

ويرى **جون لاينز (John Lyons)** أن: ((العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة: فالأسماء تحيل إلى المسميات)) ويصرح فيما يخص طبيعتها بقوله :((إن المتكلم هو الذي يحيل (باستعماله لتعبير مناسب): أي أنه يحمِّل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية إحالة))، ويدعمه المفهوم الذي يقدمه **ستروسن(Strawson)** بأن((الإحالة ليست شيئا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيرا معينا))[١].

ويعرفها **دي بوجراند** بأنها: ((العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))[٢].

فالإحالة تتمثل في ((قدرة الوحدة اللغوية على أنّ ترجع المتخاطبين (المتكلم والمخاطب) إلى شيء موجود في الواقع هو ما سمّاه المحدثون (مرجعاً) وسمّاه علماء المعنى في الدراسات اللغوية القديمة (خارجاً)))[٣]، والمقصود بالخارج هنا ((الجزء من العالم الذي تحيل عليه الإشارات أي الوحدات الإشارية بوصفها علامات))[٤]، ففي الآية الكريمة: ﴿ **قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** ﴾[٥]على سبيل المثال، لا يمكن أن يُعرف المراد منها إلا عن طريق تحديد جملة الكلمات أو العناصر الإحالية الواردة فيها، المتمثلة بالضمائر في **(قال)**، و**(فعله)**، **(هم)**، و**(اسم الإشارة)** إذ ليس ثمة علامة صرفية أو نحوية أو معجمية في العنصر المحيل يمكن أن تعين المخاطب في تحديد المرجع المقصود ولا في كون المرجع جزءا من النص او جزءا من مقام التخاطب وعلى الرغم من هذا يمكن للمخاطب بالاتكال على السياق أو المقام أن يحدد العناصر اللغوية، التي تحيل عليها العناصر المحيلة[٦].

ومن ثمَّ((ينبغي أن لا نخلط بين مصطلحي الإحالة والمرجع حتى وإن ثبت أحيانا استعمال كل منهما للدلالة به على الآخر يشير مصطلح المرجع إلى موضوع خارج – لساني؛ فاللسانيات

---

[١] ظ: تحليل الخطاب: ٣٦.

[٢] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند: ١٧٢.

[٣] ظ: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٢/٩٥٩.

[٤] أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٢/٩٦٠.

[٥] سورة الأنبياء، من الآية: ٦٣.

[٦] ظ: قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د. محمد محمد يونس علي: ٥٨.

لا تهتم بمعالجة المرجع وفحصه وذلك على خلاف الإحالة؛ التي تمثل جانبا من اهتمامات اللسانيات))[1]، فالمرجع هو الشيء الذي يحيل عليه اللفظ على حين أن الإحالة هي العملية الفكرية التي تربط بين اللفظ ومرجعه.

ويصنفها **رومان جاكبسون(Jakobson)** ضمن الوظائف اللغوية الستة للتواصل اللغوي؛ ويرى أنها: ((أساس كل تواصل فهي تحدد العلاقات بين المرسل والشيء أو الغرض الذي ترجع إليه، وهي أكثر الوظائف أهمية في عملية التواصل نفسها، وتطلق عليها تسميات عدة، فهي (تعيينية) أو(تعريفية) أو (مرجعية) وهي العمل الرئيس للعديد من المراسلات، في حين لا تلعب الوظائف الأخرى في المراسلات كهذه سوى دور ثانوي))[2]، ومن ثمَّ فهي ترتبط بعلاقات داخلية بين أجزاء التركيب اللغوي أولا، وبين المخاطب والمتلقي وظروف الخطاب.

أقسام الإشاريات:

إنَّ الباحثين سواء أكانوا من العرب أم غيرهم اختلفوا في تقسيم الإشاريات والعناصر التي تنتمي اليها وقد كان لكل منهم أسبابه ومسوغاته التي بنى عليها رأيه وعضد بها مذهبه، الذي ارتآه وقد كانت الباحثة **منى الجابري** في كتابها **(المشيرات المقامية في القرآن)** قد عملت على إحصاء تلك الآراء ووجهات النظر الخاصة بالباحثين وعرضها في جدولين الأول اختص بالباحثين الغربيين وتقسيماتهم للإشاريات، والثاني اقتصر علـــى تقسيمات العرب للإشاريات وهو على النحو الآتي[3]:

العناصر الإشارية	بنفنيست	ليونز	ليفنسون	أشر ولاسكاريدس
ضمائر المتكلم	√	√	√	√
ضمائر المخاطب	√	√	√	√
ضمائر الغائب	.....	√	.....	.....
أسماء الإشارة	√	√	√	√
الظروف الزمانية	√	√	√	√
الظروف المكانية	√	√	√	√

[1] المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، ماري نوال غاري بريور: ٩٠.

[2] ظ: النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، فاطمة الطبال بركة: ٦٧.

[3] ظ: المشيرات المقامية في القرآن الكريم: ٤٠-٤٦.

أداة التعريف	.....	√	.....	√
صيغ الأمر	√	.....	.....	.....
الدعاء	√	.....	.....	.....
النداء	√	.....	√	.....
عبارات التبجيل	√	√	.....	√
الفاظ القرابة	.....	.....	√	.....
الإحالة الى أجزاء من الخطاب	√	.....	.....	√

جدول رقم (١) تقسيمات الباحثين الغربيين للإشاريات

وأما فيما يخص الباحثين العرب الذين تحدثوا في مصنفاتهم عن الإشاريات فمنهم: **شاهر الحسن** في **(علم الدلالة السيمانتيكية والبراجماتية)**، و**عبد الهادي الشهري** في **(استراتيجيات الخطاب)**، و**عز الدين مجدوب** في كتابه **(دور المقام في التحليل النحوي – تقطيع النص نموذجا)**، **ومحمد محمد يونس** في **(مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب)**، **ورضوان ظاظا** في **(مدخل إلى مناهج النقد الأدبي)**، و**نرجس باديس** في **(المشيرات المقامية في اللغة العربية)**

ومحمد الشاوش في **(أصول تحليل الخطاب)** فكان تصنيفهم للإشاريات متمثلا بالآتي[١]:

العناصر الإشارية	عز الدين المجدوب	رضوان ظاظا	شاهر الحسن	عبد الهادي الشهري	محمد يونس	نرجس باديس	منى الجابري
ضمائر المتكلم	√	√	√	√	√	√	√
ضمائر المخاطب	√	√	√	√	√	√	√
ضمائر الغائب	.....	.....	.....	√	.....	.....	.....
أسماء الإشارة	√	√	√	√	.....	.....	√

[١] **ظ: المشيرات المقامية في القرآن الكريم: ٩٤-٩٥، والمشيرات المقامية في اللغة العربية:٧٥، ٧٦ .**

الظروف الزمانية	√	√	√	√	√	√	√
الظروف المكانية	√	√	√	√	√	.....	√
أداة التعريف	.....	.....	√	.....	.....	.....	.....
النداء	.....	.....	.....	.....	.....	√	√
الاسم الموصول	.....	.....	.....	√	.....	.....	.....

جدول رقم(٢) التقسيم الخاص بالباحثين العرب للإشاريات

وبالنظر في الجدولين يُلحظ أن هناك شبه إجماع عند أغلب الدارسين على أن الضمائر، وأسماء الإشارة، والظروف الزمانية والمكانية تدخل ضمن الإشاريات فيكون التقسيم كالآتي:

١. الإشاريات الشخصية التي تشتمل على الضمائر، وأسماء الإشارة.
٢. الإشاريات الزمانية.
٣. الإشاريات المكانية.

أما فيما يخص العناصر الأخرى فقد اختلفت آراء الدارسين فيها وتذبذبت اتجاهاتهم في قبولها وعدها ضمن الإشاريات فهناك من عدها خمسة أقسام، هي[١]:

١. الإشاريات الشخصية .
٢. الإشاريات الزمانية .
٣. الإشاريات المكانية .
٤. الإشاريات الخطابية وتسمى (النصية) .
٥. الإشاريات الاجتماعية .

وتأسيسا على هذا سيدرس الباحث في هذا الفصل الإشاريات الواردة في جوابات الإمام علي (عليه السلام) في ضوء التقسيم الثلاثي؛ لاتفاق أغلب الدارسين العرب والغربيين عليه.

أولا: الإشاريات الشخصية:

---

[١] **ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:١٧.**

وهي من أوضح العناصر الإشارية الدالة على شخص وتتمثل هذه العناصر بضمائر الحاضر، والمقصود بها الضمائر الشخصية الدالة على المتكلم وحده مثل **(أنا)** أوالمتكلم ومعه غيره مثل **(نحن)**، والضمائر الدالة على المخاطب مفردا أو مثنى أو جمعا، مذكرا أو مؤنثا[١]، وهذه الضمائر تمثل عناصر إشارية لأن مرجعها يعتمد اعتمادا تاما على السياق، الذي يرد فيه ((أما ضمير الغائب فيدخل في الإشاريات إذا كان حرا أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشاريات))[٢]، فلو تلفظ المتكلم (علي) بالخطاب الآتي قائلا: **(لم يأت محمد)** فإن قوله هذا يتضمن بعدا إشاريا مفاده **(أنا أقول لم يأت محمد)**، وعندما ينقل المخاطَب هذا القول الى شخص آخر فإنه يقول: **(هو قال لم يأت محمد)** ولا يجوز أن يقول: **(قال علي لم يأت محمد)**، على حين أن **إميل بنفنست** أخرج ضمير الغائب من الإشاريات وعده ليس طرفا فيها[٣].

وهذه العناصر الإشارية تعدّ ظواهر لسانية تسهم في إنجاز العملية التواصلية ومن ثم تصبح عناصر نحوية لا تشير الى معنى محدد إذا ما عزلت عن مرجعيتها التداولية في داخل الخطاب أو خارجه غالبا وبحسب قصد المتكلم وبحسب هذا فإنها لا تستعمل إلا بتوافر التفسير الذي يرفع إبهامها؛ فالمفسّر يقوم بتعيين نوع المضمر؛ لأنّ ((الأصل في المفسّر المعين لمعنى المضمر أن يكون مقامياً حضورياً، اعتماداً على ما توفره شهادة الحال في المتكلم والمخاطب، ومقالياً قائماً على التقدم في الذكر في ضمائر الغائب))[٤].

إن التلفظ بهذه العناصر يعطي للعملية التواصلية بعداً تداولياً لما يوجد بين المتخاطبين من خبرات خاصة تحيل على الأبعاد الاجتماعية، والثقافية التي تمثل قواسما مشتركة بينهما وهذا ما يفسر قول التداوليين من أن هذه المبهمات لا تحيل على أشياء موضوعية في العالم أو الزمان والمكان بقدر ما تحيل على الخطاب نفسه وتكون خارج هذا الإطار فارغة من أي دلالة.

---

[١] ظ: نفسه: ١٨-١٩.

[٢] نفسه: ١٨.

[٣] ظ: الذاتية في اللغة: ٧٤، اميل بنفنيست، مجلة نوافذ، ع٩، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

[٤] أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ١١٢٦/٢

ومن هنا يوضح **دومينيك منغونو** أنه في حال التلفظ بـ(أنا) و (أنت) يكون كل متكلم قد أعاد زمام اللغة لصالحه[١].

ويرى اللساني الفرنسي **إميل بنفنيست** أن اللغة تمنح إمكان التعبير عن الذاتية، بقدرة المتكلم على فرض نفسه ذاتيا، وهذه الذاتية لا تتحدد، بالإحساس فحسب، بوصفها تحتوي دائما أشكالا لسانية تناسب التعبير عنها، بل تقف على أساس الذاتية، التي تتحدد بوضعية الشخص اللسانية، التي تتجلى عند مخاطبتي شخصا خارجا عن ذاتي فيصبح صدى لي، أقول له:(**أنت**)ويقول عني: (**أنت**)، فالذاتية وحدة نفسية تتعالى على مجموعة التجارب المعيشة، التي تؤلف بينها، وتضمن محايثة الوعي[٢]، ويرى **بنفنيست** أن اللغة تقترح بوجه من الوجوه الضمائر بوصفها أشكالا فارغة مناسبة لكل متكلم يمارس الخطاب، يعلقها بـ(**شخصه**) معرفا بنفسه بوصفه(**أنا**)، ومعرفا بشريك له في الوقت نفسه بوصفه (**أنت**)، وهكذا فإن الوضع الخطابي يشتمل على جميع المعطيات التي تحدد الذات[٣]، ويشير الى أن اللغة وضعت في تصرف مستعمليها فهي تمكن المتكلم من الإحالة على نفسه في أي وقت تقتضيه الحاجة، وهذه الأشكال الفارغة كما يسميها تجعل لنفسها مضامين حينما ينطق بها المتكلم ضمن خطاب معين[٤]، فاللغة منظّمة بطريقة تسمح لكل متكلم بامتلاك اللسان كليا، عندما يعين نفسه على رأس العملية التواصلية بوصفه(**أنا**).

إن الوعي بالذات والتعبير عنها لا يكون إلا عندما أتوجه إلى شخص ما يكون (**أنت**) في خطابي، لأنه شرط يستلزم التبادل إذا أصبح (**أنا**) (**أنت**) في خطاب من يصبح بدوره (**أنا**) في خطابه وبحسب هذا المعنى أفترض وجود شخص آخر خارج عني هو(**أنت**)، وهذا ما يسمى بتقاطب الضمائر، فالتلفظ بـ(**أنا**) يجعله قطبا، ومن المفترض أن يقابله قطب آخر هو(**أنت**)؛ لأن المتكلم لا يتلفظ بالخطاب إلا وهو – على الأقل– شريك له في الخطاب سواء أكان سامعا أم قارئا، أي إمكانية تعبير الضمير نفسه عن ذوات مختلفة؛ لأن الضمائر أشكال لسانية فارغة

---

[١] ظ: مدخل الى النظريات التداولية، خليفة بولفعة:٢،(مجلة الأقلام الثقافية).

[٢] ظ: الذاتية في اللغة: ٦٤.

[٣] ظ: نفسه: ١١٠.

[٤] ظ: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير:٦٩.

تتناسب مع كل متكلم، فهي تمنح له القدرة على التعبير عن ذاته بوصفها شرطا أساسا في المسار التواصلي الذي تنخرط فيه[١].

ويسميها **جون كوين(J.Cohen)** في كتابه **(النظرية الشعرية)** بـ**(المتحولات)**[٢] وهي: طبقة من الكلمات يتغير معناها بحسب السياق[٣].

ومن هنا يُعد استعمال الضمائر باختلاف توزيعها والتنويع فيها حسب السياق، واختلاف مرجعيتها، له أثر أبلغ في تقليص المسافات بين الشخص المتكلم والطرف الآخر في الخطاب فيتغير نوع العلاقة بينهما في نهاية الخطاب عنه في البداية.

ولا بد من الإشارة الى أن مصطلح الضمير هو مصطلح شائع في التراث اللغوي العربي، وهو عند القدماء ((اسم جامد يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب))[٤] وعند المحدثين يعرّفه بعضهم بأنه: ((اسم جامد يقوم مقام اسم ظاهر للمتكلم أو المخاطب أو الغائب))[٥]، والغرض من الإتيان به يتمثل في الاختصار فهو أقوى أنواع المعارف وعلى الرغم من هذا لا يدل على مسمى كالاسم، ولا على الموصوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وزمن كالفعل، وإنما يدل على عموم الحاضر والغائب من دون دلالة على خصوص الغائب أو الحاضر[٦]، ولا تخلو الضمائر الضمائر في نفسها من إبهام وغموض في دلالتها ((لأن معنى الضمير وظيفي وهو الحاضر أو الغائب على إطلاقهما، فلا يدل دلالة معجمية إلا بضميمة المرجع، وبواسطة هذا المرجع يمكن أن يدل على معين، وتقدم هذا المرجع لفظا أو رتبة أو هما معا ضروري للوصول إلى هذه الدلالة))[٧]، فنخلص من قوله، أن الضمائر لا تدل بنفسها، وأن معناها وظيفي يتعلق بالسياق الذي ترد فيه، وعلى المتلقي أن يكشف القصد الذي تحيل عليه الضمائر في الخطاب.

---

[١] ظ: عن الذاتية في اللغة: ١٠٧.

[٢] ظ: النظرية الشعرية(بناء لغة الشعر، اللغة العليا): ١٧٨.

[٣] ظ: نفسه: ١٧٩.

[٤] النحو الوافي، عباس حسن: ٢١٧.

[٥] المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة: ١٢٢.

[٦] ظ: نفسه.

[٧] اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان : ١١١.

والمعاني التي تحملها ضمائر الأشخاص لا تخرج عن الدلالة الآتية[١]:

١. النوع: (التذكير والتأنيث).

٢. العدد: (الإفراد، والتثنية، والجمع).

٣. الوضع: (التكلم، والخطاب، والغيبة).

أما من حيث وظيفتها التخاطبية فتقسم الضمائر على قسمين:

١. ضمائر الحضور: وتشمل ضمير المتكلم، وضمير المخاطب وقد تضم اسم الإشارة.

٢. ضمائر الغيبة: وتضم ضمير الغائب وقد تشتمل على الاسم الموصول

وبحسبان ما تقدم فإن ((الحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن، وقد يكون حضور خطاب، كأنت وفروعها، أو حضور إشارة كهذا وفروعها والغيبة قد تكون شخصية كما في هو وفروعه وقد تكون موصولية كما في الذي وفروعه))[٢]، ويمكن توضيح تقسيمات الضمائر بالمخطط الآتي:

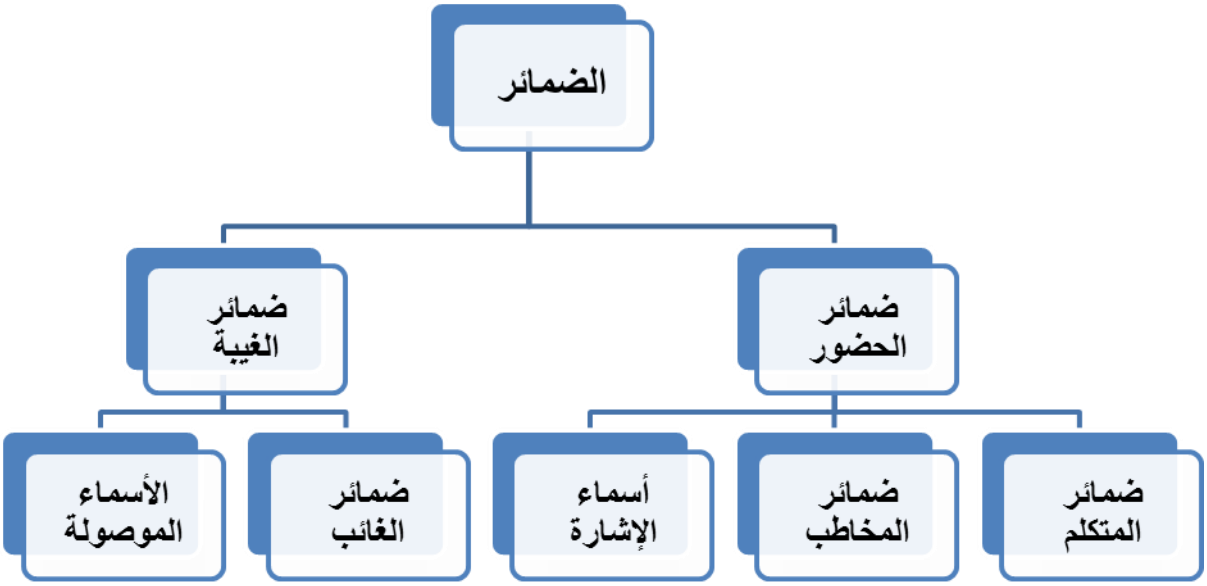

[١] ظ: اجتهادات لغوية، تمام حسان: ٢٢٦.

[٢] اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٨.

ويُلاحظ أن ضميري المتكلم والمخاطب يفسرهما وجود صاحبهما وقت الكلام، فهو حاضر يتكلم بنفسه أو حاضر يكلمه غيره، فهي ضمائر حضور.

أما ضمير الغائب فهو الشكل الفارغ الذي يحيل على شيء واقع خارج التخاطب فصاحبه غير معروف؛ لأنه غير حاضر ولا مشاهد فلابد لهذا الضمير من شيء يفسره ويوضح المراد منه والأصل فيه أن يكون متقدما على الضمير مذكورا قبله ليبين معناه ويكشف المقصود منه فيجيء الضمير مطابقا له وهذا الشيء المفسَّر يسمى **(مرجع الضمير)**[١].

وعلى الرغم من تقرير هذه الأصول، إلا أن بعضها من وجهة نظر الممارسة التداولية، لا تثبت في دلالتها على مرجع معين، بل يجد المرسل أن دلالتها في الأصل لا تفي بالتعبير عن قصده، تماما بحسب ما يريد، وبحسبان هذا يلجأ إلى التلاعب بهذا النظام وإخراج هذه الدوال عن مدلولاتها الأصول فيحول بعض الأدوات الإشارية في السياق الاجتماعي مثل الضمائر من وظيفتها الدلالية للدلالة على المرجع، إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشرا على قصده، وهذه معان تفهم من سياق الخطاب إذ تعد مراعاتها – عند النحاة – شرطا من شروط الإفادة، وهذا ما يطلبه نظام اللغة لكن عندما يتعلق الأمر باستعمال اللغة على وفق قصد المتكلم ومراعاتها للمقام الذي يمر به وضرورة إنتاجه لمقال يتواءم معه، فإن الأمر يختلف في حال حضور مخاطب آخر. ومن ذلك أيضا اختلاف المواقف الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب، فنجدهم يخاطبون المخاطب المفرد بخطاب الجماعة؛ وذلك لشحن كلامهم بالاحترام. ويخاطبون الغائب بصفات التكريم كجلالة الملك أو يقال**(جلالته)**[٢].

وتأسيسا على ما تقدم ذكره تُعد ضمائر الحضور إشاريات تداولية بطريق اعتمادها على مفسر يوضحها ويزيل إبهامها،

أما فيما يخص الدراسة التداولية للإشاريات الشخصية الواردة في جوابات **الإمام علي**(عليه السلام) فنجدها تفرض علينا أن نتساءل من أين؟ والى أين يتجه خطاب **الإمام**(عليه السلام)؟؛ لأن التداولية في حقيقتها تحاول الإجابة عن جملة من التساؤلات من قبيل: مَن يتكلم؟ ومع مَن؟ ولأجل ماذا؟ الى غير ذلك[٣].

---

[١] ظ: الذاتية في اللغة: ٧٤، والنحو الوافي: ١/٢٥٥.

[٢] ظ: اجتهادات لغوية: ٢٢٦.

[٣] ظ: المقاربة التداولية: ١١.

وقد تعددت الإشاريات الشخصية وتنوعت في جوابات **الإمام**(عليه السلام) بين ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، واسم الاشارة بحسب طبيعة الموقف وما يتطلبه من استعمال وتوظيف لتلك الإشاريات فمقام الافتخار والاعتداد يختلف عن مقام النصح والارشاد ويختلف عن مقام التهديد والوعيد وهذا ما يتطلب منا الوقوف على جملة من الأمور:

١. الضمائر التي تشير الى المتكلم وتعدد هيئاتها والأسلوب، الذي يتخذه في تداولها كاستعمالها(متصلة أومنفصلة)، و(مفردة أو جمعا).

٢. الضمائر التي تشير الى المخاطب، الذي يمثل طرفا في الخطاب المرسل أو يكون متلقيا له.

٣. الضمائر التي تشير الى الغائب ومنزلة ذلك الغائب وأثرها في تغير الخطاب.

والمعروف أن ضمير المتكلم ينسب الى المتحدَّث وتأسيسا على هذا يتمثل المخاطِب في النهج ومستدركه **بالإمام**(عليه السلام) بوصفه من يقوم بالجواب والرد على الطرف المقابل مبينا أوموضحا أو مفندا أو غير ذلك.

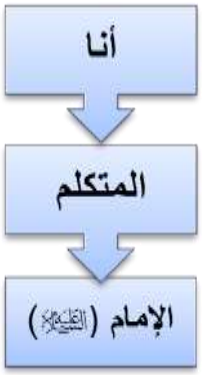

وقد جاء خطابه(عليه السلام) ذا ألوان مختلفة من حيث استعمال الضمائر الدالة على التكلم – متصلة كانت أو منفصلة– فتارة نجده يوظف الضمير المفرد المنفصل(**أنا**)[١]، أو الضمير المتصل (**الياء أو التاء**)[٢]، وتارة أخرى يستعمل ضمير المتكلمين

---

[١] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١٦٩/١، ٣٤١/٣، ومستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء، تح: السيد ابو الحسن علي الموسوي: ٣٩٥، ومصباح البلاغة: ٢٦٠/٣– ٢٦١، ٦٠/٤.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٥٥/١، ٧٩، ومستدرك نهج البلاغة: ٣٠٥، ونهج السعادة: ١٩٦/١، ١١٢/٢، ١٥٣، ٣٢٥، /١٧٠، ٢٠٤.

(نحن)[١]، وتارة ثالثة يورد ضمير الجمع **(نا)**[٢]، أو غيرها، بحسب سياق المقام والموقف وما يتطلبه من استعمال دقيق يتلاءم معه. فعن طريق هذه الآليات التداولية يتحقق الهدف الذي يسعى إليه المتكلم في خطابه على وفق السنة التي يرسمها في ذهنه. فمن استعماله للضمير المتصل**(التاء)** والمنفصل **(أنا)** قوله(عليه السلام) في جوابه الذي يذم به بعض أهل العراق:((**أَمَا وَاللهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، وَلكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ، قَاتَلَكُمُ اللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلاَّ وَاللهِ، ولكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِـنْ أَهْلِهَا**))[٣].

ففي هذا النص يخاطب **الإمام**(عليه السلام) بعض أهل الكوفة بصيغة الذم والتقريع نتيجة لتثاقلهم عن جهاد معاوية بعد أن وجد نفسه مضطرا للمقام بينهم وقد تمثل خطابه باستعمال العنصر الإشاري المتمثل بالضمير المتصل **(التاء)** في قوله:**(أتيتكم، وجئت إليكم)** ومن الدقة في استخدام الأفعال نجده يورد الفعل**(أتى)**؛ ليدل به على السهولة واليسر وأن الأمر لا مشقة فيه بخلاف المجيء، الذي يدل على الشدة والعسر[٤] فضلا عن أنه(عليه السلام) جمع مع الإتيان بين الضميرين **(ت+كم)**؛ لأنك عندما تختار أناسا على قدر المسؤولية بمحض إرادتك فإنك تكون مطمئنا لهم وتشعر أنك قريب منهم ومن ثم فلا ضرورة للفصل بين الذوات على حين نجده(عليه السلام) مع فعل المجيء قد فصل بين الضميرين بحرف الجر**(ت+ إلى+ كم)**؛ ليشير به الى التباعد بينه وبينهم وكأنه مفصول عنهم فهم لا يمثلونه بل هو في وادٍ وهم في وادٍ آخر فكان للضمائر فعل تداولي واضح في تغيَر منزلة المخاطَب.

وهؤلاء القوم مع تقاعسهم عن تأدية الجهاد وما طلب منهم كانوا قد رموا **الإمام**(عليه السلام) بتهم شتى باطلة إذ وصفوه بالكذب لأنهم لا يريدون ذلك فقد كان(عليه السلام) ((كثيرا ما يخبرهم عن الملاحم والأمور الغيبية وما يكون قبل كونه))[٥]، فضلا عن إيمائه الى أمور أخبره بها الرسول

---

[١] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٤٥٠/٤، ٢١٧/٢، ومصباح البلاغة: ٢٣٣/٤، ونهج السعادة: ٦٦٦/٢، ١٩٤/٩- ١٩٥.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١٩٤/٢، ٤١٩/٤، ونهج السعادة: ١٥٧/٣، ١٧٠/٥- ١٧٢.

[٣] نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح: محمد عبده:١/ ٨٩- ٩٠.

[٤] ظ: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٢، ولمسات بيانية، فاضل السامرائي: ٩٧- ١٠٥.

[٥] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصنيف: حسن زاده الاملي : ١٥١/٥، وظ: شرح نهج البلاغة، كمال الدين البحراني(ت٦٧٩هـ): ١٦٧/٢.

الكريم(صلَّى الله عليه وآله)[1]، فما كان منهم إلا أن عدَّوا كلامه ضربا من الكذب حتى بلغه ذلك فرد عليهم ردا قاطعا بأدلة دامغة لا محل للشك معها موظفا في ذلك الضمير المنفصل **(أنا)** في قوله: **((قَاتَلَكُمُ اللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟ أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ))** فقد استفهم منهم على سبيل التعجب والإنكار محتجا عليهم بحجج واضحة متمثلة بإيمانه بالله (ﷻ) وتصديقه بالرسول فقد جاء تقديم الضمير على الحجة في النص للأهمية والاختصاص؛ لأنه في مقام التفاخر والاعتداد بالنفس ورد الشبهات فلا بد من تقديم ذاته وإبرازها وتثبيتها للمتلقي فكيف يكذب من كان أول المؤمنين بالله (ﷻ) والموحدين له؟ أو كيف يكذب من كان أول المصدقين بالرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) والتابعين والناصرين له والسائرين على نهجه؟ وقد كان موقف الإمام(عليه السلام) هذا من المنافقين شبيها بموقف الرسول محمد(صلَّى الله عليه وآله) من الكافرين المنافقين في زمانه أيضا إذ وصفوه بالسحر والكذب في قوله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[2].

وقد ورد الاستفهام في الخطاب في غير معناه الأصلي على سبيل الاستفهام الاستنكاري؛ لأن الإمام(عليه السلام) لا يريد منهم جوابا على سؤاله بل هو في مقام تقريعهم إذ نجده متعجبا من جهلهم وقلة حيلتهم مذكرا إياهم بمنزلته من الله ورسوله بتوظيف ضمير المتكلم**(أنا)** الذي أدى غرضا تداوليا اقتضاه المقام في البنية الخطابية.

ومن إيراده لضمير المتكلم **(الجمع)** في إحدى جواباته قوله(عليه السلام) بعد أن توجه إليه أحدهم بالسؤال عن المراد بأهل الذكر في قوله تعالى: ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾[3] فما كان من الإمام(عليه السلام) إلا أن أجابه قائلا:((**والله إِنَّا لَنَحْنُ أَهْلَ الذِّكْرِ، نَحْنُ أَهْلُ الْعِلْمِ، ونَحْنُ مَعْدِنُ**

---

[1] ظ: بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري: ٢٣٨/٦.

[2] سورة ص: ٤.

[3] سورة النحل من الآية: ٤٣، وسورة الأنبياء من الآية:٧.

التَّأوِيلِ وَالتَّنْزِيلِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ الله (صلى الله عليه وآله) يقول: (أنَا مَدِينَةُ العِلمِ وَعَلِيٌّ بَابُها، فَمَن أرَاد العِلمَ فَلْيَأتِهِ مِن بَابِهِ)[1]**))**[2].

فقد جاء جواب الإمام(عليه السلام) لبيان تفسير الآية باستعمال ضمائر المتكلم بصيغة الجمع **(إنَّا، ونحن)** في قوله: **(والله إنَّا لَنَحْنُ أهْلَ الذِّكْرِ، نَحْنُ أهْلُ الْعِلْم ونَحْنُ مَعْدِنُ التَّأوِيلِ وَالتَّنْزِيلِ)** ليخص بهذه المؤشرات الشخصية أهل البيت**(عليهم السلام)** والذكر هنا هو القرآن الكريم بدلالة قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3]، وأهل الذكر هم أهل بيت النبي(صلى الله عليه وآله)، الذين كانوا أهل الله وخاصته وحفظة كتابه العزيز العاملين به قولا وفعلا إذ نزل بين ظهرانيهم فحملوه في صدورهم وقلوبهم فكانوا أصله وفرعه ومبدأه ومنتهاه يعلمون تفسيره وتأويله ومحكمه ومتشابهه وخفاياه فكان علمهم به علما لَدُنيّا من الله (عز وجل) وليس لبشر عليهم فضل في ذلك.

ومن ثمَّ يُلحظ في البنية الخطابية انسجاما كبيرا بمجيء الضمائر بصيغة الجمع التي تتلاءم مع سياق الآية القرآنية؛ لأن لفظ **(أهل)** الوارد فيها يدل على الجماعة.

وقد كان مرجع الضمائر في النص يعود على المتكلم المتمثل بالإمام(عليه السلام) فضلا عن أهل البيت**(عليهم السلام)** وقد جاء ضمير المتكلم **(إنَّا)** ليفيد معنى التخصيص متشربا معنى التوكيد إذ اجتمعت في قوله: **(والله إنَّا لَنَحْنُ أهْلُ الذِّكْرِ)** أربعة مؤكدات كان أقواها التوكيد بلفظ الجلالة ثم التوكيد بـ**(إنَّ)** الداخلة على ضمير الجمع**(نا)** واللام الداخلة على الضمير **(نحن)** فضلا عن التوكيد الحاصل بالجملة الإسمية والضمير المنفصل **(والله+ إنَّ+ لـ+ نحن والجملة الإسمية)**. وأن إبراز الضمائر فيه شيء كبير من التثبيت والتوكيد فلم يكتف الإمام بإفراد العنصر الإشاري المؤكد (إنَّا) بل أردفه بالضمير (نحن) المؤكد أيضا ليُزيد التوكيد توكيدا فكان قوله مفعما بالأدلة الإشارية التداولية وغيرها التي تحصر علم القرآن بأهله وهم الرسول الكريم**(صلى الله عليه وآله)** وأهل بيته الأطهار**(عليهم السلام)** وأفاد إظهار الضمائر وتقديمها حقيقة ناصعة تتمثل في جعل أهل

---

(1) ظ: المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا: ١٣٧/٣

(2) نهج السعادة، محمد باقر المحمودي، تصحيح: عزيز آل طالب: ٥٢٢/١١.

(3) سورة الحجر: ٩

البيت المرجع الأمثل والأسمى الذي لا يدنوه شيءٌ فهم ينابيع العلوم، وعلمهم بمنزلة العذب الفرات الذي يرده الإنسان ليرتوي منه وبه وبمنزلة الضياء الذي يُقتبس من نوره ليُستضاء به ومن ثمَّ أدت الإشاريات الواردة في الجواب الغاية المرجوة منها[١].

ومن توظيفه لضمير المتكلم **(الجمع)** أيضا قوله(عليه السلام): ((**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنا، فِعْلَ الأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذلِكَ كَذَلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلاَفِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِير مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ فَإِسْلاَمُنَا مَا قَدْ سُمِعَ، وَجَاهِلِيَّتُنَـــا لاَ تُدْفَعُ**))[٢].

وجه الإمام(عليه السلام) كلامه في هذه البنية الخطابية إلى معاوية وهو من أحد كتبه التي يرد فيها عليه بعد أن نصَّب معاوية نفسه للتفضيل بين فلان وفلان فأجابه الإمام(عليه السلام) وصولا الى هذه القطعة الافتخارية التي يعقد فيها الإمام(عليه السلام) بعضا من المقارنة البسيطة بين نسبه ونسب معاوية وما انحدر منه وبحسب هذا يُلحظ كثرة ورود ضمير جمع المتكلمين **(نا)** في القول في مواضع كثيرة(**إنَّا، ربنا، لنا، يمنعنا، عزنا، طولنا، أنفسنا، نكحنا، منا، لنا**)، وهو أمر طبيعي؛ لأن المفاضلة قامت على الجماعة وليس الذاتية غير أن هذه الجماعة خاصة بالمتكلم من دون إدخال عنصر المتلقي معه ، فقد افتخر الإمام(عليه السلام) بنسبه ومنزلته ومنزلة الرسول الكريم(**صلى الله عليه وآله**) وأهل بيته من الله (عز وجل)، تلك المنزلة التي لا تدانيها منزلة البتة وكان مفاد قوله إن كان هناك فضل فنحن أولى وأحق به من سوانا ويُلحظ أن المفاخرة لم تقتصر على نفسه(عليه السلام) فحسب بل نجد مصداقا لها في ذوات الجماعة ومن ثمَّ كثرت ضمائر جمع المتكلمين، لأن الإمام(عليه السلام) كان لسان حالهم(**عليهم السلام**)، ففي قوله: **(فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)** تُلحظ دقة في التعبير إذ عبر عنه **ابن أبي الحديد** بقوله: ((كلام عظيم عال على الكلام ومعناه عال على المعاني وصنيعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره يقول ليس لأحد من البشر علينا نعمة بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صنائعنا فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت وباطنه أنهم عبيد الله وأن

---

[١] **ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢٠٢/٦.**

[٢] **نهج البلاغة:٣/ ٣٥٦.**

الناس عبيدهم))[1]، وقد أسهم العنصر الإشاري المتمثل بضمير الجمع **(نا)** في قوله:(**فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)** إسهاما لافتا إذ نبه الإمام(عليه السلام) عن طريق استعماله على ((أنّ جميع حجج الله اصطنعهم الله تعالى لنفسه واصطفاهم بين سائر عباده فهو(عليه السلام) ينادى بأعلى صوته بأنّ خليفة الله لا بدّ من أن يكون منصوبا من عنده تبارك وتعالى))[2]؛ لأنه (سبحانه وتعالى) أدرى بمصلحة العباد وأعلم بمن يختاره ليكون خليفته عليهم فضلا عن أن الإمام باستعماله ضمير الجمع منحه أبعادا إشارية متنوعة يفهمهـا المخاطَب بحسب ثقافته وحذاقته وحنكته في تلقي معنى الكلام وظلاله.

ويستمر الإمام في تحشيد المؤشر الشخصي **(نا)** منجزا به غرضا تداوليا فعلى الرغم من ذلك الشرف الرفيع والمنزلة والمكانة التي كانوا عليها**(عليهم السلام)** فإن ذلك لم يمنعهم من الاختلاط والاتصال بمن ليسوا بكفؤ إذ يقول(عليه السلام): **(لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا وَلاَ عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنا، فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ)**، أي: لم يمنعنا ذلك الفضل والشرف وتلك المكانة الرفيعة من أن تزوجنا منكم وتزوجتم منا كما يفعل الأكفاء ولستم أكفاءنا، فإن الكفؤ قد يتزوج ويزوج غير الكفؤ[3]. ونلحظ في قوله(عليه السلام) درجة كبيرة من التواضع والإنسانية التي يبديها الإمام عندما يجمع بين الضميرين **(نا + كم)** في قوله:**(خلطناكم)** وعضدها بقوله: **(بأنفسنا)**؛ للإشارة الى شدة التلاصق والتقارب والاندماج، أي: كأن نفوسنا أصبحت كالخليط الواحد والشيء المتشابه على الرغم من أنكم لستم أهلا لذلك ثم بعد ذلك يأخذ الإمام(عليه السلام) بتفصيل نفي التكافؤ بين الطرفين بعقد مناظرة بسيطة على صحة ما ذهب اليه وللبرهنة على أنهم لا يُقرنون بآل رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** مستعملا العنصر الإشاري الضمير **(نا)** للمتكلم والعنصر الإشاري الضمير **(كم)** للمخَاطب من أجل بيان نسبه(عليه السلام) وحقيقة نسب معاوية، فكان كلامه بمثابة الإيجاز والتفصيل فقد ذكر عدم الكفاءة المتمثلة بالإيجاز ثم برهن على مذهبه بعقد تلك المقابلة التي مثلت التفصيل ثُمَّ يستمر تغييب الذات في الجماعة حتى يضحى الأمر قائما بين فرقتين مختلفتين في كل شيء وصولا الى الفصل بين الضميرين: ضمير المتكلم**(نا)**، وضمير المخاطب**(كم)** في قوله: **(مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ)**، وهو أمر منطقي متسلسل مكمل لما قبله، فبعد أن تطرق الى ذكر البون الشاسع بينهما وعدم الالتقاء في

---

[1] شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم:١٩٤/١٥.

[2] منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة(الخوئي): ٩٨/١٩.

[3] ظ: في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية: ٤٧٠/٣، ومعارج نهج البلاغة: ٧٤٣/٢.

أي شيء جاء الفصل متناسقا على الرغم من ذلك فكل تلك الإشارات والدلالات قد أدتها الضمائر بتوظيفها بدقة وتداولها بعناية بين الجمع والفصل وما تشير إليه من مرجع.

ومن إيراده(عليه السلام) لضمير المخاطب[1] قوله الذي يردَّ به على **ابن عباس** بعد أن جرت بينهما جملة من الكتب التي دارت حول أخذ المال من بيت المسلمين من دون وجه حق إذ كان **ابن عباس** قد أخذ من بيت المال أكثر من حقه مستندا الى مكانته في الإسلام وبعد أن أقنعه الإمام(عليه السلام) بإرجاع ما أخذه ردَّ عليه قائلا: **((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اَلْمَرْءَ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ فَمَا أَتَاكَ مِنْ الدُّنْيَا فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكْثِرِ عَلَيْهِ جَزَعاً واجْعَلْ هَمَّكَ لِمَا بَعْدَ اَلْمَوْتِ والسَّلام))**[2]، يتوجه الإمام(عليه السلام) الى مخاطبة **ابن عباس** بالانتقال من ضمير الغائب الى المخاطب بقوله: **(فَمَا أَتَاكَ مِنْ الدُّنْيَا فَلاَ تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تُكْثِرِ عَلَيْهِ جَزَعاً واجْعَلْ هَمَّكَ لِمَا بَعْدَ اَلْمَوْتِ والسَّلام)**، فقد كان للإشاريات الشخصية المتمثلة بضمائر المخاطب حضور في النص العلوي إذ تنوعت بين الضمير الظاهر المتمثل بـ**(الكاف)** في **(أتاك، وفاتك، وهمك)** والمستتر المتمثل في النهي والأمر**(لا تكثر، واجعل)** فظروف المقام أدت الى ورود صيغتي النهي والأمر اللتين تحملان في طياتهما معنى النصح والإرشاد، ومن ثمَ فقد أعطت المؤشرات الشخصية بعدا تداوليا إذ جاء بعضها ظاهرا لكي يجعل من المخاطَب الذات المركزية التي يعود إليها الخطاب وبمنزلة المفعول به في المعنى ولتدل على أنه في حالتي الظفر بالشيء والانبساط به أو الحزن عليه بفقدانه يكون الإنسان مغلوبا على أمره ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، وإنما ذلك من المدبر(عز وجل) في حين جاء بعضها الآخر مستترا؛ لانصباب الاهتمام على الأمر أو الشيء المنهي عنه من دون صاحب الشأن نفسه وكأن المراد من ذلك المخاطَب بصورة خاصة وسائر الناس بصورة عامة فهو تنبيه وتحذير لهم في آن معا.

ومن الإشاريات الدالة على الغائب ما أورده الإمام(عليه السلام) في كلامه وذلك عندما نزل كربلاء وصلى فيها ورفع إليه من تربتها فشمَّها، ثم قال: **((وَاهَاً لَكِ يَا تُرْبَةُ، لَيَحْشُرَنَّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ – وَهُوَ يَشِيْرُ بِيَدِهِ وَيَقُولُ هَاهُنَا هَاهُنَا – فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِين؟ فَقَالَ(عليه السلام): ثِقْلٌ لآلِ مُحَمَّدٍ يَنْزِلُ هَاهُنَا، وَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُم، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُم، وَوَيْلٌ لَكُمْ**

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٥، ١٨٦/٢، ٣٢٠، ٤٥٢/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ١٦٧، ١٧٢، ونهج السعادة: ١١٢/٥، ١٢٠، ١٥٧.

[2] نهج السعادة: ٣١٢/٥.

عَلَيْهِم، هَاهُنَا مَنَاخُ رِكَابِهِم، هَاهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِم، هَاهُنَا مُرَاقُ دِمَائِهِم كَرْبَلَاءٌ ذَاتَ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ))[1]. إذ جاء جواب الإمام(عليه السلام) مشتملا على جملة من الإشاريات الشخصية الدالة على الغائب في **(ينزل، ومنهم، ولهم، وعليهم، وركابهم، ورحالهم، ودمائهم)**، فكان مرجع الضمير في هذه العناصر الإشارية يعود إلى الإمام الحسين(عليه السلام) وعيالاته وأصحابه، الذين نزلوا كربلاء فحل بهم ما حلَّ من القتل والترويع والحرق والسبي في واقعةٍ خلدها التاريخ وحفظها ويحفظها بين دفتيه ما بقي الدهر، أَلَا وهي واقعة **(الطف)**، التي شهدت انتصار الدم على تلك الطغمة الفاسقة الخارجة على إمام زمانها فكان الإمام الحسين ومن معه من أهل البيت **(عليهم السلام)** هم الثقل النفيس الذي أراده الإمام(عليه السلام) في قوله: **(ثِقْلٌ لآلِ مُحَمَّد)**.

ويُلحظ ملمح لطيف في استعمال الضمير **(هم)** في قوله(عليه السلام)، لتقلبه في مواطن ثلاثة: **(وَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُم، وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُم، وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِم)**، فمعنى **(وَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُم)**، أي: أنكم تقدمون على قتلهم فتفعلون ذلك، وقوله **(وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُم)**، أي: أنكم بسبب قتلكم لهم يدخلكم الله في أسفل درك في جهنم فتلاقون الويل ثم الويل، وقوله: **(وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِم)**، يعني به أنكم ستشاهدونهم بأم أعينكم يقتلون ولا تستطيعون نصرتهم ولا تحركون ساكنا وبحسب هذا سيكـون تأنيب الضمير شديدا وقعُه على نفوسكم[2]، وربما كان في كلامه إشارة الى عظم الملحمة التي حدثت في كربلاء وأنهم سيُقتلون من أعدائهم مقتلة عظيمة.

لقد كان جوابه(عليه السلام) مشحونا بطابع الألم والحرقة يدلنا على ذلك ابتداء كلامه بـ**(وَاهَاً)** وما تشير إليه من الحسرة وذلك حينما أخذ يذكر نبأ مقتل ابنه الحسين(عليه السلام) ويشاهد المنظر كأنه حاضر أمامه فضلا عن أنه أراد في قوله أن يبين للسائل أن من سيقوم بذلك هم منكم قد احتزبوا ظلما وبهتانا وتعاونوا على الإثم لقتل ابن بنت نبيهم كل ذلك لتغيير مسار الدين وجعله يتماشى مع رغباتهم الدنيوية الرخيصة.

ففي كربلاء ينزلون ويكون فيها مناخ ركابهم ومُراق دمائهم فكان تكرار الضمير مع الركاب والترحال والدماء يصور لنا حالة الأسف واعتصار قلب الإمام(عليه السلام) وهو يشير الى الموضع

---

[1] مستدرك نهج البلاغة: ١٣٠.

[2] ظ: بحار الأنوار: ٣٢/٤٢٠، ودراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين: ٢٤٤.

الذي سيقتل فيه ابنه ويُلحظ تكراره لاسم الإشارة **(هاهنا)** فهو(عليه السلام) يورد التنبيه بالـ**(ها)** مع اسم الإشارة ليلفت نظر المتلقي أو السائل الى أهمية الموضوع المتحدث عنه وعظمته فيبقى متنبها متصلا في العملية التخاطبية ومن ثمَّ الذي منح الجواب بعدا تداوليا هو استعمال الضمائر بدل التصريح بها.

ومن استعماله(عليه السلام) اسم الموصول **(الذي)** للدلالة على الغائب[1] ما يذكره بقوله:((**أَمَّا بَعدُ، فَإنَّكِ خَرَجْتِ مِنْ بَيْتِكِ تَطْلُبِيْنَ أَمْرَاً كَانَ عَنْكِ مِوْضُوعَاً، ثُمَّ تَزْعُمِيْنَ أَنَّكِ تُرِيْدِينَ الإصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، فَخَبِّرِيْنِي، مَا لِلنِسَاءِ وَقَوْدُ العَسَاكِرِ؟ وَلَعَمْرِي إنَّ الَّذِي عَرَّضَكِ لِلبَلَاءِ وَحَمَلَكِ عَلَى المَعْصِيَةِ، لأعْظَمُ ذَنْبَاً**))[2]، فقد جاء خطابه(عليه السلام) ردًّا على بعضهم بعد حادثة خروجه عليه والمطالبة بدم عثمان سنة (٣٦) من الهجرة في واقعة **(الجمل)**، وقد استعمل الإمام(عليه السلام) في كلامه اسم الموصول**(الذي)** مع صلته استعمالا تداوليا إذ أورده للدلالة على غائب لا يدل عليه السياق الكلامي فكان مرجعه يعود الى خارج النص؛ لأن المعني به بعض الصحابة.

وقد جاء جوابه(عليه السلام) مشحونا باللّوم والتأنيب باستفهام استنكاري بقوله: **(مَا لِلنِسَاءِ وَقَوْدُ العَسَاكِرِ)** فكان مراده به أنه لا يكون الفلاح في قوم يجعلون مقاليد أمورهم في يد امرأة ومن ثم كان عود العنصر الإشاري **(الذي)** الى خارج النص وقد دلت عليه حيثيات السياق المقالي متعاضدةً مع السياق المقامي.

وفضلا عن توظيف اسم الموصول واستعماله استعمالا تداوليا يجد الباحث حضورا لاسم الإشارة **(هذا)**، وقد وُظِف للدلالة على الشخص الحاضر واكتسب قيمة تداولية[3] من ذلك قوله(عليه السلام):((**أُبَشِّرُكَ (يَاحَارِثْ)**[4] **لَتَعْرِفُنِي عِنْدَ المَمَاتِ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ وَعِنْدَ الحَوْضِ وَعِنْدَ**

---

[1] **ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢/٢٣٠، ٣/٣٣٨، ٤/٤١٣، ونهج السعادة: ١/٤٠٩، ٤/١٩٩، ومصباح البلاغة: ١/٢٥٧، ٢/١٢٨، ٣/١١.**

[2] **مستدرك نهج البلاغة: ١٧٢.**

[3] **ظ: على سبيل المثال: مصباح البلاغة: ٢/١٣٩، ونهج السعادة: ١/٢٥٨، ١٠/٢٩٩.**

[4] **هو أبو زهير الحارث الأعور الهمداني، من كبار التابعين الرواة، كان من القرّاء ومن أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وخاصته، وهو أحد العلماء في قومه ولاسيما في الفرائض وعلم الحساب وله قول في**

المُقَاسَمَةِ قَالَ الحَارِثْ: وَمَا المُقَاسَمَةُ يَامَوْلَايَ قَالَ مُقَاسَمَةُ النَّارِ أُقَاسِمُهَا قِسْمَةً صَحِيحَةً أَقُوْلُ هَذَا وَلِيِّيْ فَاتْرُكِيهُ وَهَذَا عَدُوِّي فَخُذِيْه))[1]، فكان هذا الكلام جزءا من خطاب دار بين الإمام(عليه السلام) والحارث الهمداني وصولا الى خطابه هذا الذي أورد فيه اسم الإشارة**(هذا)**.

ففي قوله: **(مُقَاسَمَةُ النَّارِ أُقَاسِمُهَا قِسْمَةً صِحَاحَاً أَقُوْلُ هَذَا وَلِيِّيْ فَاتْرُكِيهُ وَهَذَا عَدُوِّي فَخُذِيْه)** ترغيب وبشارة تدعو الموالي الى التمسك بولاية الإمام علي وأهل البيت**(عليهم السلام)** والسير على نهجهم والتأسي بهم، فهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها وهم سفينة النجاة التي بلزومها يكون الخلاص؛ لأن فضائل أهل البيت وخيرهم ممتد في الدنيا والآخرة لا ينقطع أمده البتة ولك نظراً لمنزلتهم عن الله تبارك وتعالى.

ومن جانب آخر نلمس قصدية التحذير في تحديد الشخص المعادي لتلك الذريــة الطاهرة المطهرة وبيان مآله، ويُلحظ في استعمال العنصر الإشاري المتمثل باسم الإشارة**(هذا)** تصوير لذلك الموقف الرهيب الذي سيمر به الإنسان، ويكون فيه بأمس الحاجة الى الشفاعة والخلاص من نار وقودها الناس والحجارة ويلحظ أيضا أن اسم الإشارة يرجع في النص الى الشخص المعين المحدد الذي يدور حوله الحديث **(الموالي– المعادي)**.

وقد يحدث في جواباته (عليه السلام) ورود ما يسمى بأسلوب **التحول** في عود الضمير على مرجعه؛ بطريق التغيير والتنويع والانتقال من صيغة إلى أخرى، ولا يكون ذلك إلّا لغاية تداولية تتمثل في لفت ذهن المتلقي أو المخاطَب وإبقائه على تواصل وتفاعل مع الخطاب الصادر عن المرسل أو المتكلم؛ إذ ينشط ذهنه ويستدعي تركيزه بكسره أفق التوقع وتغييره للنمط الذي تسير عليه العملية التخاطبية[2]، ولا شك في ((أنّ مثل ذلك العدول يمثّل أفضل استخدام لسيمياء التداول على المستوى النصي، وهو كذلك عدول سيميائي من نوع خاص؛ إذ يعتبر الضمير

الفتيا، أخذ العلم عن الإمام علي(عليه السلام) **وعن** ابن مسعود، **(ظ: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين: ٣٦٧/٤).**

[1] مصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي: ٣٩٢/٢.

[2] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٤٧٠/٣، ٣٣٩، ٣٥٥، ٤٢٩/٤، ونهج السعادة: ١٥٣/٢، ٢٨٠/٤، ١٨/٥، ٣١٢/٥، ٤٨١/٩.

حاملا لدلالة الإيجاز والاختصار، وإنّ إضافة ذلك البعد الاستعمالي على المستوى النصي – دون الإخلال بالبنية التركيبية للنص – يمثّل تكثيفاً دلالياً يحافظ على وجود المتلقي في بناء النص، ويجبره على التدبر))[١].

ومن الأمثلة على هذا التحول، **التحول العددي** الذي نلحظه في قوله(عليه السلام): **((إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى لَو شاءَ لَعَرَّفَ العِبادَ نَفسَهُ، ولكِن جَعَلَنا أبوابَهُ وصِراطَهُ، وسَبيلَهُ وَالوَجهَ الَّذي يُؤتى مِنهُ، فَمَن عَدَلَ عن وَلايَتِنا أو فَضَّلَ عَلَينا غَيرَنا فَإنَّهُم عَنِ الصِّراطِ لَناكِبونَ))**[٢].

كان هذا بعض جوابٍ ردَّ به الإمام(عليه السلام) على **ابن الكواء** بعد أن سأله الأخير عن قولــه تعالى: ﴿ **وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ** ﴾[٣]، إذ نلمح في قوله **(فَمَن عَدَلَ عَن وَلايَتِنا أو فَضَّلَ عَلَينا غَيرَنا فَإنَّهُم عَنِ الصِّراطِ لَناكِبونَ)** انتقالة من العنصر الإشاري الكامن في الضمير الغائب(**هو**) في (**عدل، وفضّل**) الى ضمير الجمع(**هم**) في (**إنهم، وناكبون**)، وآية ذلك أن الإمام(عليه السلام) كان في مقام الموضح لمنزلته(عليه السلام) ومنزلة أهل البيت(**عليهم السلام**) من بعده، فهم أبواب الله (عزّ وجلّ) وصراطه القويم فمن يطلب الغاية التي تتمثل في الوصول الى الله (عزّ وجلّ) لابد له من الوسيلة، التي تتمثل في أهل بيت النبوة ونجد أن **(مَنْ)** في قوله(عليه السلام) **(فَمَنْ عَدَلَ عَن وَلايَتِنا)** هي اسم شرط يدل على العموم والمراد منه أي شخص مهما كانت مكانته أو منزلته إذا ما أضاع السبيل وتخلف عن الثقل الطاهر كان مآله الى غير الهدى فلا يستثنى من ذلك أحد وأسلوب الشرط كما هو المعهود يفيد التلازم بين الشيئين فإذا ثَبُت فعل الشرط ثَبُت الجواب ثم عدل(عليه السلام) عن الضمير المفرد الى الجمع، فقال: **(فَإنَّهُم عَنِ الصِّراطِ لَناكِبونَ)** إشارة منه الى تعظيم الأمر وتصويره بطريقة مخيفة؛ لأن من معاني **(نكب)**، العدول عن الشيء[٤]،وقد استعمل الإمام(عليه السلام) في بيان تلك العاقبة بعض المؤكدات التي تمثلت في **(إنَّ)** التوكيدية وكذلك **(اللام**

---

[١] الضمائر أسلوب القرآن المعجز. أحمد محمد عبد المنعم عطية، (بحث منشور على شبكة الألوكة).

[٢] نهج السعادة: ٩/١٩٥.

[٣] سورة الأعراف من الآية:٤٦.

[٤] لسان العرب، (نكب): ١٤/٢٧٥.

المزحلقة) في **(لناكبون)** فكأن العذاب حاصل لهم لا محالة فضلا عن أن مفردة **(ناكب)** جاءت على زنة **(فاعل)**، التي تدل على الحال والاستقبال وهذا يتناسب مع سياق الحديث؛ لأنهم قد أضاعوا الصراطين الأول المتمثل بأهل البيت وموالاتهم ومشايعتهم في الدنيا فهو الصراط الدنيوي والثاني المتمثل بالصراط الأخروي، الذي يمر عليه كل الخلق يوم القيامة.

فكان لهذا العدول والانتقال بين العناصر الإشارية غرض تداولي تمثل في كسر الرتم فضلا عن التنبيه والتحذير من الانحراف عن الصراط المحمدي.

ومن التحول بين الضمائر من المفرد الى الجمع ما ورد في جوابه(عليه السلام) على **(سويد بن غفلة)**[1] بعد أن تقدم سويد الى الإمام بسؤال عن سبب زهده ولاسيما بعد أن أصبح خليفة للمسلمين: **((وقال سويد بن غفلة: دَخَلْتُ عَلَى أَمِيْرِ المُؤمِنِيْنعليه السلام بَعْدَمَا بُوْيِعَ بِالخِلَافَةِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى حَصِيْرٍ صَغِيْرٍ لَيْسَ فِي البَيْتِ غَيْرَهُ فَقُلْتُ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِين بِيَدِكَ بَيْتُ المَالِ وَلَسْتُ أَرَى فِي بَيْتِكَ شَيْئَاً مِمَّا يَحْتَاجُ إليْهِ البَيْتُ فَقَالَعليه السلام: يَاابْنَ غَفْلَة إنَّ اللَّبِيْبَ لَا يَتَأثَّث فِـــيْ دَارِ النَّقْلَة، وَلَنَا دَارُ أَمْنٍ قَدْ نَقَلْنَا إليْهَا خَيْرَ مَتَاعِنَا، وإنَّا عَنْ قَلِيْلٍ إلَيْهَا صَائِرُوْنْ))**[2].

فهذا النص يكشف لنا مدى التواضع والزهد والانصراف عن ملذات الدنيا التي أعرض عنها الإمام(عليه السلام) فالخلافة والمنصب والمنزلة التي أصبح عليها بعد أن بُويع بالخلافة كل تلك المظاهر لم تغير منه شيئا ولم تُضف له ما ليس عنده بل على النقيض من ذلك فهو(عليه السلام) من أعاد لها هيبتها بتفعيل العدل والحق والسير على نهج الإسلام السليم القويم بعد أن فقدت الخلافة من ذلك الشيء الكثير ولاسيما بعد وفاة رسول الإنسانية(صلى الله عليه وآله).

---

[1] هو سويد بن غفلة الإمام، القدوة، الكوفي أسلم في حياة النبي، وسمع كتابه إليهم، وحدّثَ عن الإمام علي عليه السلام، وابي بكر، وعمر، وطائفة، وقد عرف بزهده، وتواضعه، وتقدم به العمر حتى بلغ (١٢٠ سنة)، وقد توفي سنة (٨١هـ)، (ظ: سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)، تح: بشار عواد معروف:٤/٦٩-٧٢).

[2] مستدرك نهج البلاغة: ٢٨٨.

فقد بدأ الإمام(عليه السلام) جوابه مستعملا ضمير الغائب **(هو)** بقوله: **(إنَّ اللَّبِيْبَ لَا يَتَأَثَّث فِيْ دَارِ النَّقْلَة)** مشيرا الى أن الإنسان الواعي صاحب العقل الراجح الذي يتفكر ويتدبر في الأمور لا يأبه إلا بما يقربه من الله زُلفى فلا يكترث لما في الدنيا من زينة وبهرجة ومظاهر كاذبة فهو على يقين بأنَّ كل ذلك لابد من أن يؤول الى زوال وأنه مفارق لجميعها، ونجده(عليه السلام) يستعمل النفي في قوله: **(لَا يَتَأَثَّث فِيْ دَارِ النَّقْلَة)**، فهو نفي قاطع لا هوادة فيه بمثابة حكم ثابت ومن ثمَ فإنَّ من رَكَنَ الى الدنيا واغتر بها كان خارجا عن ذلك الحكم.

وبعد أن سنَّ لنا(عليه السلام) المنهج الذي يسلكه اللبيب انتقل من الضمير الغائب الى ضمير المتكلم باستعمال ضمير الجمع **(نا)** في قوله: **(وَلَنَا دَارُ أَمْنٍ قَدْ نَقَلْنَا إليْهَا خَيْرَ مَتَاعِنَا، وإنَّا عَنْ قَلِيْلٍ إلَيْهَا صَائِرُوْنْ)** وربما ظن المتلقي بأن الإمام سيستمر على وتيرة واحدة في توظيفه للإشاريات الشخصية الدالة على الغائب غير أنه عدل الى ضمير المتكلم لكسر أفق التوقع عند السامع ودعوته للتنبه الى الرسالة المراد بثها؛ ليجزم بأن أهل البيت**(عليهم السلام)** ومن شايعهم وبايعهم وتابعهم بإحسان هم أولوا الألباب الذين يكون شغلهم الشاغل هو التدبر والتفكر بدار الأمن والطمأنينة وتأسيسا على هذا تراهم يقدمون لها خير متاعهم، وقول الإمام(**قَدْ نَقَلْنَا إليْهَا خَيْرَ مَتَاعِنَا)** يشير الى اختيارهم خير ما عندهم وأحسنه من متاع لتلك الدار فهو لا يقدم أي شيء كيفما اتفق وإنما يختار أفضل المتاع وأنقاه وبدخول **(قد)** على الفعل الماضي فإنها إشارت الى الاستعداد والتجهّز لذلك الانتقال، ففي كلامه يُلحظ أسلوب النصح والإرشاد من جهة فضلا عن نبرة التخويف والتحذير من الغفلة فكان في هذا الجواب جملة من الإشارات والدلالات التي دلنا عليها السياق نتيجة استعمال الإمام العناصر الإشارية استعمالا تداوليا من حيث التغيير فيما بينها وجعلها تحمل أبعادا ودلالات كُثُر.

ومن العدول عن الضمير الحاضر المتمثل في المُخَاطب الى ضمير الغيبة قوله(عليه السلام) **للأشعث ابن قيس**[1]، بعد أن اعترض الأخير كلامه(عليه السلام) عندما كان يتحدث عن حادثة

---

[1] **هو الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي أحد بني الحارث بن معاوية وفد الى النبي(صلى الله عليه وآله) وسلم سنة (١٠) من الهجرة تزوج ام فروة بنت أبي بكر وعاد الى اليمن وارتد عن الاسلام بعد النبي(صلى الله عليه وآله) وقد لعب دوراً كبيراً في تمرير مؤامرة (التحكيم) والدفاع عنها، وكانت السبب**

التحكيم: ((**وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الكُفْرُ مَرَّةً وَالاسْلامُ أخرى فَمَا فَداكَ مِنْ وَاحِدَة مِنْهُمَا مَالُكَ وَلاَ حَسَبُكَ وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمقُتَهُ الأَقْرَبُ، وَلاَ يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ**))[1]، إذ وظف الإمام(عليه السلام) العنصر الإشاري المتمثل بضمير المخاطب المتصل في (**أسرك، وفداك**)؛ لمحاورة الاشعث فهو كان قد ((أُسر في الكفر مرة وفي الإسلام أخرى))[2]، فجاوبه الإمام بقوله السابق مذكرا إياه بأن المال الذي تملك والحسب والمكانة التي كنت عليها كل ذلك لم ينجك من الأسر[3]، فقد كنت طريدته مرتين وقد استعمل الإمام في ذلك ضمير المخاطب بوصف الأشعث شاخصا أمامه فوجه الكلام اليه بصورة مباشرة ثم نلحظ التفاتة رائعة في جوابه بانتقاله من الإشاريات الدالة على الحاضر الى الغائب في قوله(عليه السلام) وفي هذا الأسلوب لفت للنظر وتنبيه للسامع ليكون متواصلا مع ما يُقال بجوارحه كلها؛ والأشعث معروف بمكره وغدره والإمام(عليه السلام) بقوله: (**وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ**) يشير الى ذلك الحديث الذي ((كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غرّ فيه قومه ومكر بهم حتّى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمّونه عرف النّار، وهو اسم للغادر عندهم))[4]، فإن الذي يقدم على هذا الفعل يكون جديرا بالكره والمقت من القريب وليس موضع ثقة وأمان عند البعيد ومن ثَمَّ فإن الإمام(عليه السلام) لم يخاطبه بهذا الكلام مباشرة وإنما عمد الى الضمير الغائب لعلم الحاضرين والسامعين بصنيعه مع قومه من جهة وليكون هذا الأمر حكما عاما لا يختص بشخص معين فلو وجه الإمام(عليه السلام) خطابه اليه مباشرة لظن السامع بأن المقصود هو الأشعث ولا يشمل الخطاب أحدا سواه ولكن لما جعل الإمام مرجع الضمير في النص يعود الى الغائب أعطى

الرئيس لنشوء الخوارج ومن ثمَّ نشوب معركة النهروان، وبحسبان هذا يُلحظ ان ابن أبي الحديد يقول في حقّ الأشعث:((كلّ فتنة أو فساد كان في خلافة أمير المؤمنين(عليه السلام) وكلّ اضطراب فأصله الأشعث))،(ظ: سير اعلام النبلاء: ٢/٣٧- ٣٨، واسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، تح: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود :١/٢٤٩، وشرح نهج البلاغة:٢/٢٧٩).

[1] نهج البلاغة: ١/٤٤.

[2] شرح نهج البلاغة: ١/٢٩١.

[3] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٣/٢٥٢، وشرح نهج البلاغة(الموسوي): ١/١٨٠.

[4] منهاج البراعة (الراوندي):١/١٨١.

لكلامه صفة الإعمام ليدخل من يغدر بقومه ويعرضهم الى الويل والهلاك في القول فيكون بذلك حكما ثابتا فكان الالتفات قد أضفى دلالات ومعاني وإشارات لم تكن لتُكشف من دونه.

يتضح مما سبق بأنّ الضمائر بأنواعها وصورها المختلفة بما اشتملت عليه وتضمنته من دلالات على التكلم والخطاب والغيبة، تُعد من إحدى أهم وسائل اللغة المستعملة للكشف عن العلاقات القائمة بين المنشئ للرسالة والمستقبل لها؛ إذ تكشف الوضع النفسي الذي يكون عليه أطراف الخطاب في مقام التخاطب، وأن التحول بين صيغها يجبر المتلقي على البقاء متصلا بالعملية التخاطبية فيستدعي انتباهه وتركيزه للخطاب محدثا تأثيرا ما، وبحسب هذا تعدّ الضمائر باختلافها أبرز الإشاريات الشخصية.

ثانيا: الإشاريات الزمانية:

وهي ألفاظ تدل على زمان يحدده المقام بالقياس إلى زمان التكلم؛ لأن زمان التكلم هو مركز الإشارة (**deictic center**) الزمانية إذ لا بد من معرفة وقت التكلم، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية ربما يلتبس الأمر على السامع أو القارئ فلا يعود يعرف مرجع تلك الإشاريات والى أي زمان تشير[1] ويمكن القول بأن القضية هنا نسبية بحسب السياق وما يقتضيه.

والإشاريات الزمانية تتمثل بظروف الزمان كـ(**اليوم، وغدا، وأمس، والآن، وقبل، وبعد)** والعبارات التي تدل على الزمن كأن تقول: **يوم الأحد القادم** أو **بتاريخ كذا** أو **بحرفي السين وسوف** وما إلى ذلك من ظروف الزمان الأخرى.

ومما تجدر الإشارة اليه هو أن الإحالة إلى الزمان، لها ارتباط وثيق بسياق التكلم الذي ترد فيه ومن أجل تحديد مرجعيتها، وتأويل الخطاب بصورة صحيحة فإن على المتلقي أن يكون على معرفة بزمان التكلم أو لحظة التلفظ؛ ليتسنى له اتخاذها مرجعا يحيل عليه، كما في خطاب صاحب المتجر **(سأعود بعد ساعة)**، فلا يستطيع المرسل إليه التنبؤ بالوقت الذي سيعود فيه

---

[1] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠.

المرسل، إلّا بعد معرفة زمان التكلم والسياق الذي قيلت فيه، فقد يكون التلفظ قد حدث قبل عشر دقاق أو نصف ساعة أو ساعة، فلحظة التلفظ هي المرجع[١].

وأن المقياس الشعوري يختلف في صميمه عن المقياس الزماني، الذي يعتمد في القياس على الأشهر، والأسابيع، والأيام، والساعات؛ لأن المدد الزمانية الموضوعية قد تنكمش في شعور الإنسان أو تتمدد وتبدو طويلة، بحسب مجرى الشعور وسرعة ذلك المجرى، إذ لا وجود للحياة الإنسانية من دون الانفعال والشعور الدائم بالذات، فالإنسان يعيش في قبضة مشقّة نفسية دائمة، فهو بين توقّع من المستقبل، ومعاناة من الحاضر، واستنادا الى ميراثيه النفسي والاجتماعي من الماضي[٢].

ومما ينبغي لفت النظر إليه أن العناصر الإشارية قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفا تقسيمه على فصول، وسنوات، وأشهر، وأيام، وساعات وقد تكون دالة على الزمن النحوي الذي ينقسم على ماض، وحاضر، ومستقبل، إذ يمكن أن يتطابق الزمنان الكوني والنحوي، وقد يختلف الزمن النحوي عن الزمن الكوني فتستعمل صيغة الحال (**الحاضر**)؛ للدلالة على الماضي، وصيغة الماضي للدلالة على الاستقبال، فيحدث لبس للقارئ لا تحله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة، وقد تستغرق الإحالة المدة الزمانية كلّها، نحو: يوم الأربعاء، وقد تتحدد، نحو: ضرب زيد عمرا اليوم؛ فالضرب لا يستغرق اليوم جميعه، بل في جزء منه، وقد تتسع فتتجاوز الزمان المحدد عرفاً إلى زمان أوسع[٣]، فـ((الفعل الماضي عادة يضع الحدث في نقطة زمنية سابقة على زمن التكلم بينما الفعل المضارع في العادة يضع الحدث في نقطة زمنية ليست سابقة على زمن التكلم))[٤]، ومن ثمَ فـ((لا مفرّ إذاً من النظر إلى الزمن في السياق نظرة تختلف عمّا يكون للزمن في الصيغة؛ لأنّ معنى الزمن النحوي يختلف عن معنى الزمن الصرفي من حيث أنّ الزمن الصرفي وظيفة الصيغة، وأن الزمن النحوي وظيفة السياق تحددها الضمائم والقرائن))[٥].

---

[١] ظ: استراتيجيات الخطاب: ٨٣.

[٢] ظ: الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، محمد عبد الواحد حجازي: ١٦.

[٣] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٠-٢١.

[٤] علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن: ١٦٥.

[٥] اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٢ .

ومن هنا يُرى((أنّ وقوع الصيغ المتغايرة في مستوى تركيبي واحد يعني تفريغ صيغة ما دون غيرها من الزمن حيث تشير إلى وجه من وجوه دلالتها الحدثية ومن هنا يكون من الخطأ إسناد الزمن إلى مثل هذه الصيغ بوصفها (شكلا زمنيا) لأنّ الزمن يُكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية))[١] .

إنَّ التمييز بين الأزمنة لم نجده عند المحدثين فحسب بل تلحظ جذوره ممتدة عمقا عند القدماء فقد تحدثوا عن ظاهرتين لهما علاقة بعدم التطابق بين زمني وجود الحدث والتكلم أو الإخبار عن الحدث، فهذا **ابن هشام (ت٧٦١هـ)** يشير الى ذلك بقوله: ((يعبرون عن الماضي والآتي، كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصْداً لإحضاره في الذهن حتى كأنّه مُشاهد حالة الإخبار))[٢]، ويذكر **السيوطي (ت٩١١هـ)** بأن ذلك من طرائق العرب وسننها في الكلام بقوله: ((ومن سنن العرب، أن تأتي بلفظ الماضي وهو حاضر أو مستقبل، أو بلفظ المستقبل وهو ماضٍ، نحـــو: ﴿ **أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ** ﴾[٣]، أي يأتي ﴿ **كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ** ﴾[٤]، أي أنتم ﴿**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ** ﴾[٥]، أي ما تلت))[٦].

ويعد ظرف الزمان **(الآن)** من الإشاريات الأكثر استعمالا في اللغة العربية وأن ما يحدد دلالته هو المقام فعلى سبيل المثال قولنا:

- **أجب الآن.**

- **التعليم الآن أفضل مما كان عليه قبل عشرين عاما.**

---

[١] **الزمن واللغة ، د. مالك يوسف المطلبي: ٧١**

[٢] **مغني اللبيب ، ابن هشام : ٦ / ٦٩١ .**

[٣] **سورة النحل من الآية: ١.**

[٤] **سورة آل عمران من الآية: ١١٠.**

[٥] **سورة البقرة من الآية: ١٠٢.**

[٦] **المزهر، السيوطي : ١ / ٣٣٥ .**

فالاختلاف الدلالي في استعمال الظرف **(الآن)** واضح في الجملتين إذ يُلحظ في الأولى أنه يشير الى لحظة التكلم مباشرة على حين دل في الثانية على هذه الأيام مقارنة بما مضى في السابق[١].

ولاختلاف الزمن حسب السياق وموقف التكلم ولحظته عمد **إميل بنفنيست**(E.Benveniste) الى تقسيم الزمن على ثلاثة أقسام معتمدا فيه على علاقة المتكلم بالزمن وهي[٢] :

١. **الزمن الطبيعي:** وهو ما يحس به الإنسان ويدركه في حياته ويختلف انقضاؤه من بيئة الى أخرى ويمتاز عن غيره من الأزمنة بالاستمرارية.
٢. **الزمن التاريخي:** ويُراد منه بأن الإنسان بوصفه جزءا لا يتجزأ من البيئة التي ينتمي إليها وأنه كائن حي، تتعاقب عليه مجموعة من الأحداث، يمكنه أن يؤرخ لحياته من بدايتها الى نهايتها عن طريق الذاكرة لتأليف ما يُسمى بالسيرة الذاتية.وهذا الزمن – أي التاريخي– يعود الى تاريخ أو مدة تاريخية في حضارة أو بيئة معينة.
٣. **زمن الحدث:** وهو المقصود والمعوَّل عليه في هذه الدراسة وقد أطلق عليه **بنفنست** مصطلح (زمن الحديث)، وسماه اللغوي الفرنسي **تودوروف**(Todorov) (زمن التخاطب)، وهو البحث عن تمثيلية الزمن في ارتباطه بلحظة الحديث ويتجلى زمن الحديث في الحاضر الذي يمثل مرجعيته أما الماضي والمستقبل فمتعلقان به.

وقد كان للإشاريات الزمانية حضور قوي في جوابات الإمام(عليه السلام) إذ أوردها(عليه السلام) بمعناها الحقيقي تارة وبمعناها المجازي تارة أخرى ونقصد بالمجازي ما دلَّ على أزمنة تفوق زمنه النحوي فضلا عن استعماله(عليه السلام) كثيرا من الأفعال التي خرجت عن زمنها النحوي كاستعمال الفعل الماضي للدلالة على الماضي، والحاضر، والاستقبال، واستعمال المضارع للدلالة على الماضي، والحال، والاستقبال ومن ثمَّ يخالف الزمن النحوي فيها الزمن الكوني؛ وكل ذلك عائد الى المقام وما يتطلبه من استعمال خاص يتناسب معه.

ومن ذلك قوله(عليه السلام) موردا الظرف**(يوما)** بمعناه المجازي[١]: **(أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ، فَلاَ أَحْرارُ صِدْق عِنْدَ النِّدَاءِ، وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَة عِنْدَ النَّجَاءِ)**[٢]، فقد

---

[١] **ظ: الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي: ٢٣، (رسالة ماجستير).**

[٢] **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب: ١١٥-١١٦.**

كان خطابه(عليه السلام) هذا موجها الى أصحابه – الذين مما يؤسف عليه أن يدعون بالأصحاب– بعد أن رضخوا لأمر التحكيم وعندما تمكن الإمام من معاوية وأصبح النصر وشيكا حصل المكر من معاوية بحادثة رفع المصاحف التي اغتر بها من في قلبه زيغ إذ ردَّ عليهم الإمام(عليه السلام) نتيجة لفعلهم هذا خطاب المستاء المتضجر بدلالة استعماله مفردة **(أفٍّ)**، فهي توضح الحال المأساوية المزرية التي وصلت اليها الحال بين الإمام(عليه السلام) وهؤلاء القوم فقد قاسى كثيرا بينهم ولقي منهم التخاذل والإعراض والجفوة والانحياز الى صف الباطل، فهم لا يجتمعون على حق البتة وقد ورد العنصر الإشاري المتمثل بظرف الزمان **(يوما)** في موضعين مكتسبا قيمة تداولية تتجلى في دلالته الخاصة؛ لأنه لا يراد به اليوم المُؤَلَّف من **(٢٤)** ساعة؛ لأن النداء أو النجاء في حقيقة الأمر لا يكون في اليوم كله وإنما يكون في وقت معين محدد معلوم من اليوم فكان الظرف هنا يدل على وقت من الأوقات فيكون المعنى: أي لستم أهلا لا في وقت النداء ولا في وقت المناجاة فقوله: **(يَوْماً أُنَادِيكُمْ)**، أي: أجهر بالقول[٣]؛ لأن في النداء إشارة الى رفع الصوت[٤]، فكان دائما ما يدعوهم الى الجهاد ونصرة الحق[٥]، فيكون الوقت الذي يناديهم فيه(عليه السلام) هو وقت الدعوة الى الحرب والقتال والتحشيد والحث على الجهاد وشحذ الهمم.

أما قوله(عليه السلام) :**(وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ)**، فالنجوى تشير الى الكلام الخفي[٦] كالمناجاة التي تكون بين العبد وربه، والنجوى التي أرادها الإمام هنا هي المشاورة والمسارَّة[٧]، فالإمام(عليه السلام) لعدالته وإنصافه في اتخاذ القرارات لا نجده مستبدا برأيه على الرغم من علمه بحقيقة نفوس القوم فهو

---

(١) ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢/٢٤٣، ٣/٣٤٥، ٤/٤١٣، ٤١٩، ومستدرك نهج البلاغة: ١٩٥، ونهج السعادة: ١/٢٤٣، ٢٦٢، ٢/٣٣٨، ومصباح البلاغة: ٢/٢٨٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢/١٧٧.

(٣) ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٨/١٥٨.

(٤) لسان العرب، (ندي): ١٤/٩٧.

(٥) ظ: بحار الانوار: ٣٣/٣٧٢.

(٦) لسان العرب، (نجو): ٨/٦٤.

(٧) ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٨/١٥٨.

يشاورهم بجميع الأمور التي تصب في المصلحة العامة، التي من شأنها أن تدفع الأذى والظلم عن المسلمين فيكون الوقت المعني باليوم هنا هو عندما تستجد الأحداث التي يحصل فيها تحاور ومشورة غير أنهم في كلا الأمرين فضلا عن دلالة الظرفين هنا على طول اللمناداة والمناجاة وتكرارها مرارا بدلالة توظيف الأفعال المضارعة (أناجي، أنادي) وهو أمر يدل على ثبات القوم على الباطل وتحجر عقولهم مهما حاول الإمام معهم، ومن ثَمَّ يمكن حمل قصد الإمام من اليوم هنا كل المدة التي قضاها الإمام مع أصحابه مناديا ومناجيا.

ومن توظيفة(عليه السلام) لظرف الزمان (أمس)[1] توظيفا تداوليا أيضا قوله بعد أن صحب **جابر بن عبد الله الأنصاري** الى الجبانة وسلم على أهل القبور فسمع جابر ضجة وهجة فسأل الإمام عن ذلك فأجابه(عليه السلام) :**((هَؤُلَاءِ بِالأَمْسِ كَانُوْا مَعَنَا وَاليوم فَارَقُوْنَا، إنْ تَسْأَل عَنْ أَحْوَالِهِم فَهُمْ أُخْوَانٌ لَا يَتَزَاوَرُونَ وَأَوِدَّاءَ لَا يَتَعَاوَدُوْن ... يَا جَابِر اعْطُوْا مِنْ دُنْيَاكُمُ الفَانِيَةِ لِآخِرَتَكُمِ البَاقِيَة، وَمِن حَيَاتِكُم لِمَوْتِكُم، وَمِن صِحَّتَكُم لِسَقْمِكُمْ، وَمِن غِنَاكُمْ لِفَقْرِكُم، اليَوْمَ أَنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِـــي القُبُور))**[2].

فقد وردت الإشاريات الزمانية في جوابه(عليه السلام) في أكثر من موطن، وهي جميعها جاءت على غير حقيقتها الزمنية المتفق عليها، ففي قوله(عليه السلام) :**(هَؤُلَاءِ بِالأَمْسِ كَانُوْا مَعَنَا)** يشير بـ**(الأمس)** الى الماضي المنقضي، أي الزمن الذي كان يعيشه هؤلاء المتحدث عنهم مع المتحدِث وأن الظرف **(أمس)** يخالف الأسماء من حيث التعريف والتنكير فهو ينَّكر عند تعريفه بـ**(أل)** وبحسب هذا خرج في هذا القول من نطاق اليوم الذي هو قبل يومنا الى نطاق الزمن الذي يعيشه الإنسان منذ ولوجه الحياة حتى مماته ومن ثم كان الظرف **(أمس)** مساويا لمدة حياة الإنسان في هذا السياق.

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣/٣٤٥، ٤/٤١٩، ومستدرك نهج البلاغة: ١٩٥، ونهج السعادة: ٤/١٧٠، ومصباح البلاغة: ٤/١١٤، ٣/١٤٠.

[2] مصباح البلاغة: ٣/٢٩٣.

وأما في قوله(عليه السلام): **(وَاليَوم فَارَقْنَا)** فظرف الزمان **(اليوم)** دل على الماضي، والحاضر فهو يشتمل على المدة التي فارقوا بها الحياة الى وقت التكلم، أي في الزمن الذي عشناه ونعيشه، ومن ثم قصد الإمام بجوابه هنا اختزال الحياة التي عاشها هؤلاء بين الامس واليوم إشارة منه الى قصر الحياة وفنائها الحتمي وفناء من فيها والخطاطة الآتية توضح لنا استعمال الظرفين:

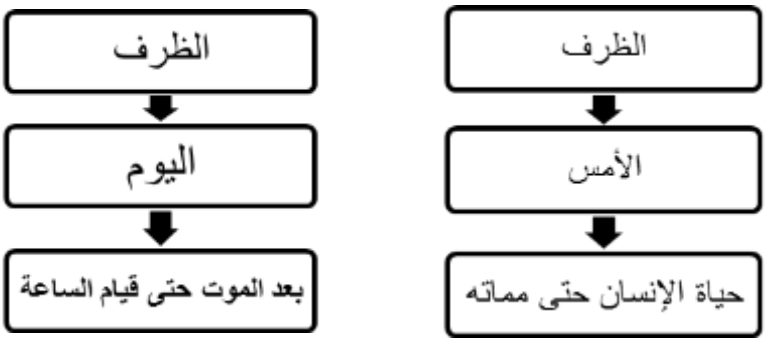

ثم تُعاد الصورة بصوغ أمثلة أخرى عن طريق التغاير بين الظروف وإكسائها لباسا جديدا ودلالة جديدة بذكر العنصرين الإشاريين اليوم و(غدا)[1] بقوله(عليه السلام):(**اليَوْمَ أَنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِي القُبُور)** إذ كانت دلالة **(اليوم)** الحياة التي يقضيها الإنسان في دار الدنيا، و**(غدا)** اللحظة التي تفارق روحه الجسد، وتمتد الى قيام الساعة التي يصير اليها الخلق جميعا. وقد تضمنت هذه الظروف بدلالاتها المتنوعة جملة من الإيحاءات التي تحمل النفس الإنسانية على التفكر والتدبر مليا فالإمام(عليه السلام) في جوابه هذا قد وجه خطابه الى جابر ظاهرا، الذي يُمثّل المتلقي المباشر الأول. أما باطنه فهو رسالة الى كل سامع ولبيب فالمرسل هنا واحد، على حين أن المتلقي متعدد بدلالة استعماله ضمير الجمع في الخطاب **(أعطوا)** فيكون المعنى انت**(السامع)** وسواك ممن آثر الدنيا الفانية على الآخرة الباقية. وأن في قوله(عليه السلام):(**يَا جَابِر اعْطُوْا مِنْ دُنْيَاكُمُ الفَانِيَةِ لِآخِرَتَكُمِ البَاقِيَة...اليَوْمَ أَنْتُم فِي الدُّوْرِ، وَغَداً فِي القُبُور)**. نصح وإرشاد من جهة إذ يحمل السامع على التنبه من الغفلة كي لا يفوته الفوت ويشتمل في خاتمته من جهة أخرى على معنى التحذير والتخويف. فهو كلام تخشع له القلوب وتقشعر له الأبدان، له وقع بالغ الأثر في نفس المؤمن وقد شاركت العناصر الإشارية الزمنية في تقديم هذا المعنى.

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢/٢٤٣، ونهج السعادة: ٢/١١٢، ٧/٣٨٣.

ومن استعماله(عليه السلام) للظرف **(الآن)**[1]؛ الذي ورد في مواضع قليلة من جواباته قوله مجيبا على من سأله عن قول الرسول الكريم محمد **(صلى الله عليه وآله)**: ((**غَيِّرُوا الشَّيْبَ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُود**))[2]، **فَقَال**(عليه السلام): ((**إِنَّمَا قَالَ**(صلى الله عليه وآله) **ذلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ، فَأَمّا الاْنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ، وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ، فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ**))[3].

فقد وُظِّف ظرف الزمان **(الآن)** توظيفا تداوليا مكتسبا دلالة جديدة تُزاد على دلالته المتمثلة بالآنية أو لحظة التكلم إذ كانت إشارته في السياق الى الزمن الذي بدأ مع انتشار الدين الإسلامي واتساع رقعته، وزيادته قوة وصلابة، وتفوقه بالعدة والعدد إذ كانت دعوة الرسول(صلى الله عليه وآله) الى تغيير الشيب وتخضيبه عندما كانت الحاجة ملحة الى ذلك إذ كان المسلمون في صدر الإسلام قلة قد شُغلوا بالغزو والقتال، وكان الكفار إذا ما رأوا المقاتلة من المؤمنين مسودة الشعور شُبانا عند المعركة فإن ذلك يبعث في نفوسهم القلق فيخافونهم[4]، بخلاف ظهورهم بمظهر الكِبر؛ لأن ((الشيخ مظنة الضعف))[5]، وبحسب هذا جاء الأمر من الرسول(صلى الله عليه وآله) بتغيير الشيب بأسلوب النهي عن التشبه باليهود؛ لانهم لم يكونوا ليعتنوا بصبغ الشيب بقوله(**وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُود**) غير أن هذا النهي لا يمثل حكما عاما مطلقا من الزمن، واجب العمل به بل ينتهي وجوبه مع انتفاء الحاجة إليه. وتأسيسا على هذا جاء تفسير الإمام(عليه السلام) له بالإباحة. فقد جعل الاختيار فيه عائدا للمرء نفسه، بعد أن اشتد عود المسلمين والدين الإسلامي ولم تعد هنالك حرب بينهم وبين المشركين ومن ثمَّ فلا استحباب في الخضاب[6]، فكان الزمن الذي حمله الظرف بين دفتيه هو الماضي بحسبان وقت التكلم؛ لأن الإسلام كان قد وصل مرحلة متقدمة من الانتشار والاتساع قبل لحظة التكلم فضلا عن أنه قد

---

(1) **ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٤/٤١١، ٤٢١، ونهج السعادة: ٢/٣٩٦، ١٠/٣٥٨.**

(2) **المسند الجامع، تح: بشار عواد واحمد عبد الرزاق وايمن ابراهيم الزاملي ومحمود محمد خليل وأبو المعاطي محمد النوري: ١٠/٥٩٥.**

(3) **نهج البلاغة: ٤/٤٣٥.**

(4) **منهاج البراعة(الراوندي): ٣/٢٦٩.**

(5) **شرح نهج البلاغة: ١/١٢٢.**

(6) **ظ: منهاج (الراوندي): ٣/٢٦٩.**

دل على الحاضر؛ لأن الأمر حاصل وقت التكلم وكذا المستقبل بوصف الدين الإسلامي مستمرا بالانتشار فضلا عن ازدياد المسلمين عاما بعد آخر.

ومن ثمَّ لم يقتصر العنصر الإشاري الزمني(**الآن**) المذكور في الخطاب على وقته الآني وإنما اتسع ليشمل زمانا آخر حدده سياق المقال.

وقد يرد الفعل في جواباته(عليه السلام) مطلقا من زمنه النحوي[1] من ذلك قوله في جوابه **جابر بن عبد الله الأنصاري** بعد أن سأله: **(كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟)**، فجاء ردُّه(عليه السلام) **((أَصْبَحْنَا وَبِنَا مَنْ نِعَمِ الله رَبِّنَا مَا لَا نُحْصِيهِ مَعَ كَثْرَةِ مَا نَعْصِيهِ، فَلَا نَدْرِي مَا نَشْكُر أَجَمِيل مَا يُنْشَرُ أَمْ قَبِيْحُ مَا يُسْتَرَ))**[2]، فقد ابتدأ كلامه(عليه السلام) باستعماله أسلوب الجمع عن طريق توظيفه ضمير المتكلم(**نا**) وهو أسلوب ططالما عبر به الأئمة عن تقصيرهم بحق ربهم، فنعم الله(سبحانه وتعالى) واصلة الى مخلوقاته كلها وأن الله(سبحانه وتعالى) ينعم على المؤمن والكافر، والجاحد، والشاكر، والمستحق وغير المستحق. ومن ثمَّ لفت الإمام(عليه السلام) ذهن السامع وجعله منشدًّا الى قوله، وهو عدم إحصاء نعم الله مع كثرة عصيانه ومن ثمَّ فالإمام(عليه السلام) هنا ينبه جابرا على أن الإنسان مهما حاول وجهد في أن يقدر أو يحصي ما أفاض الله عليه من نعم فإنه سوف لا يصل الى نتيجة، إذ وظف الإمام(عليه السلام) في ذلك أسلوب النفي؛ ليشير الى أن الأمر مقطوع لا نقاش فيه وعلى الرغم من ذلك تجد الإنسان في معصية مستمرة متجددة وقد أورد الإمام(عليه السلام) الأفعال المضارعة في جوابه لتكون أكثر مناسبة مع الرسالة التي يريد بثها. إذ نجد أن الفعلين(**نحصي، ونعصي**) دلَّا على الاستمرار والتجدد مع اتساع أفقيهما؛ للدلالة على الماضي أيضا. فنعم الله لا تحصى، ونفي الإحصاء هنا يفيد الإطلاق فهي لا تحصى في الماضي والحاضر والمستقبل وأن المعصية متجددة مستمرة من الخلق، فهي كانت ولا تزال وستبقى إذ لا ينجو منها إلا المُخلصون، الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان ومن ثمَ قدمت هذه الأفعال الغرض الإنجازي المُراد منها.

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٥٤، ٧٩، ٢/١٨٦، ٢٤١، ٤/٤٤٧، ومستدرك نهج البلاغة: ٤٧، ٢٢٣، ٢٤٣، ونهج السعادة: ١/٥٦١، ٢/١١٢، ٢٢٢، ٩/١٩٠، ٣١١، ١٠/٥٤.

[2] نهج السعادة: ١٠/٣٧٨.

ومن استعمال الفعل الماضي مطلقا من قيده الزمني أيضا، قوله(عليه السلام) مخاطبا معاوية، الذي طالما اتهم الإمام(عليه السلام) بقتل عثمان؛ لأغراض دنيوية دنيئة تكمن في طمعه بالخلافة وسطوته عليها فيرد عليه الإمام(عليه السلام) قائلا:((**وَلَعَمْرِي، يَا مُعَاوِيَةُ، لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمانَ**))[1].

فقد أورد الإمام(عليه السلام) الفعل **(نظر)** متضمنا زمني الماضي والحال فهو(عليه السلام) يُحدِّث معاوية في الحال غير أنه استعمل الفعل في زمن الماضي ليقول بأنك يا معاوية لم تنظر بعقلك ولم تطلب الحق في نظرك وهذا الأمر ليس جديد العهد بل منذ زمن بعيد بعد أن قُتل عثمان والى اليوم، فلم تفتش عن الحقيقة ولم تطلبها صادقا في السعي الى ذلك وكأن على بصرك غشاوة فاتبعت هواك حيث يقودك فبقيت مستمرا على غيك واتهامك لي بأني أنا من قتل عثمان فلو تُمحص قليلا لتجدني منه براء. كل هذا المعنى كان قد تجلى لنا عن طريق الاستعمال التداولي للفعل **(نظر)** إذ وظفه الإمام(عليه السلام) توظيفا مناسبا للمعنى الذي يطلبه؛ لأنه(عليه السلام) لو قال **(تنظر)** لتبادر الى ذهن السامع بأن اتهام معاوية للإمام(عليه السلام) ليس بعيد العهد وتأسيسا على هذا جاء جواب القسم بالفعل المضارع **(تجدني)**، الذي يدل على الحدوث والتجدد؛ لأنَّ معاوية لم يطلب الحقيقة في الزمن الماضي وفوت الفرصة على نفسه ومن جانب آخر فقد ذكر الإمام (عليه السلام) الفعل المضارع؛ ليشير به الى أن الأمر متاح لك يا معاوية لتعرف براءتي مما تتهمني به متى ما طلبت الحقيقة سواء الآن أو بعد حين وقد لجأ الإمام(عليه السلام) في كلامه الى توظيف أسلوب القسم لتثبيت المضمون وتوكيد الحدث في زمن عام.

ومما تقدم يتبين لنا أن الإشاريات الزمانية المستعملة في جوابات الإمام(عليه السلام) والألفاظ الدالة عليها جميعها خاضعة لمقاصد المخاطِب، وعليه _ اي المخَاطب_ أن يكون ذا مقدرة ومعرفة بالسياق لكي يتمكن من تأويلها تأويلا صحيحا إذ كانت جل الإشارات الزمانية التي استعملها الإمام(عليه السلام) في جواباته لا تدل على زمن معين، وإنما على زمن مبهم أو مطلق من دلالته الثابتة ومن ثمَّ يكون الفيصل في إدراك دلالتها هو السياق الواردة فيه، وقد يحدث تناوب وتغاير بين الصيغ بحسب المعنى المراد من الخطاب، وهذا التغيير الحاصل يعمل على شد انتباه

---

[1] **نهج البلاغة: ٣/٣٣٨.**

المخاطَب من أجل تحقيق غرض تداولي، يتمثل في ضمان بقائه طرفاً فاعلا في عملية التواصل.

ثالثا: الإشاريات المكانية:

وهي من العناصر الإشارية التي تدل على أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للسامع أو المخاطب، وتمثلها ظروف المكان عامة ويكون لتحديد المكان أثر في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة[١]. ويستحيل على الناطقين باللغة أن يستعملوا أو يفسروا كلمات مثل: **هذا، وذاك، و هنا،** ونحوها إلا إذا وقفوا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، ((فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه))[٢]. وأكثر الإشاريات المكانية وضوحا أسماء الإشارة، نحو: هذا، وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلم، وكذلك هنا، وهناك، وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم، وسائر ظروف المكان مثل: **فوق، وتحت، وأمام، وخلف...** إلخ[٣] فكلها عناصر إشارية لا يتحدد معناها إلا بمعرفة موقع المتكلم واتجاهه[٤]، وقد دمجها الفلاسفة وعدّوها صنفاً واحداً، أمّا اللغويون فجعلوها صنفين: أسماء الإشارة، والظروف المكانية ولا يمكن للمتكلم أن يتخلّى عن المكان عند تلفّظه بالخطاب، وهذا ما يعطي الإشاريات المكانية مشروعية إسهامها في الخطاب، فهي ((تختص بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام، انطلاقا من الحقيقة القائلة إن هناك طريقتان رئيستان للإشارة إلى الأشياء هما: إما بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإما بتحديد أماكنها من جهة أخرى))[٥].

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢١.

[٢] نفسه: ٢١-٢٢.

[٣] ظ: نفسه: ٢٢.

[٤] ظ: جوانب من التحليل التداولي، عبد الحكيم سحالية: ٤٣١- ٤٤٣.

[٥] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٨٤.

فلو قال شخص: **(أريد أن أدرس هنا)** قد يعني **(هنا)** في هذه الجامعة، أو في هذه الغرفة، أو في هذه المدينة؛ لأن **(هنا)** عنصر إشاري لا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه[١].

وتتعدد دلالة العناصر الإشارية بحسب ورودها في السياق، فظرف المكان **(هنا)** هو اسم إشارة للقريب، يختلف باختلاف السياق، الذي ورد فيه، مثل قولنا [٢]:

***من هنا بدأ الباحث عمله أي من هذا المكان.**

***من هنا نتبين أن التداولية لها جذور فلسفية؛ أي من هذا المنظور.**

ويرى بعض الباحثين أن **(ال)** التعريف تدخل في العناصر الإشارية؛ لأنها تقوم بالوظيفة التي يقوم بها اسم الإشارة، والفارق بينهما، أن اسم الإشارة يزيد عليها بالدلالة على القرب أو البعد، أما **(ال)** التعريف فهي غير موسومة بقرب ولا بعد، ويرى هؤلاء أن التعريف في أساسه مفهوم إشاري[٣].

وأن تحديد مرجع العنصر المكاني مرتكز على تداولية الخطاب، وهو ما يؤكد أهمية توظيفه لمعرفة مواقع الأشياء، نحو قول شخص يهاتف صديقه، ليبلغه عن مكان وجوده بقوله: **(تقع الورشة على يميني)** فعلى الرغم من اكتمال الخطاب لغة، ومعرفة المتلقي بموقع الورشة، إلا أنه لا يستطيع معرفة موقع المتكلم بالتحديد، إلا إذا استطاع معرفة اتجاه سير المتكلم، وهو مثل قول أحدهم: **(تقع الجامعة على بعد كيلو متر)** ، فظاهر الكلام واضح مكتمل لا غبار عليه من جهة اللغة، غير أن السامع لا يمكنه تحديد موقع الجامعة تماما بالمسافة وحدها؛ لأنّ هذا المقدار من المسافة يمتد إلى الاتجاهات جميعها، وقد يبتعد ضعف المسافة فيما لو سار بعكس الاتجاه، وتأسيسا على هذا فإن معرفة موقع الخطاب بدقة عند التلفظ من دون الوقوع في اللبس تستلزم شيئين هما[٤] :

- معرفة مكان التكلم.

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٢٢.

[٢] ظ: الاحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية: ٢٥.

[٣] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٣.

[٤] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٨٥.

- معرفة اتجاه المتكلم.

وتجدر الإشارة إلى أنّ العناصر الإشارية المكانية، قد تنتقل من الإشارة الى المكان إلى الإشارة لما يسمى **بالمسافة العاطفية (emotional distance)**، وتسمى حينئذ **الإشارة الوجدانية (empathic deixis)**[١]، وقد أشار علماء البلاغة[٢] إلى ذلك في معرض حديثهم عن التناوب في استعمال أسماء الإشارة، ولعلّ المسوغ في ذلك طبيعة علاقة المشير **(المخَاطب)** بالمشار اليه، إذ تؤدي إلى انتقائه اسم إشارة مناسبا للخطاب؛ فالعلاقة بينهما إما أن تكون جيدة، نحو العلو والرفعة والتعظيم، وإمّا أن تكون علاقة رديئة، نحو الازدراء والتحقير **(أي علاقة بعد، وقرب نفسي واجتماعي)**؛ ((فيعكس المشير هذه العلاقة، ويصور ما يعتمل في نفسه بإشارته اليه، وكأن اسم الإشارة يتحول من قياس بعد فيزيائي، إلى قياس بعد علائقي بين المشير والمشار إليه))[٣]، وتأسيسا على هذا تكون مناسبة للواقع التخاطبي، أو المقام ومن ذلك قوله تعالى:﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ سورة الأنبياء من الآية:٣٦، فاسم الإشارة (هذا) هنا يدل على ما يسمى: التحقير بالقرب، أما في قوله تعالى:﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ **سورة البقرة:** ١-٢، فاسم الإشارة **(ذلك)** قد دلَّ على ما يسمى: التعظيم بالبعد.

وبالنظر في جوابات الإمام نلحظ أن الإشاريات المكانية كان لها حضور واضح اختلف بين الدلالة الحقيقية الفيزيائية للمكان والدلالة العلائقية النفسية العاطفية التي يستشعرها المتكلم في قرارة نفسه تجاه من يخاطب بحسب طبيعة العلاقة بينهما التي تتمثل بالقرب أو البعد ويتجسد ذلك عن طريق توظيف تلك الإشاريات في السياق، والتي تقوم بتحديد تلك المكانة.

فعلى سبيل المثال أذكر قوله(عليه السلام)، موظفا العنصر الإشاري المكاني(وراء)[٤] في معرض جوابه على من سأله في أثناء خطبة الجمعة عن قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ سورة

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر :٢٣ .

[٢] ظ : مفتاح العلوم: السكاكي : ٢٧٧، والطراز، يحيى بن حمزة العلوي: ٣ / ١٤٦، والتلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني: ٦١ .

[٣] المشيرات المقامية في القرآن: ٣٧٥ .

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢/٢٣٠، ٤/٤٥٠، ونهج السعادة: ١/١٥٥، ومصباح البلاغة: ٢/١٦٦٨.

غافر من الآية: ٦٠، ولماذا لا يُستجاب الدعاء فكان من جملة الأسباب التي ذكرها الإمام(عليه السلام) في عدم قبوله واستجابته من الله قوله(عليه السلام): ((**إِنَّكُمْ جَعَلْتُمْ عُيُوبَ النَّاسِ نَصْبَ أَعْيُنِكُمْ، وَعُيُوبَكُم وَرَاءَ ظُهُورِكُم تَلُومُوْنَ مَنْ أَنْتُمْ أَحَقُّ بِاللَّوْمِ مِنهُ**))[1].

فقد استعمل الإمام(عليه السلام) في جوابه العنصر الإشاري المكاني **(وراء)**، الذي يدل على كل ما استتر عنك سواء أكان خلفا أم قداما[2]، غير أن الإمام(عليه السلام) قيده بالشيء الذي يكون خلف ظهرك بقوله: **(وَرَاءَ ظُهُورِكُم)**، فاقتصرت دلالته على الخلف من دون القدام هذا فيما يخص المعنى اللغوي.

أما فيما يخص دلالته فقد خرجت عن المعنى المادي المحسوس، الذي يتحدد بمكان معين واكتسبت إشارات أخرى تحررت فيها من القيود اللغوية إذ ليس المقصود منه تحديد المكان، الذي يكون خلف ظهر الإنسان بل أُشرب إشارات وإيماءات تداولية كثيرة تجاوزت التحديد المادي للمكان فقد جرت طبيعة الإنسان أن يرى في نفسه الكمال الخلقي والأخلاقي حتى يصدق ذلك فيجعله بمثابة نقطة انطلاق للنظر في عيوب الآخرين إذ نجد من بيننا من يكون شغله الشاغل مراقبة الناس فَيُهِمُّ نفسه بذلك بل يجعله نصب عينه بحسب كلام الإمام(عليه السلام) وهو قوله: **(نَصْبَ أَعْيُنِكُمْ)** فكأنه من شدة اهتمامه وولعه واعتياده على ذكر الآخر بما لا يحب أن جعل ذلك أمام عينيه فلا يعود يرى شيئا سواه متغافلا بفعله هذا عن الحقيقة التي تشير الى أن الكمال موقوف على الباري (عز وجل) فلا وجود لإنسان مكتمل إلا من أراد الله(سبحانه وتعالى) له ذلك.

وقوله(عليه السلام): **(وَرَاءَ ظُهُورِكُم)**، أي: تغافلوا عنها على الرغم من معرفتهم بها وشغلوا بما عند الناس من عيوب فكانت الإشارة في استعمال الظرف**(وراء)** في القول هو أنكم قد اقترفتم إثما عصيتم به الله(سبحانه وتعالى)؛ لأن ذكر الإنسان بما يكره وأخذ غيبته منهي عنه في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب

---

[1] **نهج السعادة: ٢٢٨/٣.**

[2] **ظ: لسان العرب، (ورأ): ٢٦٤/١٥.**

بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ الحجرات من الآية: ١٢

ومن ثم كان المعنى التداولي المستلزم من الظرفين في السياق هو دلالتهما على مكانين معنويين حددهما سياق البنية الخطابية.

ومن الإشاريات المكانية التي وردت بلفظها الصريح كذلك قوله مستعملا الظرفين **(فوق وتحت)**[١] في جوابه على الحارث بن حوط، الذي اعتزل القتال يوم الجمل: **((إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَهله، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ))**[٢].

فبعد أن قرر بعض الصحابة مواجهة الخلافة الشرعية، المتمثلة بأمير المؤمنين علي(عليه السلام)، التبس الأمر على بعض المسلمين، وكان من بينهم الحارث بن حوط[٣]، الذي توجه للإمام(عليه السلام) بالاستفهام الاستنكاري عن أمر هؤلاء الخارجين بقوله: **((أتُراني أظنّ أصحابَ الجمل كانوا على ضلالة؟))**[٤]، فقد كان منكرا لضلالتهم بسبب قياسه إياهم بالحق من دون الأخذ بالعكس.

وقد وظف الإمام (عليه السلام) الظرفين **(فوقك وتحتك)** توظيفا تداوليا دقيقا بحيث أعطيا معنىً تداوليا متسع الأفق إذ لم يكن يبتغي(عليه السلام) بهما المكان بعينه بل أراد أن يشير الى قصور الإنسان في طلب الحق فمن ينظر تحته لا يرى إلا الشي القليل وأما من ينظر فوقه ويمد بصره فإنه سيرى الكثير.

---

[١] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣/٣٣٦، ٤/٤٧٥، ونهج السعادة: ٣/١٤٠، ومصباح البلاغة: ٣/١٤٠.

[٢] نهج البلاغة: ٤/٤٧٤

[٣] ظ: أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، حسن موسى الصفار: ١/١٠٨.

[٤] نهج البلاغة: ٤/٤٧٤.

ومن ثمَّ فدلالة الظرفين في هذا الموضع تفيد النظرة القاصرة التي تأخذ الأمر من وجهة

واحدة من دون أن تكون فيها شمولية في التعامل مع المواقف فقد استصعب قتالهم متناسيا خروجهم على إمام زمانهم المنصب من الرسول بأمر من السماء.

وبالنظر في هذه التخريجات الثلاثة نجد أن جواب الإمام(عليه السلام) يستوعبها جميعها وزيادة إذ إن الأمر الذي لا شك فيه أن الظرفين اللذين وردا في جوابه(عليه السلام) لا يُراد بهما تحديد مكان معين وإنما يُستشف من ورائهما أبعاد أخرى كثيرة يمكن أن نحملها على قصر النظر في طلب الحق أو علو منزلة الإمام(عليه السلام) وتدني مكانة الخارجين أو على معرفة المصدر قبل الحكم أي إذا ما أردت أن تعرف صواب شخص من عدمه لا بد من أن تكون لك ثوابت تقيس عليها فلا يكون قياسك فعله مهما كانت منزلة ذلك الشخص ومكانته.

ومن هذا المنطلق جاء توظيف الظرفين للدعوة الى طلب الحقيقة حتى يكون الإنسان على بينة من أمره فلا يقع في حيرة الاختيار وكل ذلك كان مؤداه تحرر الظرفين من معناهما المادي الحقيقي وإطلاق العنان لدلالتهما البعيدة المقصودة.

ومن توظيفه(عليه السلام) لاسم الإشارة **(هذا)** أيضا للإشارة الى صغر المنزلة[1] قوله(عليه السلام) في معرض جوابه على من سأله عن تفسير كلمة(الله): **((هُوَ الَّذِي يَتَأَلَّه إلَيهِ عِندَ الحَوَائِجِ والشَّدَائِدِ كُلُّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انقِطَاعِ الرَّجَاءِ ... وَذَلِكَ أنّ كُلَّ مُتَرَأِّسٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَمُتَعَظِّمٍ فِيْهَا وإنْ عَظُمَ غِنَاؤُه وَطُغْيَانَهُ، وَكَثُرَت حَوَائِجُ مَنْ دُونَهِ إلَيْهِ، فَإنَّهُمْ سَيَحتَاجُونَ حَوَائِجَ لَا يَقْدِر عَلَيْهَا هَذَا المُتَعَاظِم، وَكَذَلِكَ هَذَا المُتَعَاظُمُ يَحتَاجُ حَوَائِجَ لَا يَقْدِر عَلَيْهَا فَيَنْقَطِع إلَى الله عِنْدَ ضَرُورَتِهِ وَفَاقَتِهِ، حَتّى إذَا كَفَى هَمّهُ عَادَ إلى شِركَهُ))**[2].

ذكر الإمام(عليه السلام) اسم الإشارة **(هذا)**؛ في إطار تداولي فكان فيه ملمح لطيف يشير الى أن الإنسان بما يبلغ من شأن ورفعة ومكانة وطغيان وشرك وتعاظم في المال والجاه وغير ذلك تجده صغيرا ذليلا مسكينا مستكينا ضعيفا أمام خالقه ذلك الرب العظيم المتعال، الذي يكون الخلق بأمس الحاجة اليه ما حيوا وقد أعان سياق الحال على معرفة الوظيفة التداولية التي قدمها اسم

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٩٧، ٤/٤٣٨.

[2] مصباح البلاغة: ٣/٨٠.

الإشارة في جواب الإمام فقد قرن تعاظم الإنسان في جوابه(عليه السلام) باستعمال اسم الإشارة فقال **(هَذَا المُتَعَاظِم)** إذ لم يقل المتعاظم فقط بل جمعهما معا ليوحي ذلك الى المتلقي بأن هذه العظمة ليست حقيقية؛ لأنها مهما بلغت من قوة ستظل محدودة تفنى بفناء صاحبها وأنها لا تغني صاحبها عن الاستعانة بالله(عز وجل).

فكان الغرض التداولي من توظيف اسم الإشارة (هذا) هو قصد الإمام(عليه السلام) الى بيان صغر قوة المتعاظم وضعفه أمام الله(عز وجل) فكان القرب هنا قرب تقليل وتحقير.

وكما جاء اسم الإشارة **(هذا)** للدلالة على التحقير وقلة الشأن والمكانة في هذا الموضع نجده يرد في جواب له في موضع آخر دالا على العظمة والمكانة الرفيعة[1] إذ يقول(عليه السلام) بعد أن أنكر بعض من الخوارج حادثة التحكيم التي وقعت سنة (٣٨) من الهجرة، التي ركن إليها الإمام(عليه السلام) اضطرارا وطعنوا بها ظنا منهم بأن الحكم صدر عن الرجال**(الحكمين من الطرفين)**، وليس القرآن: ((**إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ اَلرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا اَلْقُرْآن وَهَذَا اَلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ اَلدَّفَّتَيْنِ لاَ يَنْطِقُ وإِنَّمَا يَتكلم بهِ اَلرِّجَالُ**))[2].

إذ نجد في قوله(عليه السلام) نفيا عن الحكم بالرأي إلا إذا وافق الكتاب.

وفي هذا الجواب أيضا يُلحظ أن الإمام(عليه السلام) يشير الى القرآن الكريم باسم الإشارة **(هذا)** فكانت دلالته هنا على التعظيم والإكبار؛ لأن المشار اليه هو الكتاب الذي أنزله الله (عز وجل) على صدر الرسول الأمين**(صلى الله عليه وآله)** وقد ورد توصيف القرآن الكريم باسم الإشارة **(هذا)** في كلام الله تعالى في مواطن منها قوله: ﴿ **لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا**

---

[1] **ظ: على سبيل المثال: مستدرك نهج البلاغة: ٨٨، ونهج السعادة: ٢٥٨/١، ومصباح البلاغة: ١٢٥/٣، ٥٩/٤.**

[2] **مصباح البلاغة: ٣٠٢/١.**

﴿ مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴾[2]، وغيرهما من الآيات المباركة الأخرى[3]، فكان في جوابه(عليه السلام) نفي للحكم عن الوسطاء وإثباته للقرآن الكريم الذي اشتمل على الأحكام الشرعية بما اقتضته السماء فالإمام(عليه السلام) بجوابه يُخبر بأن القرآن الكريم هو الأساس والفيصل والمفزع وهو دستور المسلمين وأن ما خالفه يترك ولا يعتد به وما وافقه يُعمل به وتأسيسا على هذا كانت دلالة التعظيم والأهمية هي التي تصبغ المعنى المأخوذ من اسم الإشارة(**هذا**) لاتِّساقه مع ما يريد الإمام بيانه من فضل ومنة لكتاب الله المنزل في هداية البشرية.

ومنه توظيفه(عليه السلام) العنصر الإشاري المكاني(**هناك**)[4] في حواره مع معاوية قوله: ((**وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنتَ طَالباً**))[5].

فقد كان هذا بعضا من جوابه(عليه السلام) على تُرهات معاوية المعتادة وكان مدار الحديث عن مقتل عثمان واتهام معاوية للإمام(عليه السلام) بهذا الفعل فما كان للإمام(عليه السلام) إلا أن يرد عليه بجواب يحمل في أثنائه الأدلة الدامغة التي تُعجز معاوية فتجعله مواجها للحقيقة فاقدا للحيلة؛ لأن معاوية يعلم بتكذيبه على أمير المؤمنين(عليه السلام) غير أنه يخادع نفسه والناس من أجل تلميع صورته وكسب المكانة بينهم والإمام(عليه السلام) مطلع على تلك المآرب فلم يكن ليترك له افتراء إلا ويُفنده إذ بين كذبه في هذا الجواب بقوله(عليه السلام): ((**وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمانَ**)) فقد أورد الحرف(**قد**) مؤكدا إياه باللام فضلا عن إقران هذا الحرف بالفعل الماضي (**لقد علمت**) مما يستشف أن معرفة معاوية بقتلة عثمان أمر قديم العهد وأن هذه المعرفة يقينية مؤكدة مفروغ منها بدلالة الماضي والتوكيد فضلا عن دلالة التحقيق التي اكتسبها الحرف (**قد**) بدخوله على الفعل

---

(1) **سورة الحشر: من الآية٢١.**

(2) **سورة الفرقان: ٣٠.**

(3) **ظ: سورة يوسف:٣، وسورة الكهف: ٥٤، وسورة الإسراء: ٩، ٤١، ٨٨، ٨٩،.**

(4) **ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣٥٦/٣، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٨.**

(5) **نهج البلاغة: ٣٤١/٣.**

الماضي فكان في هذه الجملة توكيدات وأدلة كثيرة تظهر كذب معاوية فكأنه(عليه السلام) يقول له: بأنك تعلم أين قتل عثمان ومن قام بقتله فاذهب الى المكان الذي قتل فيه واطلب الثأر له من قاتليه إن كنت جادا في الأخذ بالثأر.

أما دلالة اسم الإشارة (**هناك**) فإنه يحيل على مرجع خارج السياق؛ لأن المكان الذي وقع فيه مقتل عثمان أو المكان الذي يقطن فيه قتلة عثمان غير مذكور في كلامه(عليه السلام) بل اكتفى بالإشارة اليه باسم الإشارة (**هناك**) التي تشير الى البعيد وذلك لعلم المُخاطب به.

وقد ذكر **ابن أبي الحديد** في تحديد هذا المكان أمرين بقوله: ((وقوله قد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك يريد به إن كنت تطلب ثأرك من عند من أجلب وحاصر فالذي فعل ذلك طلحة والزبير فاطلب ثأرك من بني تميم ومن بني أسد بن عبد العزى وإن كنت تطلبه ممن خذل فاطلبه من نفسك فإنك خذلته وكنت قادرا على أن ترفده وتمده بالرجال فخذلته وقعدت عنه بعد أن استنجدك واستغاث بك))[1].

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن **ابن ابي الحديد** يرجع اسم الإشارة الى معاوية نفسه بوصفه قد خذله بالوقت الذي كان بإمكانه نصرته وتخليصه مما ألمَّ به وأقدم على عدة أعمال كانت سببا رئيسا في مقتله ومن ثم كان معاوية قاتلا غير مباشر.

فاسم الإشارة (**هناك**) في هذا الجواب قد استعمل استعمالا تداوليا بإحالته الى خارج النص لعدم معرفة ما يشير اليه من مكان فقد كانت معرفته وتحديده متعلقين بالرجوع الى حادثة مقتل عثمان والاطلاع على حيثياتها من أجل التوصل الى المكان الذي قصده الإمام(عليه السلام) في جوابه.

ومن ثمَّ كان للإشاريات بفروعها الثلاث حضور واضح في جوابات الإمام إذ تنوعت نظرا لتنوع سياق المقام او الموقف الذى استدعى توظيف إشاري تداولي يتناسب معه ليعبر عن الأفكار والطروحات والمعاني التي يريد بثَّها المتكلم(الإمام) وترسيخها في ذهن السائل أو المُخَاطَب ومن ثمَّ السعي الى إنجاح العملية التخاطبية.

---

[1] **شرح نهج البلاغة: ٨٣/١٥.**

الفصل الثاني: الأفعال الكلامية في

جوابات الإمام علي عليه السلام

١. مفهوم الفعل الكلامي.
٢. أصناف الفعل الكلامي.

أولاً: الفعل الكلامي المباشر:

١. الإخباريات.
٢. التوجيهيات.
٣. الالتزاميات.
٤. التعبيريات.
٥. الاعلانيات

ثانيا: الفعل الكلامي غير المباشرة.

الأفعال الكلامية

تعد نظرية أفعال الكلام واحدة من بين النظريات، التي حظيت باهتمام الدارسين والباحثين اللسانيين المعاصرين في ميدان الدرس التداولي، وهي النواة المركزيةٌ للأعمال التّداوليَّة[١]، حتى أن بعض الباحثين يرى أن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية[٢]؛ لأنَّ ((التداولية عند أهل الاختصاص محل التقاء بين مساحتين: مساحة المعارف النفسية والاجتماعية، ومساحة اللغة بما هي ملفوظات، ونصوص))[٣]، ومن ثمَّ عُدّت نظرية الأفعال الكلامية أبرز النظريات التداولية التي حاولت بحث العلاقة بين اللغة والتواصل[٤]، أي: كيفية تأدية فعل ما بالقول، وقد عملت هذه النظرية على جعل اللغة في الخطاب نشاطاً لأفراد مندرجين في سياقات معينة محكومين بظروف إنتاج الخطاب، وليست ببنية اعتباطية[٥].

وقد أخذت هذه النظرية ((تنطلق من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة ضمن وضعيات محددة تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية))[٦]، وقد تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف الانجليزي **أوستين** فنحن((قد نستعمل اللغة في كلامنا للقيام بفعل ما وللتأثير على المتلقي، هذا المفهوم وسّعه **أوستين** في المحاضرات الإثني عشر التي ألقاها في جامعة هارفارد **(Harvard)** سنة ١٩٥٥م ونشرت سنة ١٩٦٢م في كتاب عنوانه **How to do think with words** والذي ترجم إلى اللغة الفرنسية عام ١٩٧٠م إلى **Quand dire, c'est faire** عندما نقول نفعل إذ جاء بأفكار ثورية فتحت مجالا واسعا أمام المفكرين على دراسة استعمالات اللغة، فتأسست بذلك نظرية الأفعال الكلامية))[٧]، ورأى **أوستين** ((أن وظيفة اللغة الأساسية ليست إيصال المعلومات والتعبير عن الأفكار، إنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال

---

[١] ظ: التداولية عند العلماء العرب: ٤، ولسانيّات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني انموذجا، لينده قياس: ١٩١.

[٢] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤١.

[٣] الأفق التداولي (نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية): د.إدريس مقبول : ٢ .

[٤] ظ: الخطاب القرآني (دراسة في البعد التداولي): مؤيد عبيد آل صوينت، (أطروحة دكتوراه):٣١.

[٥] ظ: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو: ٣٨.

[٦] تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية:١٣.

[٧] محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بوخشة(محاضرات منشورة): ٢٤.

التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية))[١]، فلم يجعل النظر إلى اللغة مقتصرا على الجوانب اللغوية والنحوية والنفسية فحسب، بل أدخل كذلك الجانب الاجتماعي؛ للتأثير والتأثر لتحقيق التواصل[٢]، وقد أقرَّ **أوستين** ((بأن كل قول هو عبارة عمل أو فعل))[٣]، وهو بحسب هذا الإقرار يُعد ((أول من قال: إن اللغة نشاط وعمل ينجز أي إن المتكلم لا يخبر ويبلغ فحسب بل إنه يفعل أي يعمل، يقوم بنشاط مدعم بنيَّة وقصد يريد المتكلم تحقيقه من جراء تلفظه بقول من الأقوال، فاللغة ليست بنى ودلالة فقط بل هي أيضا فعل كلامي ينجزه المتكلم ليؤدي به أغراضا فهو عمل يطمح من خلاله أن يحدث))[٤].

وانطلق أوستين في تأسيس هذه النظرية من نقده لمن يذهب إلى القول بـ((أن اللغة تهدف بالخصوص إلى وصف الواقع، وأن وصف شيء معين، لا يمكن له أن يخرج عن إطار الخطأ والصواب، ولهذا كانت آراؤه التي حاضر فيها ترمي إلى تفكيك أواصر تلك النظرية، وتفنيد مزاعمها التي تحصر مهمة اللغة الوحيدة في إنتاج تراكيب خبرية صادقة أو كاذبة))[٥]؛ ثمّ يُصرح بعد ذلك بوجود طائفة من الجمل التي لا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، ولا تصف الحال الراهنة أو التي تسبقها، وإنما تغيرها أو تسعى جاهدة إلى تغييرها، نحو: جمل الاستفهام، والتعجب، والأمر وغيرها.

يقول **جون ليونز**: ((لقد كان هدف أوستين في البداية على الأقل أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية وهي أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة وعلى نحو أدق كان أوستين يتهجم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها))[٦].

وانطلاقا من ذلك فقد ماز **أوستين** بين نوعين من المنطوقات هي ((المنطوقات التقريرية الوصفية، ونوع آخر يتشابه مع النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية، غير أنه لا يقوم بالوظيفة

---

[١] تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ١٥٥.

[٢] ظ: التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر، رخرور أمحمد، بحث منشور في شبكة الأنترنت: ١٨.

[٣] مدخل إلى اللسانيات التداولية:٢٢.

[٤] مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي: ١٦١.

[٥] المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، عبد القادر عبد الجليل: ١٩٣.

[٦] اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز ١٩١.

التي يقوم بها هذا النوع ... ويسمي (أوستين) هذا النوع بالمنطوقات الأدائية))[١].

وبحسب ما تقدم يُلحظ أن القسم الأول، وهو المنطوقات التقريرية يشتمل على الأفعال التي تخبر عن واقع العالم الخارجي، التي تخضع أحداثها وما تخبر به لمعياري الصدق أو الكذب فيما يُلحظ القسم الثاني المتمثل بالأدائيات مشتملا على الأفعال التي تعين المتكلم على أن ينجز بها عملا، نحو: التسمية، والاعتذار، والترحيب، والنصح وغيرها ولا يقتصر على الكلام بها فحسب ولكي تنجح هذه الأفعال فلا بد من أن تتوافر جملة من الشرائط مثل: توافر عناصر الإرادة، والقصد، والقدرة، وحسن النية وغيرها من مقتضيات المقام، التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة، الأمر الذي يجعلها أعمالا ناجحة أما إذا لم تُراع فيها الشروط المذكورة فإنها تستحيل إلى أعمال غير موفقة وتأسيسا على هذا احتيج إلى ما يسمى بالمواضعة[٢]، التي تتضمن شروطا تعمل على الحول دون فشل الفعل الإنجازي وبحسب تعبير **ديكرو** ((فإن الأفعال الإنجازية مؤسسة على مواضعات من النوع القضائي حيث تترتب على المتكلم والمستمع حقوق وواجبات هما مطالبان بالالتزام بها))[٣].

وقد ماز أوستين بين الأفعال الإنجازية (الأدائية) فتوصَّل إلى أنها تنقسم على قسمين:

أ. أدائيات صريحة (**Explicit**): ويكون ((فعلها ظاهرا (أمر دعاء حض نهي) بصيغة الحاضر المنسوب إلى المتكلم))[٤]، نحو أعدك بأني سأكون هناك، فهو مثال صريح الدلالة على الوعد ولا يحتمل غيره.

ب. أدائيات أولية (**Primary**): وهي التي يكون فعلها غير ظاهر، نحو: سأكون هناك فقد يكون هذا القول وعدا وقد لا يكون؛ لأن الوعد عادة يكون في سياق يعتقد فيه الواعد أن المخاطب يتطلع إلى هذا الوعد ويتعلق به.

أو مثل قولنا: الاجتهاد مفيد= (أقول) الاجتهاد مفيد= آمرك أن تجتهد.

---

[١] التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق: ١٣٧.

[٢] ظ: نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة الأدب واللغة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ع١٧، ٢٠٠٦م.: ٨٢.

[٣] نفسه: ٨١.

[٤] في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي :٩٦.

وبحسب هذا تعتمد الادائيات الضمنية اعتمادا تاما على المقام، الذي ترد فيه إذ به تكون أدائية أو لا تكون على حين أنَّ الأدائيات الصريحة تعلن عن نفسها في كل سياق تقال

فيه[١].

١: مفهوم الفعل الكلامي:

كثر استعمال مصطلح (**الفعل الكلامي**) بين الدارسين والباحثين واختلفت تعريفاتهم، التي أصدروها له؛ لاختلاف المرجعيات المعرفية، التي ينطلقون منها وبحسب المتعارف عليه فإن فعل الكلام هو ((التحدث بما يعني تحقيق أفعال لغوية))[٢]، أو هو ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية (**ActesLocutoires**) لتحقيق أغراض إنجازية (**Actesillocutoires**)، كالطلب والأمر والوعد والوعيد ... وغايات تأثيرية (**ActesPerlocutoires**) تخصّ ردود فعل المتلقي، كالرفض والقبول، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثم إنجاز شيء ما))[٣]، وقد ماز **أوستين** بين ثلاثة أنواع من الأفعال اللغوية يقع التمييز بينها عن طريق استعمال الخطاب[٤]:

١. **الفعل القولي/الكلامي Acte locutoire**: ويتمثل في مجموع الأفعال الثلاثة (الصوتي والتبليغي والبلاغي) أي إن هذا الفعل يعني النشاط اللغوي الصرف الذي يتحقق ما إن يتلفظ المتكلم بشي ما، ويشتمل فعل القول بالضرورة على أفعال لغوية فرعية تتمثل في:
   أ. **الفعل الصوتي:** وهو التلفظ بجملة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة معينة.
   ب. **الفعل التركيبي:** وهو الذي يؤلف مفردات استنادا إلى قواعد لغوية معينة.

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٦٦-٦٧، وظ: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم: ٩٦.

[٢] دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية ، حكيمة بوقرومة، مجلة الخطاب، منشورات مختبر تحليل الخطاب، دار الامل للطباعة والنشر ع٣، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،ماي ٢٠٠٨م.: ١١.

[٣] التداولية عند العلماء العرب: ٤٠ .

[٤] ظ: التداولية اليوم علم جديد في التواصل:٣١-٣٢.

ج. **الفعل الدلالي:** ويتمثل في توظيف هذه الأفعال حسب معان وإحالات محددة[١].

٢. **الفعل الإنجازي/الإنشائي Acte illocutoire:** وهو الذي يتحقق بقولنا شيئا ما؛ أي مايؤديه الفعل القولي من وظيفة في الاستعمال كالوعد، والتحذير، والأمر، والنصح، وهو بحسب هذا يمثل العمل الذي ينمُّ عن الحديث، وهذا الفعل ذو قوة يمارسها على المتخاطبين، ويكون للقصد أثر في تنفيذه، ونقصد بالقوة الإنجازية ((هي قصد أو هدف أو نية المتحدث من إطلاقه هذا التعبير وهو ما يعرف باسم (القوة اللاتعبيرية) **illocutionary force** أي محاولة المتحدث إنجاز غرض تواصلي معين))[٢].

٣. **الفعل التأثيري Acte perlocutoire:** وهو التأثير، الذي ينتج عن الفعل الإنجازي عند المتلقي((سواء أكان التأثير تأثيرا جسديا أم فكريا والغاية منه حمله على اتخاذ موقف أو تغيير رأي أو القيام بعمل ما أما التأثير في المخاطب فمن غير الممكن التنبؤ به وقد يكون عكس ما يتوقعه المتكلم ولا يمكن معرفة مدى التأثير في السامع إلا بعد صدور فعله))[٣]، فالأفعال الكلامية ((لا تقف عند تشخيص الفعل اللغوي في مستواه الأدائي، ولكن تأخذه في مسلكه الدائري، إذ تهتم ... بتوليد الحدث وبلوغه وظيفة، ثم بتحقيقه مردوده عندما يولد رد الفعل المنشود، وهي بذلك دراسة اللغة في مظهرها الأدائي، ومظهرها الإبلاغي، وأخيراً في مظهرها التواصلي))[٤] . .

ولا بد من الإشارة إلى أن **أوستين** كان قد أيقن أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به وأن

---

[١] ظ: التداولية عند العلماء العرب: ٤١.

[٢] الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت: ٥١.

[٣] نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل، العيد جلولي، مجلة الأثر، العدد الخاص، أشغال المتلقي الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.: ٥٦.

[٤] اللسانيات ومراتب اللغة: د.عبد السلام المسدي ، مجلة الأقلام، ع٧ ، بغداد ، ١٩٨٦م:٢٠.

الفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعا ومن ثمَّ كان الفعل الإنجازي عنده أهمها جميعا وهو مشروط عند أوستين بارتباطه ارتباطا وثيقا بمقصد المتكلم[١].

وتجدر الإشارة إلى أن ((الفعل الإنجازي يتعلق بالمرسل، أما الفعل التأثيري فإنه يتعلق بالمرسل إليه؛ لأنه يتوجه إليه، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث رد فعل من المرسل إليه))[٢]، وبسبب هذا وجه **أوستين** جُل اهتمامه إلى الفعل الإنجازي، حتى أصبح لب هذه النظرية، فسميت أحيانا بـ((النظرية الانجازية))[٣]. وعلى الرغم من هذا لا تقل أهمية الفعل التأثيري شأنا عن الفعل الإنجازي؛ لأن معيار نجاح فعل المتكلم يتمثل في الأثر، الذي سيظهر في المتلقي

٢: أصناف الفعل الكلامي:

قام الفيلسوف الانجليزي **أوستين** بتصنيف الأفعال الكلامية على خمسة أصناف هي[٤]:

١. **أفعال الأحكام أو القرارات التشريعية(Verdictivs)**: وهي التي تعبر عن حكم؛ سواء أكان ذلك الحكم من هيأة قضائية، أم من مُحَكَّم تختاره الأطراف، أم من حَكمٍ، لكنَّه ليس من الضروري أن تكون هذه الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية أو ظنية، نحو : يعترف، ويعين، ويصف، ويحلل، ويثبت، ويقدر، ويشخص.

٢. **أفعال الممارسات التشريعية (Exercitives)** : وهي التي تعبر عن اتخاذ قرار في صالح شيء أو شخص، أو ضدهما[٥]، نحو: يأمر، ويختار، ويحذر، ويعلن، ويطرد، ويسيطر، وينصح.

---

[١] ظ: التداولية دراسة في المجالات والفروع، علجية أيت بو جمعة (بحث منشور على شبكة الانترنت): ١٧٠.

[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٧٥.

[٣] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٦.

[٤] ظ: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين:١٧٤.

[٥] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٦٩.

٣. **أفعال الإباحة(Commissives)**: وهي التي تشير إلى التزام المتكلم بتصرف أو نشاط معين، نحو :أعد، وأتعهد، وأقرر، وأقترح، وأتعاقد على، وأضمن، وأقسم على.

٤. **أفعال السلوك(Behabitives)**: وهي التي تعبر عن رد فعل سلوك الآخرين، ومواقفهم، ومصائرهم كالاعتذار، والشكر، والتعاطف، والمواساة، والتحية، والرجاء.

٥. **أفعال المعروضات الموصوفة(Expositives)**: وهي التي تستعمل لتوضيح وجهة النظر، أو بيان الرأي وذكر الحجة كالإثبات، والإنكار، والمطابقة، والاعتراض، والاستفهام، والتشكيك، والموافقة، والتصويب[١].

ويمكن إيجاز تصنيف **أوستين** للأفعال الكلامية بحسب ما يأتي: ((إنّ الفعل المتعلق بممارسة توكيد لنفوذ أو ممارسة سلطة معينة، والفعل الإلزامي هو اتخاذ تعهد أو إعلان عن قصد، والفعل السلوكي هو اتخاذ موقف، والفعل التفسيري هو توضيح مسوغات وحجـــــــج ومعلومات))[٢].

وقد اتضح **لأوستين** حينما قدم هذا التصنيف أنه لا يشكل الوسائل الوحيدة، التي يمكن أن يستند اليها المتكلم في أثناء كلامه فـ((هناك وسائل لغوية أخرى تضاف إلى الأفعال الإنشائية كالحكم (الكيفية) Mode أو التطويح Accent والنغمة Intonation وعطف النسق Conjonction وسلوك المتكلم العام – حركاته وإيماءاته وحال الحديث أو القول))[٣].

وبحسب هذا يُلحظ أن عمل **أوستين** لم يكن كافيا لبناء نظرية شاملة للأفعال الكلامية حتى أنه هو نفسه أيضا لم يتردد في القول بأنه غير راض عن هذا التصنيف فكان ما قدمه في هذا الميدان يُعد بداية لوضع نظرية لأفعال الكلام تبناها بَعْدُ تلميذه **سيرل** إذ حاول سد الثغرات

---

[١] ظ: نفسه: ٧٠.

[٢] التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق: ٢٢٤.

[٣] مدخل إلى اللسانيات التداولية: ٢٣.

وإكسابها نضجا وضبطا منهجيا ومن ثمَّ صوغها في نظرية محكمة متداركا في هذا العمل أغلاط أُستاذه[١]، وكان أبرز ما قدمه سيرل:

- تعديله التقسيم، الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية لتنتهي على يديه على أربعة أصناف بتقسيمه عمل القول على قسمين: الفعل النطقي، أي: إنجاز فعل التلفظ، والمحتوى القضوي، أي: إنجاز فعل القضية أو الجملة.
- قوله:((أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي))[٢].
- قوله: ((أن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بعقب نطقه للجملة))[٣].
- ذهابه إلى أن العمل الكلامي لا يحدده قصد المتكلم وحده بل لابد من تآزر العرفين

اللغوي والاجتماعي لما لهما من تأثير كبير في فهم المعنى المراد[٤].

- عمل على تطوير شروط الملاءمة، التي تضبط القول، وهي[٥]:

- **المحتوى القضوي:** إذ لا بد من أن يتوافر فعل التلفظ عن قضية، وأن تسند القضية إلى المتكلم فعلا مستقبليا.
- **الشرط التمهيدي** : وهو أن يفترض المتكلم أن المستمع يريد أن يقوم بالفعل وأن يصدق افتراض المتكلم إذ يكون المستمع راغبا فعلا في ذلك إلا أنه لا يكون من الواضح عند

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧١.

[٢] نفسه.

[٣] نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية: صلاح الدين ملاوي ، (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية): ٣٠، وظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٢.

[٤] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٣.

[٥] ظ: مدخل إلى اللسانيات التداولية: ٢٦.واللسان والميزان: ٢٦١.

المتكلم والمتلقي أو المخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز[١].

- **الشرط الأساس:** أو ما يُسمى بالشرط الجوهري بحسب ما يسميه **سيرل** ((ويتحقق من خلال محاولة المتكلم التأثير في السامع للقيام بالفعل وإنجازه حقا))[٢].
- **شرط الإخلاص:** ويتحقق هذه الشرط عندما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل فلا يقول غير ما يعتقد ولا يزعم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع[٣]، فالعهد على سبيل المثال لا يكون صادقا إلا إذا كان في نية المتكلم أداؤه.

- تصنيفه الأفعال الكلامية على خمسة أصناف فلم يرتضِ بتقسيم أستاذه ؛ لأنه لم يراع مجموعة من المعايير في تصنيفه أهمها: غاية الفعل، ووجهة الإنجاز، وأسلوب إنجاز الفعل الإنجازي وغيرها[٤]، وبحسبان هذا يقترح تعديلا لتقسيم **أوستين** ، يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي: الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص، فجعل الافعال الكلامية تقع في خمسة أصناف[٥]:

١. **الإخباريات (التقريريات Assertives).**
٢. **التوجيهيات Directives .**
٣. **الالتزميات Commissives.**
٤. **التعبيريات Expressives.**
٥. **الاعلانيات (التصريحيات Declarations).**

- تفريقه بين الأفعال الإنجازية المباشرة **Direct**، التي تطابق قوتها الإنجازية مقصود المتكلم والأفعال الإنجازية غير المباشرة **Indirect**، التي تخالف قوتها الإنجازية

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٥.

[٢] التداولية امتداد شرعي للسيميائية: ٤٢٩.

[٣] ظ: نفسه.

[٤] المقاربة التداولية: ٦٣-٦٦.

[٥] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٨.

مقصوده؛ لأنَّ الخطاب ربما يكون مباشرا أو تلميحا وبحسب هذا فقد وضع **سيرل** جملة من المقاييس، التي تعين على نجاح الفعل الإنجازي منها غاية القول، وتوجيهه، وحالته السيكولوجية[١]، وسماها شروط النجاح، ويستند فيها إلى قوانين المحادثة **لغرايس**[٢].

وفيما يخص الباحثين العرب المحدثين فلم نجدهم قد خرجوا في تقسيمهم للأفعال الكلامية على ما أقره **سيرل** ما خلا التغيير في التسميات بسبب الترجمة أما المضمون والمحتوى فهو واحد إذ ترجمها **خالد ميلاد** إلى: التقريريات، والطلبيات، والوعديات، والإفصاحيات، والتصريحات[٣]، وترجمها الدكتور **قدور عمران** إلى: الإثبات، والأمريات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات[٤]، وترجمها الدكتور **محمود أحمد نحلة** إلى: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإيقاعيات[٥]، وترجمها الدكتور **نبيل أيوب** إلى: التقريريات، والتوجيهات، والالتزاميات، والتعبيريات، والإعلانيات[٦]، وترجمها الدكتور **علي الصراف** إلى: الإخباريات، والتوجيهيات، والالتزاميات، والتعبيريات(البوحيات)، والإعلانيات[٧]، وعند **الدكتورة بشرى البستاني**: التوضيحات، التوجيهات، الالتزاميات، المعبرات، الإعلانيات[٨]. الإعلانيات[٨].

وتأسيسا على ذلك تقصيت دراسة الأفعال الكلامية الواردة في جوابات الإمام(عليه السلام) على وفق تقسيم **سيرل** لها.

أولا: الفعل الكلامي المباشر(Direct Speech Act):

---

[١] ظ: المقاربة التداولية، فرانسواز ارمينكو : ٦٣.

[٢] ظ: محاضرات في اللسانيات التداولية: ٢٩.

[٣] ظ: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد: ٥٠٦-٥١١.

[٤] ظ: البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، ٦٠-٦٦.

[٥] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي:٩٨.

[٦] ظ: النقد النصي وتحليل الخطاب، د. نبيل أيوب، ٢٤١-٢٤٢.

[٧] ظ: في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، علي محمود الصراف: ٦١-٦٣.

[٨] ظ: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: بشرى البستاني:٤٨.

ويُقصد به((الحدث الكلامي أو الخطابي الذي يدل عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة وحرفية))[١]، نحو قولنا: (استعد للذهاب)، أو قولنا: (هل أنت زيدٌ)، التي تعني طلب الحصول على معرفة بخصوص هوية المخاطب، ومن ثمَّ فإن الفعل الكلامي المباشر هو الذي يتوافر ((على تطابق تام بين معنى الجملة، والمعنى الذي يقصده المتكلم، وما يفهمه المستمع))[٢].

١.الإخباريات.

ويُقصد بها تلك الأفعال التي تعمل على نقل الوقائع والأحداث في العالم الخارجي ويدخل في إطارها ما يتم تناقله من أخبار في العالم فضلا عن الشؤون الدينية والاجتماعية ويكمن الغرض الإنجازي لها في نقل الواقع نقلا أمينا صادقا وفي تحققه يتحقق شرط الإخلاص وإذا حصل الأخير أنجزت الأفعال إنجازا ناجحا[٣]، وتتسم الأخبار في طبيعتها بالصدق والكذب غير غير أن هاتين الصفتين لا تنطبقان على جوابات الإمام(عليه السلام)؛ لأن ما يخبر به الإمام(عليه السلام) لا يحتمل

إلا الصدق وقد تضمنت الجوابات هذا الصنف من الأفعال الكلامية بعرض قضية وبيانها أو بوصف الذات الإلهية أو بيان صفات الدنيا والحديث عنها وغير ذلك مما تضمنته جوابات الإمام(عليه السلام) من أخبار وتقارير وأحداث ربما تناساها بعضهم بل أنكروها عيانا فذكَّرهم بها الإمام(عليه السلام)[٤]، فمن ذلك جوابه عمرا عندما مرَّ على الحجر الأسود فقال عنه بحضرة الإمام(عليه السلام): ((والله يا حجر إنّا لنعلم انّك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا أنّا رأينا رسول الله(**صلى الله عليه وآله**) يُقبّلك ما قبَّلتك))[٥]، فرد عليه الإمام بقوله(عليه السلام): ((**كَيْفَ يَابنَ الخَطَّابِ؟ فَوَالله، لَيَبْعَثَنَّهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَهُ لِسَانٌ وَشَفَتَان، فَيَشْهَدُ لِمَن وَافَاهُ، وَهُوَ يَمِينُ الله فِي أَرْضِهِ، يُبَايِعُ بِهَا خَلقه**))[٦]، فقد صحح الإمام الاعتقاد المغلوط عند عمر، وربما يكون عند

---

(١) تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب انموذجا، رحيمة شيتر: ١٥٢،(أطروحة دكتوراه).

(٢) مدخل إلى اللسانيات التداولية: ٢٦.

(٣) ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي: ١٠٢.

(٤) ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٨٧/١، ١٩٤، ٢٤١/٢، ٢٤٣، ٣٢١، ٣٣٨/٣، ٣٤٥، ٤٤٤/٤، ٤٧٥، ومستدرك نهج البلاغة: ٧٧، ٨٥، ١٨١، ٢٢٣، ٣٥٦، ونهج السعادة: ٨٢/١، ١٩٥، ٤١٧-٤١٩، ٥٣٠، ٩٦/٢، ١٥٧/٣-١٥٨، ٩٠/٤، ٣٠٢/٨، ومصباح البلاغة: ٢١/٢، ١٢٩، ١١٩/٣، ١٢٠/٤.

(٥) نهج السعادة: ٣١٤/٩.

(٦): نفسه.

عند كثير من الناس إذ كانوا ينظرون إلى الحجر الأسود بوصفه حجرا لا يضر ولا ينفع وقد وجدوا رسول الله(**صلى الله عليه وآله**) يستلمه ويقبله ويدعو عنده فساروا على نهجه من دون معرفتهم بالمسوغ الأمر الذي دعا الإمام(عليه السلام) إلى تصحيح هذه المفهوم بأسلوب وصفي اشتمل على أفعال كلامية إخبارية إذ أخذ يبين مسوِّغ تقبيل الحجر الأسود والتبرك به ؛ لما يمتلكه هذا الحجر من خصوصية عند الله (عز وجل) حتى أنه لقدسيته وعظمته ليبعثه الله (عز وجل) يوم القيامة بلسان وشفتين فينطق بهما، ويشهد على كلِّ ما تم عنده من عهد وميثاق، فعنده يدعو كل حاج ويتعهّد بالتخلي عمَّا اقترف من ذنوب وانحرافات فضلا عن تجديد البيعة لرسول الله محمد(**صلى الله عليه وآله**) والالتزام بما جاء به من عند الله(عز وجل) والسير على نهجه والالتحاق بركب التائبين ومن ثم يأتي دور الحجر الأسود يوم القيامة بالشهادة على من وافاه شهادته ضارةً أو نافعة بالإنسان ومن هنا يوصف بأنه ضارٌ أو نافعٌ وقد وظف الإمام(عليه السلام) في سبيل بيان قدسية الحجر الأسود بعض المؤكدات، نحو القسم باسم الجلالة(**الله**)، فضلا عن اللام المؤكدة والنون التوكيدية الثقيلة الداخلتين على الفعل المضارع (**يبعث**) من أجل بيان فضل الحجر ومكانته فهو يمين الله (عز وجل) في الأرض، وهو قناة الاتصال، التي يتواصل بها العبد وربه، وهي قائمة ما بقي الدهر ومن ثمَّ يتحقق المحتوى القضوي للأفعال الكلامية.

كانت البنية اللغوية التي تتمثل في جواب الإمام(عليه السلام) مشتملة على جملة من الأفعال الكلامية الإخبارية كان فعلها القولي متجسدا في بيان الإمام(عليه السلام) أهمية الحجر الأسود ومكانته أما قوتها الإنجازية فتجلت في الإخبار إذ عكف الإمام على تصحيح الاعتقاد الخاطئ عند عمر ومن على شاكلته بجعل الحجر الأسود شاهدا على من يقصده ويوافيه ويتعاهد عنده؛ أما الفعل التأثيري الناتج عن هذه الافعال الإخبارية فقد اتضح في جواب عمر بعد أن سمع قول الإمام(عليه السلام) وتوضيحه لحقيقة الحجر الأسود إذ قال: ((**لا أبقانا الله في بلدٍ لا يكون فيه عليّ بن أبي طالب**))[1]، فمعرفة عمر بالحقيقة المتجسدة في المسوغ والغاية من تقبيل الحجر وزيارته أثرت في نفسه فقد أبصر بها ضالَّته، الأمر الذي دعاه إلى إبداء ذلك التأثر بجوابه على الإمام(عليه السلام).

ومن **الإخباريات أيضا** جواب الإمام في النهي عن سماع الغيبة إذ يقول: ((**إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ. فسُئِلَ(عليه السلام) عن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعها بين**

---

[1] **نفسه.**

أذنه وعينه ثمّ قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ))[1]. جاء جواب الإمام(عليه السلام) بصيغة الإخبار فكان المحتوى القضوي للأفعال القولية يكمن في تنبيه الإمام على أمر مهم، هو التحقق قبل الجزم وإطلاق الأحكام عند الاستماع لأقاويل الناس إذ لا بد من طلب الحقيقة والتريث والتيقن من المسموع قبل البوح به، وكيل التهم على الآخرين عن طريق الركون الى السماع فقط؛ فالناقل للخبر قد يكون محبا، وقد يكون مبغضا، أو عدوا لمن ينقل عنه، وهنا تدخل العاطفة والأهواء في هذا النقل، الذي يجمعه قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ** ﴾ سورة الحجرات:٦

ويُلحظ في قول الإمام(عليه السلام) **((لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ))** كناية عن قلة المسافة الفاصلة بين الحق والباطل فقد تخال ما تفعله حقا ويكون باطلا إذ لا بد من الحيطة والحذر في التعامل مع الموضوع تجنبا للغيبة فقد تكون عاملا مساعدا في القَدح بسمعة من هو معروف بالستر المشهور بالصلاح والالتزام الديني والمكانة الاجتماعية المرموقة[2]، فلا يجوز أن تنقل شيئا إلا بعد التيقن منه ((إمّا برؤيتك وإمّا مثل رؤيتك ممّا اشتمل على الشواهد القطعية))[3]، وقد استعار الإمام(عليه السلام) لفظ **(الباطل)** للغيبة؛ للدلالة على أن الغيبة لا توافق أي وجه من وجوه الصواب بل توقع صاحبها في مزالق الذنوب والمعاصي فيكون ناقلها باطلا فضلا عن أن الإمام(عليه السلام) عبر عن المسموع بأنه باطل على حين أن التوثق من الأمور قبل التعاطي معها أو التصديق بها هي الحقيقة الحقة.

لقد جاءت أفعال الكلام القولية في خطابه(عليه السلام) :**(الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ)** تشير الى الفرق بين الحق والباطل، وقد حققت في النص بعدا إنجازيا تمثل في الإخبار فكان محتواها القضوي يشير الى التنبيه والتحذير من التعامل مع المسموع من الأخبار المنقولة على حين تكمن قوتها التأثيرية في مدى اتعاظ المتلقي ومحاذرته من إضرار الآخرين باغتيابهم وقذفهم بما ستر عنه الخلق.

ومن **الإخباريات**، التي ابتدأها الإمام(عليه السلام) بالنفي، قوله وذلك في معرض جوابه على بعض أصحابه عندما وصفه بأنه يعلم الغيب، إذ قال له: ((لقد أَعطيت يا أمير المؤمنين علم

---

[1] **نهج البلاغة:٢/١٩٠.**

[2] **ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٩/٧٢.**

[3] **بهج الصباغة: ٦/٣٤٦.**

الغيب))[1] فما كان منه(عليه السلام) إلا أن ضحك لقوله ورد عليه قائلا(عليه السلام): ((**لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْم، وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾(لقمان ٣٤) الآية، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيح أَوْ جَمِيل، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيل، وَشَقِيّ أَوْ سَعِيد، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً؛ فَهذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ(صلى الله عليه وآله) فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي**))[2]، فقد جاء جواب الإمام(عليه السلام) على سبيل الأسلوب الخبري التقريري بغية توضيح مسألةٍ غالبا ما وقع ويقع فيها التوهم والالتباس، ألا وهي مسألة علم الغيب، الذي يُوصف بها الأئمة الأطهار(عليهم السلام)، فقد عرَّج الإمام(عليه السلام) على إيضاحها في جوابه إذ جعل علم الغيب موقوفا على الله(سبحانه وتعالى)، وهو يختص بأمور خمسة[3]، جُمعت في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[4] ، فما ذكر في الآية المباركة علمه مختص في الله (عز وجل) لا يشاركه فيه أحد وهو ما بيَّنه الإمام(عليه السلام) في جوابه وأما غير ذلك فقد عرَّف الباري به نبيه الكريم(صلى الله عليه وآله)، وهو علمه لأهل بيته(عليهم السلام)، فقد كانوا على معرفة بضمائر بعض العباد، فضلا عن معرفتهم بما يكون قبل كونه وبحسب هذا كان إطلاق القول عليهم بعلم الغيب المطلق قولا منكرا بيِّن الفساد؛ لأن الذي يعلم الغيب المطلق لابد من أن يكون قد علمه بنفسه لا بعلم مستفاد بواسطة ثُم أن معرفة الغيب المطلق لا يختص بها إلا الله (عز وجل)[5]، فعلمه ذاتيّ مطلق لا حدّ له، أما علم غيره فمحدود عرضيّ له بدء ونهاية[6].

---

[1] **نهج البلاغة: ٢/١٨١.**

[2] **نفسه.**

[3] **ظ: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد):٨/٢١٧.**

[4] **سورة لقمان: ٣٤.**

[5] **ظ: بهج الصباغة: ٥/٥٥٣.**

[6] **ظ: مستدرك سفينة البحار، علي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ) :٨/٨٥.**

وتأسيسا على هذا يكون مصدر علم الإمام(عليه السلام) مُتلقَّى بالوساطة عن الرسول(**صلى الله عليه وآله**)، الذي أخذه عن جبريل(عليه السلام) عن الله (عز وجل)[1]، فيكون معنى تعليم الرسول(**صلى الله عليه وآله**) له(عليه السلام) في قوله: **(وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ)** هو ((اعداده لنفسه على طول الصحبة وتعليمه له كيفية السلوك وأسباب تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة من أنواع الرياضات حتى استعدت نفسه للانتقاش بالأمور الغيبية والإخبار بها))[2].

جاءت الأفعال الإخبارية التقريرية في جوابه؛ لإثبات أن علم الغيب الإلهي المطلق مغاير للعلم المكتسب المحدود فضلا عن ما ورد في الآية الكريمة، التي تزيد المعنى توكيدا وثبوتا وهذا ما يتمثل بالمحتوى القضوي للأفعال القولية.

ومن ثمَّ سعى الإمام الى بيان حاله من العلم الإلهي المطلق، فهو بشير ليس له من ذلك العلم إلا ما عُلم إياه. وهو بذلك يقدم نفسه بوصفه مثالا يُحتذى في سياق العلم المكتسب الذي يمكن صاحبه من النجاة والظفر بالآخرة.

وبحسب هذا تكمن القوة الإنجازية المبثوثة من هذه الأفعال هي الإخبار في تصحيح المفاهيم في هذه المسألة والتنبيه على أن الغيب مختص بالله وما سوى ذلك علم يكتسبه المُخلَصون بإذنه(سبحانه وتعالى)، فالإمام(عليه السلام) يقدّم بجوابه حقيقة إخبارية ربما غابت عن أذهان كثير منهم ووقع فيها الخلط متمثلة في اختصاص الغيب في الله وحده.

٢ .التوجيهيات.

ويقصد بها تلك الأفعال الطلبية التي يرسلها المتكلم رغبة منه في التأثير في المتلقي أو المستمع وحمله على فعل أمر ما، وهذه الأفعال تكون ذات دلالة طلبية باختلاف صيغها، أما فعلها التأثيري فيكمن في الاستجابة التي يبديها المخاطب بإزاء ما يوجه اليه من أوامر أو غيرها وأن هذه الأفعال لا تخضع لمعياري الصدق والكذب، أما شرط الإخلاص فيتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة عند المتلقي ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم الخارجي إلى الكلمات[3]، وتضم التوجيهيات: الاستفهام، والأمر، والنهي، والطلب، والرجاء، والاستعطاف، والتشجيع،

---

[1] في ظلال نهج: ١/٣٤.

[2] شرح المائة كلمة للإمام علي ابن أبي طالب، شرح: العالم الرباني علي بن ميثم البحراني: ٢٤٧.

[3] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٧٩.

والدعوة، والأذن، والنصح، فضلا عن التحدي، الذي جعله **أوستين** في أفعال السلوك، وكثير من أفعال القرارات عنده تدخل في هذا الصنف[١].

أما صيغ الأمر الصريحة فهي:

١. فعل الامر (افعل).
٢. اسم الأمر ، مثل : أنتم مأمورون بكذا .
٣. فعل المضارع المسبوق بـ(لام).
٤. اسم فعل الأمر، نحو : صه بمعنى أسكت ، وحذار بمعنى إحذر.
٥. ألفاظ مخصوصة بالوجوب ، نحو : يجب، وينبغي، ولابد من، ونحوها.
٦. المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: صبراً .
٧. صيغ الإخبار من مرسل ذي سلطة لكنَّها تعد عند بعض الأصوليين صيغا مجازية.
٨. الصيغ الصرفية مثل الفعل المبني للمجهول.
٩. شبه الجملة، نحو إلى البيت، أي: اذهب إلى البيت[٢]، فضلا عن الكلام الذي يحمل في طياته معنى الامر.

وعلى الرغم من تعدد صيغ الأمر الصريحة لكنَّه لا يمكن الركون إليها في توجيه النص فحسب بل لا بد من أن تتعاضد معها عوامل لتحديد **(الأمر)** منها السياق ومنزلة المتكلم والمخاطب، فـ((ليست المسألة لغوية صرفة، بل لغوية تداولية، إذ ليس الوضع اللغوي هو المعيار الأوحد، بل لابد أن تعضده مرتبة المرسل؛ لأنّها هي التي تحوّل دلالة الصياغة من الأمر إلى غير ذلك . وبهذا يبدو أنّ التوجيه باستعمال صيغة الأمر ليس تابعا للمواضعة اللغوية فقط ، وإنّما المعول عليه هو اتفاقها مع سلطة المرسل، بشرط ألا تتعارض مع سلطة أعلى من سلطته وهي سلطة تعاليم الدين))[٣].

و**التوجيهيات** بمختلف صورها تُعد أكثر حضورا في جوابات الإمام(عليه السلام) من سواها من الأفعال الكلامية الأخرى؛ لأنه(عليه السلام) كان يعيش في مجتمع ذي ميول واتجاهات تكثر فيه الفوضى والفتن فضلا عن عدم استقرار الظروف المحيطة بصورة عامة وبحسب هذا يكون مثل

---

[١] ظ: نفسه.

[٢] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٤٣-٣٤٣.

[٣] نفسه: ٣٤٢.

هكذا مجتمع به حاجة إلى الإرشاد والتوجيه والدعوة إلى الصلاح، وهذا ما حضر في جواباته(عليه السلام) بكثرة فضلا عن أوامر الدعوة إلى الجهاد ودفع العدو إلى غير ذلك من التوجيهيات، التي حفل بها كلامه.

فمن ورود فعل الأمر على **(افْعل)**[1] جوابه لـ**(نوف البِكاليّ)**[2]، بعد أن طلب منه أن يعظه فقال(عليه السلام): **((يَا نَوفُ، أحسِنْ يُحسِنُ الله إليكَ، فَقُلتُ: زِدْنِي يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين، فَقَالَ: يَا نَوْفُ، ارْحَمْ تُرْحَمْ، فَقُلْتُ: زِدنِي يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِيْن، فقال: يَا نَوْفُ، قُلْ خَيْرَاً تُذْكَر بِخَيْرٍ فَقُلتُ: زِدْنِي يَا أَمِيْرَ المُؤمِنِين، فَقَالَ: يَا نَوفُ اجْتَنِب الغِيْبَةَ فَإنَّها إدَامُ كِلَاب النَّارِ ... يَا نَوفُ، صِلْ رَحِمَكَ يَزِد الله فِي عُمرِكَ، وَحَسِّنْ خُلقَكَ يُخَفِّفْ الله فِي حِسَابِك ... يَا نَوفُ، إيَاكَ أَنْ تَتَذَلَّلَ لِلنَاسِ، وَتُبَارِزَ الله بِالمَعَاصِي فَيَفْضَحَكَ الله يَوْمَ تَلْقَاهُ. يَا نَوْفُ، احْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ تَنَل بِهِ خَيرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))**[3]، فقد حوت البنية الخطابية جملة من الأفعال التوجيهية، التي جاءت بصيغة الأمر **(أحسن، ارحم، قُل، اجتنب، صِل، حسِّن، احفَظ)** وقد كان المتكلم **(الإمام)** والمخاطب **(نوف)** يسعيان إلى أن يُلتزم بهذه الأوامر، التي خرجت إلى النصح والموعظة وبهذا يتحقق شر الإخلاص فمجيء نوف إلى الإمام(عليه السلام) وطلبه الموعظة دليل على استعداده الذهني والنفسي ورغبته بالالتزام بما سُيقال، والإمام(عليه السلام) لم يقل شيئا إلا، وهو يهدف إلى أن يَلتزم به المُخَاطَب فالأفعال التوجيهية الأمرية وإن خرجت إلى الموعظة لم تكن فارغة من دلالتها الإلزامية إذ استثمر الإمام(عليه السلام) مكانته في توجيه المتلقي، الذي كان من أصحابه المحبين له، وهو لمعرفته بمنزلتي الإمام(عليه السلام) الدينية والاجتماعية يلزم نفسه بالطاعة لكلامه(عليه السلام)؛ لأن في ذلك صلاح النفس وتهذيبها وتربيتها فقد اختار الإمام(عليه السلام) الدرر من الكلام لوعظه وإرشاده بها فكان المحتوى القضوي للأفعال القولية يتمثل في دعوة الإمام(عليه السلام)إلى التراحم الذي يُنزل رحمة الباري(عز وجل)، وقول الخير والتحلي به والابتعاد عن الغيبة، التي تأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب، وصلة الرحم، التي تمدّ بالعمر، وحسن الخلق التي بعث الرسول(صلى الله عليه وآله)

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/١٧١، ١٧٧، ٢/٢٢٨، ٢٨٠، ٣٣/٣٨٩، ومستدرك نهج البلاغة: ٧٧، ٨٨، ١٦٧، ١٩١، ونهج السعادة: ١/٥٦، ٨٢، ١٨٢، ٢/٣١٠، ٤/٥٦، ٧٣، ٥/١٨، ٣٠، ٨/٣٠٢، ومصباح البلاغة: ١/٧١، ٧٣، ٢/١٢٨، ١٦٧.

[2] هو نوف بن فضالة الحميري المشهور بالبِكاليّ من العلماء التابعين، وهو من الصادقين، الذين استأنسوا بصدقهم لازم الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) وكان من أحبابه الخلص ومن الرواة عنه، توفي سنة إحدى ومائة من الهجرة (ظ: الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تح: علي محمد البجاوي: ١/٣٧٧).

[3] مستدرك نهج البلاغة: ٨٠.

من أجل كمالها وتمامها؛ فالأمم تبقى ما بقيت أخلاقها وتفنى بفنائها والدعوة إلى عدم التذلّل للناس والتجاهر بالمعاصي إلى غير ذلك مما جادت به قريحة الإمام(عليه السلام).

وتأسيسا على هذا حققت الأفعال التوجيهية الأمرية في خطاب الإمام(عليه السلام) الإرشادي غرضا إنجازيا تمثل في الوعظ والتوجيه فكانت الرسالة المستشفة منها تكمن في الوعظ والدعوة إلى تربية النفس من أجل أن تنال خير الدنيا فضلا عن الآخرة على حين كان الفعل التأثيري في هذه الافعال بيَّنا عن طريق رد الفعل الذي أظهره المُخاطَب إذ قال للإمام(عليه السلام) عند سماعه الموعظة تلو الأخرى: **(زدني يا أمير المؤمنين)**؛ وفي قوله هذا إشارة إلى عمق التأثير النفسي، الذي أحدثه الإمام(عليه السلام) بكلامه، في قرارة نفس نوف.

ومن توظيف الإمام(عليه السلام) لصيغة الامر **(افعل)** قوله في معرض جوابه على بعض عماله على البصرة، وهو **(عثمان بن حنيف)**[1]، بعد أن بلغه عنه أنه دُعي إلى وليمة، فمضى إليهم فوبخه الإمام(عليه السلام) قائلا: **((أَمَّا بَعْدُ، يَابْنَ حُنَيْف، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلى مَأْدُبَة، فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلى طَعَامِ قَوْم، عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ، وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ.فَانْظُرْ إِلى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذاَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ))**[2]، إذ تضمن الخطاب مجموعة من الأوامر التوجيهية المستشفة من الأفعال القولية(**.فَانْظُرْ إِلى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذاَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ**) وقد أرفد هذه الأوامر وقواها سلطة الإمام(عليه السلام)، المتمثلة بخلافته فقد كان يريد من ولاته وعماله على الأمصار والمدن أن يكونوا على قدر كبير من المسؤولية وأن يكونوا بمثابة قيمة عُليا ومثالا يحتذى به فلا تأخذهم الأهواء والميول والمظاهر في الحكم وأن يقدروا أنفسهم بالضعفاء والفقراء فلا يتزينوا باللباس ويُلونوا الطعام وفي رعيتهم فقراء لا يجدون قوت يومهم حتى ((بلغ من حساب الإمام للولاة أنه كان يحاسبهم على حضور الولائم التي لا يجمل بهم حضورها))[3].

---

[1] **هو عثمان بن حنيف من بني حنش بن عوف من الأوس صحابي من الأنصار، كان قد شهد مع النبي (صلى الله عليه وآله) المشاهد كلها بعد بدر، وولاّه عمر بن الخطاب خراج سواد العراق، ثم ولاه الإمام علي(عليه السلام) البصرة قبل موقعة الجمل، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان (ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥٧٠).**

[2] **نهج البلاغة: ٣/ ٣٨٤.**

[3] **عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد: ١٦٩، وظ: في ظلال نهج البلاغة: ٤/ ١٥.**

وبعد أن بيَّن الإمام(عليه السلام) موقفه الرافض لهذه الدعوة أخذ يوجه عثمان بأفعال إلزامية إذ قال: **(.فَانْظُرْ إلى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هذاَ الْمَقْضَمِ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ فَنَلْ مِنْهُ)**، فقد كان المحتوى القضوي للأفعال يظهر في توجيه الإمام فهو(عليه السلام) يأمر عثمان بالنظر إلى ما يأكل من الطعام وأن يستوثق منه ويتيقن قبل تناوله فإذا ما اشتبه عليه حلاله من حرامه فعليه تركه وفي هذا تحذير بليغ وصريح من دعوات الولائم التي تعتريها الشبهة، التي لا تُراد خالصة لوجه الله (عز وجل) وإنما تُقصد من ورائها مآرب شيطانية[1]، وبحسب هذا يكون غرضه التنبيهي صادرا من منطلقين: **الأول** ما يكون لغير الله (عز وجل) و**الثاني** الحرام أو المشتبه به وبرعايتهما يكون قوام الدين[2]، وقد يكون المُستشف من هذه الأفعال الكلامية الأمرية رغبة الإمام(عليه السلام) في جعل عثمان يترفع عن هذه الدعوات؛ لأنَّ المكانة التي هو عليها أجلّ من أن ينال ما لا يحلّ له من الطعام جهلا بالمسألة أو تسامحا في أمر دينه ويُردّ مسوغ تشدد الإمام(عليه السلام) على عثمان إلى علوّ رتبته، فنبّه(عليه السلام) على أنّ هذا الفعل لا يليق بمثله وإن كان لا بأس عليه لغيره ممّن لم ينل مقامه في العلم والورع[3]، ومما يدلل على هذا المعنى أن الإمام قد عبر عن الأكل بالقضم؛ ((لأن القضم يطلق على معنيين أحدهما على أكل الشيء اليابس والثاني على ما يؤكل ببعض الفم وكلاهما يدلان على أن ذلك المقضم المرغوب عنه لا فيه))[4]، فكان الغرض من هذه الوصف تقليل شأن الأكل والإشارة إلى أنه لا يتعدى سد حاجة الإنسان فحسب. وبهذا تحقق المحتوى القضوي للأفعال.

أدت الأفعال الكلامية التوجيهية في النص غرضا إنجازيا تمثل في التوجيه وهو الدعوة إلى ترفع صاحب السلطة عن الانصياع وراء ولائم ذوي النفوذ المغرضين الساعين لتلبية احتياجاتهم بوساطة الحاكم، على حين جاء غرضها التأثيري متمثلا في الحذر والحيطة من تناول الحرام أو المشتبه فيه ولاسيما إذا كان ذا سلطة في الدولة.

أما **المصدر النائب عن فعل الأمر** فلم يكن حظه حسنا في الجوابات فقد وظف في موضعين[5] من ذلك جوابه (عليه السلام)، الذي ذكره بعد وقوع حادثة **(همَّام)**[1]، الذي صعق بما سمع

---

[1] ظ: أدب الضيافة، جعفر البياتي:١٠٨/١.

[2] ظ: بهج الصباغة: ٤٦١/٦.

[3] ظ: منهاج البراعة (الخوئي): ٨٦/٢٠.

[4] لسان العرب، (قَضَمَ): ٢٠٧/١١، وظ: شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٠٧/١٦.

[5] ظ: نهج السعادة: ٢٦٨/٢.

من صفات للمتقين بعد أن طلب من الإمام(عليه السلام) أن يذكرها وهو قوله: ((**هكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ البَالِغَةُ بِأَهْلِهَا**))[٢]، فقال له قائل ممن حضر هذا الموقف: ((فما بالك يا أمير المؤمنين))[٣]: فرد عليه الإمام(عليه السلام) بقوله: ((**وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَل وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً، لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ**))[٤]، لقد كان هذا القائل يجهل حقيقة ما يحدث ففسر قول الإمام(عليه السلام) من دون معرفة أو تبيُّن بأن المواعظ إذا كان هذا صنيعها بأهلها فلماذا أثرت بهمَّام ولم تؤثر فيك يا امير المؤمنين؟، وهو استفهام غرضه الاستفزاز وإثارة الشبهة وبحسبان هذا ردَّ عليه الإمام(عليه السلام) بجواب ابتدأه بالتقريع المخلوط بالرحمة بتوظيف مفردة (**وَيْحَكَ**)، التي تدل على الذم مع إرادة الرحمة[٥]، فلم يرضَ(عليه السلام) منه قوله ثمَّ أخذ يشير ويبين له ما كان يجهله بتوظيف الفعل القولي التوجيهي، وهو أن له أجلا حتميا مقدّرا ووقتا معيّنا لموته لا يتقدّم ولا يتأخّر ومسوغا معيّنا لأجله لا يتبدّل وإنما يردّ إلى مشيئة الله(سبحانه وتعالى) وحده

من هنا جاء أمر الإمام(عليه السلام) للقائل بأن يتوقف عن قوله ولا يعود إليه مرة أخرى باستعمال الفعل التوجيهي الامري المتمثل بالمصدر النائب عن فعل الأمر (**مَهْلاً**)؛ ((لأنه اعترض في غير موضع الاعتراض ولأنه لا يلزم من موت العامي عند وعظ العارف أن يموت العارف عند وعظ نفسه لأن انفعال العامي ذي الاستعداد التام للموت عند سماع المواعظ البالغة أتم من استعداد العارف عند سماع كلام منهاج البراعة نفسه أو الفكر في كلام نفسه لأن نفس العارف قوية جدا والآلة التي يحفر بها الطين قد لا يحفر بها الحجر))[٦].

ورد الفعل الكلامي التوجيهي مؤديا غرضا إنجازيا تجلَّى في توبيخ الإمام(عليه السلام) للمتكلم وأمره بترك الحديث في ما لا يعلم بإيراد النائب عن فعل الأمر (**مَهْلاً**)، الذي يُعد أقوى دلالة وأكثر تأثيرا في النفس من استعمال الفعل صريحا.

---

[١] هو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى بن الأصهب بن كعب بن الحارث بن سعد بن عمرو بن ذهل بن مران بن صيفي بن سعد العشيرة . وكان همام هذا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأوليائه وكان ناسكا عابدا(شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد:١٠/١٣٤).

[٢] نهج البلاغة:٢/٢٨٣.

[٣] نفسه.

[٤] نفسه.

[٥] ظ: القاموس المحيط، (ويح): ٢٤٧.

[٦] شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد):١٠/١٦١-١٦٢.

ومن استعمال **اسم الفعل** للدلالة على الأمر كذلك جوابه(عليه السلام)، الذي يرد به على مدعٍ كاذب قال له عندما كان(عليه السلام) يجلس في رحبة مسجد الكوفة والناس مجتمعون إليه: ((**يا أمير المؤمنين إنك بالمكان الذي انزلك الله به وأبوك يُعذب بالنار**))[1]، فما كان من الإمام(عليه السلام) إلا أن أجابه بجواب مخرس، وذلك بقوله: ((**مِهْ فَضَّ الله فَاكَ وَالَّذِيْ بَعَثَ مُحَمَّدَاً بِالحَقِّ نَبِيًّا لَوْ شَفَعَ أَبِي فِي كُلِّ مُذنِبٍ عَلَى وَجهِ الأَرْضِ لَشَفَعَهُ الله تَعَالى فِيْهِم لَأَبِي يُعَذَّبُ بِالنَّارِ وَابنَهُ قَسِيْمُ النَّارِ**))[2]، كان الحُسَّاد والحاقدون والمنافقون يتحينون الفرص؛ ليعترضوا الإمام(عليه السلام) من حين لآخر حتى يخرجوا جام حقدهم وغلهم وكرههم، الذي كانوا يحملونه عليه، كل ذلك حسدا من عند أنفسهم ونيلا من هذه الشخصية العظيمة، وقد كان هذا القائل من بينهم، فقد ادعى كفر **أبي طالب**(عليه السلام)، وأنه يُعذب في النار وابنه خليفة للمسلمين في الكوفة في كلامه الذي وجهه للإمام(عليه السلام) فأسكته الإمام بردّ قاطع إذ صدره بإيراد اسم الفعل **(مه)**، وهو فعل كلامي توجيهي يأمر فيه المُخَاطَب بالسكوت والكف عن قوله ثم دعا عليه الإمام(عليه السلام) بتكسر أسنانه في فمه بقوله: **(فَضَّ الله فَاكَ)**[3]، لأنه قال باطلا ثمَّ بعد ذلك قرعه الإمام(عليه السلام) بالحجة الدامغة والدليل القاطع على إيمان أبي طالب(عليه السلام)، وهو أنه لو استشفع عند الله(عز وجل) لكل مذنب على وجه الأرض لقبل الله شفاعته؛ لما له من منزلة كبيرة سواء أكانت قبل الإسلام أم بعده.

وقد نفى الإمام(عليه السلام) تهمة الكفر عن **أبي طالب**(عليه السلام) في غير موضع نحو قوله: ((**وَالله مَا عَبَدَ أَبِي وَلَا جَدِّي عَبْد المُطَّلِب وَلَا هَاشِمٌ وَلَا عَبد مَنَاف صَنَمَاً قَطُّ، قِيْلَ لَهُ: فَمَا كَانُوْا يَعْبُدُون؟ قَالَ: كَانُوا يُصَلُّونَ إلى البيتِ عَلَى دِينِ إبرَاهِيم(عليه السلام) مُتَمَسِّكِيْنَ بِهِ**))[4].

ومن ثمَّ فقد أورد الإمام(عليه السلام) من أجل إسكات ذلك القائل أسلوب الأمر المتمثل باسم الفعل القولي**(مِه)** الذي يستعمل غالبا بعد اللغط فقصد به الإمام بيان حال اللغط الذي كان عليه ذلك الذي يهذي بغير علم محدثا بذلك غرضا إنجازيا، هو الدعوة إلى عدم الكذب والافتراء ورمي الناس بالأباطيل من دون وجه حق أو معرفة.

ووظف الإمام(عليه السلام) **اسم الفعل** أيضا؛ للدلالة على الأمر في جوابه لـ**(الخريت بن راشد)**[1]، **راشد)**[1]، بعد أن قدم إلى الإمام(عليه السلام) مع جماعة متهما إياه بضعفه في الحق وركونه إلى القوم

---

[1] نهج السعادة: ٦٤٩/٩.

[2] نهج السعادة: ٦٤٩/٩.

[3] ظ: تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تح: عبد الكريم العزباوي، (فضض):٤٨٩/١٨.

[4] مسند الإمام علي، السيد حسن القبانجي، تح: طاهر السلامي: ٨٤/٨.

القوم الذين ظلموا أنفسهم بسبب قبوله التحكيم، فردَّ عليه الإمام داعيا إياه إلى التحاور والمدارسة في قوله: ((**هَلُمَّ أُدَارِسُكَ الكِتَابَ، وَأُنَاظِرُكَ فِي السُّنَنِ، وَأُفَاتِحُكَ أُمُوْرَاً مِن الحَقِّ أنَا أعْلَمُ بِهَا مِنْكَ، فَلَعَلَكَ تَعْرِفُ مَا أنْتَ لَهُ الآنَ مُنْكِرٌ، وَتَسْتَبْصِرُ مَا أنْتَ عَنْهُ الآنَ جَاهِلٌ قَالَ: فَإنِّي عَائِدٌ إلَيْكَ قَالَ: لَا يَسْتَهْوِينَّكَ الشَّيْطَانُ، وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الجَهْلُ، وَوَاللهِ لَئِن اسْتَرْشَدْتَنِي وَاسْتَنْصَحْتَنِي وَقَبِلتَ مِنِّي لَأهدِيَنَّكَ سَبِيْلَ الرَّشَادِ**))[٢]، فبعد أن رأى الإمام(عليه السلام) هذا الموقف من الخريت دعاه إلى كتاب الله(عز وجل) وسنة رسوله(**صلى الله عليه وآله**) فضلا عن علمه(عليه السلام)، الذي استقاه من الرسول(**صلى الله عليه وآله**) حتى تتبين الحقائق ويظهر المحق من المرين على قلبه المتبع لعمل الشيطان وقد كانت الرسالة المستوحاة من دعوة الإمام(عليه السلام) والتي تمثل المحتوى القضوي للفعل القولي هي أن على الإنسان عند وقوع الحوادث والملمات أن يلجأ إلى تحكيم عقله وأن يلتزم التهدئة والتريث فضلا عن الجنوح إلى النقاش والحوار بغية معرفة الملابسات التي أحاطت الحادثة، ودعت شخصا ما أن يأخذ موقفا معينا أو يقوم بفعل ما لا أن تأخذه العاطفة أو الهوى أو التسرع في إصدار الأحكام عن جهل فربما تكون تلك الأحكام والقرارات ظالمة للكثير؛ لأنها لم تصدر عن تريث ومناقشة ومدارسة وحكمة، وهذا لب الغرض التأثيري المراد من الفعل الكلامي.

على حين أن الغرض الإنجازي الذي قدمه **اسم الفعل**، تمثل في الدعوة إلى المُدارسة والحجاج والإقناع وعلى أساسها تترتب الأحكام وإصدارها إذ قصد به الإمام النصح والإرشاد عن طريق حثه على الإسراع الى الحق وترك الباطل.

وفيما يخص الألفاظ الدالة على الأمر، نحو:(**فرض، وكتب، وأَمَرَ، وينبغي...**) فقد كان لبعضها ذكر في الجوابات[٣] من ذلك توظيفه(عليه السلام) اللفظ: (**ينبغي**) في قوله: ((**وَأنَّ أَوَّلَ مَا**

---

[١] هو الخريت بن راشد الناجي كان مع علي في صفين ولما وقعت الحكومة نقض عهده مفارقا إياه ومخالفا إلى بلاد فارس ثم أخذ يفسد الناس ويدعوهم للخلاف فأرسل إليه علي جيشا فقتلوه عندما أدركوه بسيف البحر بفارس بعد أن اجتمع معه كثير من العرب والنصارى، وكان قد منعهم عن أداء الصدقات والجزية، (ظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابو عمر يوسف بن عبد البر، تح: علي محمد البجاوي:٤٥٨-٤٥٩، وهامش نهج البلاغة: ٧٢/١)

[٢] نهج السعادة: ٣٩٦/٢.

[٣] ظ: نهج البلاغة: ٢٩٩/٢.

يَنْبَغِي لِلمُسْلمِينَ أَنْ يَفْعَلُوهُ أنْ يَخْتَارُوا إِمَامَا يَجْمَعُ أَمْرَهُم إنْ كَانَت الخِيَرَةُ لَهُم وَيُتَابِعُوهُ وَيَطِيعُوهُ وإنْ كَانَت الخِيَرَةُ إلى الله (ﷻ) وَإلى رَسُولِهِ فَإنَّ الله قَدْ كَفَاهُمْ النَّظَرَ فِي ذَلِكَ وَالاخْتِيَار وَرَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) قَدْ رَضِيَ لَهُم إِمَامَا وَأَمَرَهُم بِطَاعَتِهِ واتِّبَاعِهِ))[1] لقد كان هذا القول من بعض كلام ردَّ به الإمام على رسول معاوية وما تخلل هذا الرد من حديث حول مقتل عثمان وما على المسلمين عمله بعد موت خليفتهم سواء قتل مظلوما أم ظالما حتى وصل إلى قوله، الذي وظف فيه الفعل الكلامي الإلزامي الذي يدل على الوجوب(**يَنْبَغِي**) مشيرا به على المسلمين بعد موت خليفتهم أن يتوجهوا مباشرة إلى اختيار خليفة لهم بالاجتماع والتشاور فيما بينهم إذا كان اختياره يتم بالمشاورة فيما بينهم ويعود إليهم قبل أن يقبلوا على فعل أي شيء أو يشغلوا أنفسهم بأمور أخرى كطلب القصاص لإمامهم المقتول إذا ما كان قد قتل أو سوى ذلك من الأمور التي تصرفهم عن تنصيب إمام جديد لكي يحافظوا على سير أمور المسلمين بصورة طبيعية والحفاظ على مصالح الناس باختيار إمام عادل ((عالم ورع عارف بالقضاء والسنة يجمع أمرهم ويقضي بينهم ويأخذ للمظلوم من الظالم ويحفظ أطرافهم ويجبي فيئهم ويقيم حجتهم وجمعتهم ويجبي صدقاتهم))[2]، فلا بد من أن تكون هذه الخطوة هي الأولى بعد موت الخليفة فضلا عن أن الضرورة ((قاضية بلزوم وجود قائد للناس يتحمل أعباء الحكومة، ويتصدى لأُمور الزعامة، وإدارة المجتمع، حسب الطرق الصحيحة))[3]، وهذا ما يُمثل المحتوى القضوي للفعل القولي المعنى.

ثم لفت الإمام(عليه السلام) نظرهم إلى أن اختيار الإمام إذا كان عائدا للمسلمين فلهم أن يختاروا إماما عادلا ويتبعوه ويطيعوه وإذا كانت الخيرة لله(سبحانه وتعالى) ورسوله(**صلى الله عليه وآله**)، فالله ورسوله أعلم بتنصيب الإمام، الذي يكون أهلا لتمثيل المسلمين وقيادتهم ومن ثمَّ يكون واجب الطاعة والاتباع، وهذا المعنى قد أبلغه الإمام(عليه السلام) لمعاوية برسوله فقد أخبره بأنك إذا زعمت أن اختيار الإمام راجع للمسلين بالشورى فقد اختاروني خليفة لهم وإذا كان الأمر عائد إلى الله ورسوله فقد نصَّبَاني خلفية فلماذا عنادك بعد.

---

[1] **مصباح البلاغة: ٣/٢٧- ٢٨.**

[2] **مصباح البلاغة: ٣/٢٧.**

[3] **مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني: ١/٦٥٦.**

أعطى الفعل القولي **(يَنْبَغِي)** المشتمل على دلالة الطلب غرضا إنجازيا يتمثل في دعوة الإمام(عليه السلام) إلى ضرورة اختيار المسلمين إماما لهم بعد وفاة إمامهم وأن ينضووا تحت لوائه وتكون له الطاعة في الأمر والنهي.

ومن ذلك أيضا توظيفه(عليه السلام) الفعل القولي **(أمرتهم)** في معرض قوله الذي يشيرا فيه إلى خيانة القوم وتخاذلهم في نصرة الحق بعد أن ساروا في صف الباطل تاركين طريق الحق: ((**لَمَا بُوْيِعَ أَبُو بَكْرٍ أَتَانَي أَرْبَعُوْنَ رَجُلاً مِنْ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ فَبَايَعُوْنِي فَأَمَرْتُهُم أَنْ يُصْبِحُوا عِنْدَ بَابِي مُحَلّقِيْنَ رُؤُوسَهُم عَلَيْهِمُ السِّلَاحُ فَمَا وَافَى مِنْهُم أَحَدُ وَلَا صَبَحَنِي مِنْهُم غَيْرَ أَرْبَعَةٍ: سَلمَانٌ، وَأَبُوذَر، وَالمِقْدَادُ، وَالزُّبَيْر**))[1] فكان هذا القول جوابا عن سؤال الأشعث بن قيس عن الأربعة الذين بايعوا عليا وثبتوا حينما نقض القوم في اليوم التالي إذ أدى الفعل الكلامي **(أَمَرْتُهُم)** غرضا إنجازيا تمثل في الدعوة والتوجيه فكان المحتوى القضوي للفعل الإنجازي يكمن في دعوة الإمام(عليه السلام) لهؤلاء الجماعة الذين التحقوا به بعد أن بويع الخليفة الأول أن يصبحوا عند بابه في اليوم التالي محلقين رؤوسهم متسلحين بأسلحتهم بغية تصحيح المسار بعد أن بايعوه(عليه السلام) على السمع والطاعة، وفي اليوم التالي لم يثبت على موقفه سوى أربعة، وهم: **(سَلمَانٌ، وَأَبُوذَر، وَالمِقْدَادُ، وَالزُّبَيْر)**؛ وفي هذا إشارة إلى أن الأثر الذي يحدثه الفعل الكلامي في نفس المخاطب يختلف من شخص لآخر إذ لم يصمد من الأربعين شخصا ولم يلتزم بأمر الإمام(عليه السلام) سوى هؤلاء الأربعة، الذين تأثروا بكلامه فكان له وقع في نفوسهم فنفَّذوا ما طُلب منهم على حين أن الباقين لم يأخذوا بكلام الإمام(عليه السلام) فما إن خرجوا منه نسوا بل تناسوا ما أمرهم به مفضلين خيانته ونقض بيعته ومن ثمَّ تفاوت الغرض التأثيري لفعل الكلام الطلبي**(أَمَرْتُهُم)**، الذي وظفه الإمام(عليه السلام) في جوابه.

ومن **أساليب الطلب الأخرى**، التي تؤثر في المخاطب فتجعله يقوم بعمل ما أو التخلي عن فعل أمر ما هو **النهي** فـ((إذا نهيت المخاطب فأنت تزجيه إلى أمر))[2]، فيكون أسلوب النهي: ((طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام))[3]، ويتألَّف من **(لا)** الناهية الجازمة، والفعل المضارع، والنهي يحذو حذو الأمر فيتفق معه في دلالة الاستعلاء؛ لأن أصل استعمال النهي إنما يكون على الاستعلاء فإن تحقق له ذلك الغرض فإنه يفيد الوجوب وإن لم يتحقق أفاد

---

[1] مصباح البلاغة: ١٣/٣.

[2] كتاب سيبويه: ٢٨٩/١.

[3] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. احمد مطلوب : ٣ / ٣٤٤ .

طلب الترك[١]، فضلا عن تعلق كل منهما بالآخرين؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يكون آمراً لنفسه، أو ناهياً لها، زيادة على أنه من الضرورة أن يكون فاعلهما مريدا لهما وهما يختلفان في أنهما يختصان بصيغ خاصة، وأنّ الأمر دالّ على الطلب، والنهي دالّ على المنع ، فضلا عن أنّه الأمر لابد فيه من إرادة مأمورة، بخلاف النهي الذي لابد فيه من كراهة منهية[٢]، والنهي في حقيقته نفي للأمر، نحو:(**اضرب- لا تضرب**)، ويقوم على شرطين، هما: الاستعلاء، والزام المخاطَب به، فإذا ما اختل اختلّ أحد الشرطين وهو يخرج عن أصله إلى أغراض تواصلية يحتمها السياق، كالتهديد، والدعاء، والالتماس وما سواها[٣]، ويكمن غرضه الإنجازي وقت النطق به وقد حوت جوابات الإمام(عليه السلام) جملة من النواهي[٤] بحسبان ما كان يتمتع به الإمام(عليه السلام) من مكانة وسلطة تتيح له إصدار النواهي فقد كان إذا بلغته خيانة من أحد عماله أو ولاته على الأمصار كتب إليه :((**قَدْ جَاءَتْكُمُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَ فَأَوْفُوا الكَيْلَ وَالمِيْزَانَ بِالقِسْطِ، وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم وَلَا تَعْثَوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين، بَقِيَّةُ الله خَيْرٌ لَكُم إِنْ كُنْتُم مُؤمِنِينَ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيْظٌ. إِذَا أَتَاكَ كِتَابِيَ فَاحْتَفِظْ بِمَا فِي يَدَيْكَ مِنْ أَعْمَالِنَا حَتَّى نَبْعَثُ إِلَيْكَ مَنْ يَتْسَلِمَهُ مِنْكَ**))[٥]، فقد ورد الخطاب العلوي مشتملا على أفعال قولية توجيهية تدل على النهي في موضعين من كتابه(عليه السلام): (**وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُم**)، (**وَلَا تَعْثَوا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِين**)، إذ استقى الإمام(عليه السلام) هذه النواهي من القرآن الكريم؛ لترصين كلامه وتقويته من جهة، وليكون تأثيره أبلغ في المخاطب من جهة أخرى إذ اجتمع فيه جانبان يتمثلان في النهي والوعظ؛ فكان المحتوى القضوي المرجو من جوابه يكمن في نهي ولاته عن ظلم الرعية وبخس حقوقهم فضلا عن ألَّا يعثوا في الأرض بغية إفشاء الفساد مستثمرا في ذلك مقامه(عليه السلام) بوصفه خليفة للمسلمين فقد كان شغله الشاغل أن تبنى خلافته في الأمصار كلها على أسس العدالة وإنصاف الرعيَّة وتأدية حقوق الله(عليه السلام) إليهم فضلا عن البناء والازدهار والتقدم فيتحقق بذلك شرط الإخلاص من الأفعال التوجيهية.

---

[١] ظ: مفتاح العلوم: ٣٢٠ .

[٢] ظ: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣ / ٣٤٤ .

[٣] ظ : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسي : ٤٦٥ .

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢/٢٢٩، ٣/٣٤٦، ٤/٤٥٧، ومستدرك نهج البلاغة: ٣٤٢، ١/٥٨، ١/١٣٠، ٢/٤٩، ١١٨، ٣/١٥٧، ٥/١٨، مصباح البلاغة: ٢/١٤٤، ١٦٨، ٣/١٩١.

[٥] نهج السعادة:٤/١٤٤.

أما الوعظ فيتجلى في تذكير الإمام(عليه السلام) لهم بأن الله (سبحانه وتعالى) قد وعظ في كتابه ونهى عن البخس والظلم وأنه يذكرهم بذلك في هذا المقام ويعيد ذكره عليهم وقد كان هذا المعنى مأخوذا من قوله تعالى: ﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ **سورة هود: ٨٥، وسورة الأعراف من الآية: ٨٥، وسورة الشعراء: ١٨٣**، إذ اقتبس(عليه السلام) النهي الوارد في النص القرآني؛ ليوظفه في نصح الولاة؛ ليكون تأثير كلامه أوقع في نفوسهم بوصف القرآن الكريم أبلغ وأبين وأوكد نص يمكن أن يؤثر في المسلم إذ منه تؤخذ العبرة والموعظة وبحسب هذا يتجلى البعد التأثيري للأفعال الكلامية الطلبية في جوابه، على حين تمثلت القوة الإنجازية لتلك الأفعال في التوجيه وهي دعوة الولاة إلى العدالة والنهي عن الظلم والفساد ويُلحظ في هذا الجواب ملمحا مهما يتمثل في أن الإمام(عليه السلام) قد خاطب بصيغة الجمع دون المفرد مع أن الكلام موجه لواحد؛ لينبه الولاة كلهم فيحذروا الوقوع في المحظور فهو من باب التذكير لهم.

ومن استعمال **النهي** أيضا قوله(عليه السلام) لِسائل سأله عن معضلة: **((سَل تَفَقُّهاً وَلاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتاً، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ))**[1]، يُلحظ من جواب الإمام(عليه السلام) أن السائل قد سأله ممتحنا لا مستفهما ومتعلما فجاء جوابه(عليه السلام) مناسبا لذلك السائل ليلفت نظرنا إلى مسألة مهمة في كل زمان ومكان، وهي الغاية من السؤال إذ يجيب(عليه السلام) على السائل ويأمره بأن يسأل من أجل التعلم والتفهم والتبين والتفقه بتوظيف الفعل القولي التوجيهي **(وَلاَ تَسْأَلْ تَعَنُّتا)** فلا بد من أن تكون غاية السائل طلب المعرفة عن أشياء يجهلها أو لا علم له بها أو أشكل عليه فهمها بالاعتماد على نفسه فيكون له أن يتوجه بها إلى من هو أعلم بها[2]، ثم ينهاه(عليه السلام) عن السؤال تعنتا ويُقصد بـ**(التعنت)**:المشقة والتعجيز والزلة[3]، بأن تكون الغاية والهدف، الذي يرمي إليه السائل إيقاع المسؤول في الخطأ والزلة والسعي إلى حمله على المشقة والعجز فضلا عن المجادلة والمغالبة[4] بسؤاله عن أمور لا يحتاج إليه أو يصعب على المسؤول الوصول إلى جوابها فيكون سؤال السائل هنا تعنُّتا[5]، وقد

---

(١) نهج البلاغة: ٤/٤٨٣.

(٢) ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢١/٤٠٨، و: بهج الصباغة:٦/٣٥٨.

(٣) ظ: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، (عنت) ١/٢٥٨-٢٥٩،

(٤) ظ: بهج الصباغة: ٦/٣٥٨، وفي ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٠٧.

(٥) ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢١/٤٠٨.

روي عنه(عليه السلام) في حق العالم ((أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تضع له غامضات المسائل، ولا تلحّ عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفش له سرّا ولا تغتابنّ عنده أحدا، ولا تنقلنّ إليه حديثا، ولا تطلبنّ عثرته، وإن زلّ قبلت معذرته، وعليك أن توقّره وتعظّمه لله ما دام حافظا أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته))[1]، فهو(عليه السلام) يبين لنا منزلة العالم وأهميته وجلالة قدره والطريقة التي يتم بها التعامل معه فيها ثمّ يتضح لنا بأنه يوجد ((فرق كبير بين من يسأل ليعلم ويعمل، وبين من يسأل ليتعاظم بالصلف والوقاحة ذاك ينشد طريق الهدى والنجاة، وهذا ينحرف عنه إلى التيه والظلمات))[2]، ثم يضرب لنا الإمام(عليه السلام) مثلا بصورتين؛ لتعضيد دلالة النهي مستثمرا فيهما غرضا بيانيا متمثلا بالتشبيه **الصورة الأولى**، وهي: الجاهل المتعلم، أما **الثانية** فهي العالم المتعسف، والأول (**الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ**) شُبِّه بالعالم؛ لأنه يكون دؤوبا في طلب العلم والمعرفة على سبيل الفهم والتبيُّن والتعلم على حين أن الثاني (**الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ**) يكون شبيها بالجاهل فيكون بهذا التشبيه ((أنّ المسؤول عنه لا بدّ وأن يجيب على السؤال بما يعرفه واضحا وإلَّا فيقول لا أدري فلو تعسّف في الجواب أي قصد تسكيت السائل بتقرير أمور لا يربط بالسؤال أو لا يعلم صحته فيكون شبيها بالسائل المتعنّت))[3].

فالغرض الإنجازي، الذي حققه الإمام(عليه السلام) من الفعل الكلامي الطلبي هو النهي فكان المحتوى القضوي للفعل القولي هو نهي السائل عن السؤال لغير العلم والتعلم، وأن السؤال لا بد من أن يصدر من الجاهل إلى العالم.

ومن الطلبيات التي تدخل في مجال الأفعال الكلامية الأمرية ما يُسمى بأسلوبي **الإغراء والتحذير** لأن الغرض منهما هو تنبيه المخاطب وتوجيهه؛ ليقوم بإنجاز عمل ما أو العناية والاهتمام به أو تحذيره من أمر لتركه والتخلي عنه.

وتأسيسا على هذا عُرِّف التحذير: بأنه ((تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه))[4]، وقد أشار سيبويه إلى أن التحذير صورة من صور النهي بقوله: ((وأمّا النهي فإنّه التحذير، كقولك: الأسد الأسد، والجدار الجدار... وإنّما نهيته أن يقرب الجدار المخوف المائل،

---

[1] شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد): ٢٣٢/١٩.

[2] في ظلال نهج البلاغة: ٤٠٧/٤.

[3] منهاج البراعة(الخوئي):٤٠٨/٢١.

[4] شرح ابن عقيل: ٣٠٠/٣.

أو يقرب الأسد))[١]، وللتحذير حضور في جوابات الإمام(عليه السلام)[٢] من ذلك قوله في بعض حواراته غير المباشرة التي كانت تدور بينه وبين معاوية، والتي تتمثل بتبادل الكتب والرسائل: ((**وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمادِياً فِي غِرَّةِ الأُمْنِيَّةِ، مُخْتَلِفِ الْعَلاَنِيَةِ والسَّرِيرَةِ**))[٣]، إذ خاطبه الإمام(عليه السلام) في جوابه هذا بأسلوب التحذير التخويفي موظفا فيه الفعل الكلامي التوجيهي (**أُحَذِّرُكَ**)، ملفتا نظره ومنبها إياه على أمور تلبَّس بها معاوية وأصبحت جزءا من شخصيته فقد حذره من التمادي في الأمل واتباع الهوى، و**التمادي:** هو الدوام على فعل الشيء وبلوغ المدى فيه[٤] فيكون المحتوى القضوي للفعل القولي هو تخويف معاوية من أن يستمرّ في غفلة الآمال الباطلة والأهواء المردية التي إن لم ينته عنها فإنها ستودي به إلى نتائج لا تحمد عقباها فتكون وخيمة عليه[٥]، وعلى الرغم من موقف معاوية تجاه الإمام(عليه السلام) وما يكتمه له في نفسه من كره وعداء دفينين نجد أن الإمام(عليه السلام) لا يزال يحذره ويسعى لإصلاح اعوجاجه وتقويمه على الرغم من أنه ((يعلم أنَّ معاوية وهب حياته لدنياه، وأنَّه لا يردعه عنها أي رادع، ولكن يقيم عليه الحجة))[٦]، وفضلا عن ذلك فإنه(عليه السلام) يحذره وينهاه عن النفاق بأن تختلف سريرته عن علانيته فيظهر الإيمان ويُبطن الكفر ومن المعلوم ((أنّ المنافق أضرّ بالدّين من الكافر فإنّ من كان معلوم الحال يُتّقى منه والمنافق يردّ الناس عن صراط الله القهقري يظهر الإيمان ويصير إلى الكفر وكان لمعاوية في ذلك النصيب الأوفر))[٧]، وبحسب هذا حذره الإمام(عليه السلام) من استمرار الغفلة التي هو عليها بإيراد أسلوب التحذير الأمري المتمثل بالفعل القولي (**أحذرك**) محققا به الغرض الإنجازي من الفعل الكلامي.

ومن **التحذير** أيضا قوله(عليه السلام) ناهيا عن الكهانة والعمل بعلم النجوم بعدما عزم على المسير إلى الخوارج، فقال له بعضهم: ((يا أمير المؤمنين، إن سرت في هذا الوقت خشيت ألَّا

---

[١] كتاب سيبويه: ٢٥٣/١.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج السعادة: ٢٦١/٩، ومصباح البلاغة: ٩٠/٢، ٢٠١/٣.

[٣] نهج البلاغة: ٣٤١/٣.

[٤] ظ: لسان العرب، (عنت): ٥٦/١٣.

[٥] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٤٣/١٨.

[٦] في ظلال نهج البلاغة: ٤٠٥/٣.

[٧] منهاج البراعة(الخوئي): ٤٣/١٨.

تظفر بمرادك من طريق علم النجوم))[1] فردَّ عليه الإمام(عليه السلام) من صدّقك على هذا القول كذَّب بالقرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة لقمان: ٣٤، ثم أتم الإمام(عليه السلام) جوابه متجها للحاضرين بقوله: ((**إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ النُّجُومِ، إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْر، فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلى الْكَهَانَةِ، والمُنَجَّمُ كَالْكَاهِنِ، وَالْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ، وَالسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ**))[2]، إذ ورد التحذير في الخطاب العلوي متضمنا معنى النهي والردع بتوظيف الفعل القولي المتمثل باسم الفعل(**إيّاكم**)، الذي يحمل دلالة (**احذروا**) إذ جاء التنبيه والتحذير في النص منصبا على المنجمين الذين يتخذون من النجوم وسيلة للغيب فيأمرون الناس وينهوهم بحسب استقرائهم هذا وقد جاء النهي والتحذير من هذا الفعل؛ لأن خاتمته إلى النار، وقد استثنى الإمام(عليه السلام) في تحذيره أمرا بقوله: (**إِلاَّ مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْر**) فإذا كان الغرض من تعلم النجوم لأجل معرفة الطريق والاهتداء إليه أو معرفة أوقات الصلاة والصيام وما شاكلهما، أي من قبيل قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة الانعام: ٦٧، فإنَّ مثل هذا لا بأس عليه، فضلا عن أن التنجيم طلب للغيب، وهذا الأمر قد يشكل على كثير، فلا يعودون يميزون بين علم الغيب الموقوف على الله(عز وجل) والإخبار عن الغيب، فيكون هذا الفعل سببا في ضلال كثير من الخلق وبحسب هذا جاء تحريم التنجيم والنهي عنه[3]، زيادة على أن التنجيم يؤدي إلى الكهانة، والكاهن هو الذي يزعم أن له تابعا من الجن يأتي إليه بالأخبار أو أنه يعرف الأمور بمقدمات الأسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو حاله أو فعله وهذا ما يخصونه باسم (**العرّاف**)، الذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما[4]، وربما يردّ تشبيه المنجم بالكاهن إلى أن عمل المنجم مراقبة النجوم وتتبع حركاتها ثم ثم الإخبار عنها رجما بالغيب، وهذا الرجم والزعم هو الكهانة بنفسها[5].

---

[1] **نهج البلاغة: ٩٧/١.**

[2] **نفسه: ٩٧/١.**

[3] **ظ: بحار الانوار: ٢٦١/٥٥، وشرح نهج البلاغة(البحراني): ٢٢٠/٢.**

[4] **ظ: بهج الصباغة: ١٦٩/٧.**

[5] **ظ: المقتطف من بحار الانوار: ٢١٣.**

ومن ثمَّ جاء الأسلوب التحذيري الذي وظفه الإمام(عليه السلام) مؤديا غرضا إنجازيا يتمثل في التحذير إذ كان محتواه القضوي يكمن في التحذير والتخويف بالنار بسبب مزاولة هذه الأعمال وامتهانها، وأن يكون الاعتماد والتوكل على الله(عز وجل) وهذا ما أشار إليه بقوله(عليه السلام): **(سِيرُوا عَلَى اسْمِ اللهِ)**، فتكون الاستعانة به واللوذ بحمايته، فهو مقدر الأقدار، والعالم بالمغيبات وحدة، جلَّ ثناؤه، ومن هنا يأتي الغرض التأثيري لتحذير الإمام(عليه السلام) ونهيه إذ يحمل النفس الإنسانية على التحرر من قيود الجاهلية والرضوخ إلى العقل واللجوء إلى الله تعالى في كل الامور.

أما **الإغراء** فهو: ((أمر المخاطب بلزوم ما يحمد به))[1]، وهو لا يختلف عن التحذير لكنَّ التحذير يقوم على التخويف والنهي عن فعل الشيء والإغراء يدعو إلى ترغيب المخاطب وتشويقه لالتزام الشيء والتمسك به وبحسب هذا يمكن أن يُصنف الإغراء ضمن الأفعال الكلامية التي تتضمن دلالة الأمر إذ يكون غرضه الإنجازي متمثلا بدعوة المتلقي وتوجيهه لأداء أمر محدد أو إنجازه على حين تكمن قوته التأثيرية في مدى الأثر الذي يحدثه المتكلم في نفس السامع ومدى قوة ذلك التأثير ومن أمثلته في جوابات الإمام(عليه السلام)[2] قوله مرشدا وموجها وناصحا لعمر بن الخطاب: ((**ثَلَاث إنْ حَفَظْتَهُنَّ وَعَمِلْتَ بِهُنَّ كَفَتْكَ مَا سِوَاهُنَّ، وَإنْ تَرَكْتَهُنَّ لَمْ يَنْفَعْكَ شَيْءٌ سُوَاهُنَّ، قَالَ: وَمَا هُنَّ يَا أَبَا الحَسَنِ؟ قَالَ: إِقَامَةُ الحُدُوْدِ عَلَى القَرِيْبِ وَالبَعِيْدِ، وَالحُكْمُ بِكِتَابِ الله فِي الرِّضَا وَالسَّخْطِ، وَالقَسَمُ بِالعَدْلِ بَيْنَ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ**))[3]، اشتمل جوابه(عليه السلام) على دعوة ترغيبية لعمر خاصة ولمن يتصدى للسلطة والحكم عامة مستثمرا فيها أفعالا كلامية توجيهية غرضها القضوي تمثل في أن الحاكم إذا ما أراد أن يبني خلافته على أساس رصين قائم على العدل والمساواة أمام الشريعة في المجتمع الإسلامي فلا بد من التزامه بأمور ثلاثة ذكرها الإمام(عليه السلام) في قوله وهي بمثابة شروط تمثل الخطوط العامة، والأركان الأساسية لكل سلطة، وضمنها تتدرج الأشياء الأخرى، التي تخص الحاكم والمحكوم.

من هنا كان الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية الطلبية، التي ذكرها الإمام(عليه السلام) تكمن في أمر المخاطب بالتزام هذه الشرائط الثلاث؛ لتستقيم له السلطة، وهذا الأمر جاء بصورة ترغيبية

---

[1] شرح ابن عقيل: ٣٠١/٣، وظ: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون : ١٥٢، ومعاني النحو، فاضل السامرائي: ١٠٠/٢.

[2] ظ: على سبيل المثال: نهج السعادة: ٣٥٥/٥، ٣٨٣/٧.

[3] نهج السعادة: ٦٩٥/٩.

ومحببة؛ لتحقق تأثيراً في نفس المتلقي، ثمَ وُظِّف أسلوب الإغراء لتحقيق هذه الغاية على حين تمثل الفعل التأثيري في جواب عمر بعد أن تلقى تلك الإرشادات التوجيهية، التي أخذت موقعها من نفسه فقال في رواية أخرى للنص:((**لعمري لقد أوجزت وأبلغت**))[١].

ومما يندرج ضمن الطلبيات؛ للدلالة على التوجيه والتنبيه **أسلوب النداء**، الذي يُراد به: ((التصويت بالمنادى ليقبل، أو هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي))[٢]، أو هو طلب إقبال المدعو على الداعي، وتنبيهه لما سيلقى عليه[٣]، والغاية منه تكمن في جذب المتلقي ولفت انتباهه من أجل إنجازه فعل معين، وفيه يكون المتلقي متحفزا لرد فعل المتكلم[٤]، ويرد النداء في الكلام لأغراض متنوعة منها: إقامة علاقة مع الآخر من أجل الدعوة أو الحوار، لأغراض تفهم من السياق، وفيه حث على الاهتمام بالموضوع أو بالمنادى[٥]، فالمتكلم حينما يصدِّر كلامه بالنداء فإنه يسعى من ذلك إلى تنبيه المتلقي وإثارته ولفت انتباهه لأجل إنجاز شيء ما، وبحسبان هذا يدخل ضمن الأفعال الكلامية الطلبية، وله أدوات، ولكنّ أكثرها ورودا في الجوابات: **(يا)**[٦] من ذلك جوابه(عليه السلام) **لشريح القاضي** لما بلغه أنه اشترى دارا بثمانين دينارا، فكان مما قاله: ((**يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً وَيُسْلِمَكَ إلى قَبْرِكَ خَالِصاً. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ابْتَعْتَ هذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْاٰخِرَةِ**))[٧]، فقد فقد كان الإمام(عليه السلام) ((شديدا على عماله وقضاته، وعلى كل من يأتمنه على عمل، وكانت

---

[١] ظ: تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، أبو جعفر الطوسي، تح: محمد جعفر شمس الدين: ١٨٥/٦ ، وتفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ): ٢١٣/٢٧، وبحار الانوار:٧٢/ ٣٤٩، ومفاهيم القرآن: ٣٧٢/٢.

[٢] معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٣ / ٣٢٦ .

[٣] ظ: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح: مصطفى شيخ مصطفى: ٥٨٣.

[٤] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:٣٦٠.

[٥] ظ: مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآني، د. ظافر بن غرمان العمري، (مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية):١٦١.

[٦] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١٨٦/١، ٢١٦/٢، ٢٢٨، ونهج السعادة: ١٩٦/١.

[٧] نهج البلاغة: ٣٣٦/٣.

مواعظه اللافحة تلهب قلوبهم وأرواحهم خشية الخيانة أو التقصير))[1]، إذ خاطب **شريحا** موظفا في كلامه فعلا كلاميا توجيهيا مستثمرا في ذلك أسلوب النداء في موضعين من جوابه؛ بغية أن يسترعي انتباهه ويثيره للتنبه على ما يريد قوله كأن يكون شريح في غفلة من أمره فسعى الإمام(عليه السلام) إلى أن يوقظه بإيراد النداء؛ ((لأنّ الغافل في أعماله كالنائم فنبّهه عليه السّلام من نوم الغفلة فقال: انتبه يا شريح سيأتيك ملك الموت أو الموت لا يتأمّل في كتابك ولا يستخبرك عن حجّتك))[2]، فنداؤه(عليه السلام) تنبيه عن الغفلة بأنه مهما بلغ ثراؤك في الدنيا فلا بد من أن يأتيك من يخرجك منها شاخصا لا يسألك عن شيء ولا يقبل لك مسوغا ولا يأخذ عنك بديلا حتى ينتهي بك إلى قبرك خالصا مجردا من كل شيء[3]، وذلك في قوله(عليه السلام): (**يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ...**) ويقصد الإمام(عليه السلام) بذلك الآتي ملك الموت[4]، وقد استعمل الإمام(عليه السلام) فعل الأمر ثم أردفه بالنداء **(فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ)** فهو(عليه السلام) يأمره بالنظر أولا ثم يناديه بغية أن تكون الإثارة أكبر ويكون الأثر أوقع في المخاطب فيلتفت بجوارحه كلها إلى المتكلم ثم يهتم بكل كلمة ستقال فيكون إدراكه أكبر لها، ومن جهة أخرى كان القصد من النداء تقريب المخاطب، وجعله في حال من التماس والتقارب المباشر مع المتكلم، فالنداء هنا قصد به تقريب المخاطب من المتكلم وبيان منزلته عند الإمام(عليه السلام)، وكأن في توظيف النداء مرة ثانية يُريد أن يخبر **شريحا**((إذا كان مآل كلّ أحد أن يخرج من الدّنيا شاخصا ويسلّم إلى قبره خالصا فتأمّل وتدبّر في عدم كونك شاريا لها من غير مالكها بأن تكون الدّار مغصوبة ... وتأمّل في أدائك ثمنها من غير حلالك بأن اكتسبه من حرام بأخذ رشوة أو نحوها، لأنه كان قاضيا والقضاة في معرض الارتشاء وأكل المال بالباطل، إلاّ من اتّقى الله حقّ تقاته))[5]، فإذا كنت قد وقعت في أحد هذين الأمرين، وهو الغصب أو الشراء من غير حر مالك مالك فإنك ستخسر الدارين معا إذ قال: **(فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْاٰخِرَةِ)** ومن لطيف تعبير الإمام(عليه السلام) أن يستعمل **(إذ الفجائية)** في خطابه، وكان لها ملمح دقيق، وهو ((إن كانت

---

[1] في ظلال نهج البلاغة: ٣/٣٨٥.

[2] منهاج البراعة(الخوئي): ١٧/١٠٧.

[3] ظ: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي النقوي: ١٤/٤١٨، وشرح نهج البلاغة(الموسوي) : : ٤/١٢٨- ١٢٩.

[4] ظ: بهج الصباغة: ١١/٢٩٨.

[5] منهاج البراعة(الخوئي): ١٧/١٠٨.

الدّار المبيعة مغصوبة أو ثمنها من الحرام فأنت مفاجأ للخسران في الدّارين))[1]، فكان الإمام (عليه السلام) بذلك ساعيا الى تحقيق غرض تأثيري عميق في قرارة نفس المخاطب نتيجة تذكيره بملك الموت ودار الوحشة التي هو صائر إليها ثم خسران الدارين فيكون هذا التنبيه التحذيري من شأنه أن يحمل المخاطب والمتلقي والسامع إلى التفكر والتدبر مليا قبل أن يقترف شيئا كهذا ومن ثم يكون محققا لشرط الإخلاص من البنية الخطابية.

أما الغرض الإنجازي المحقق من أسلوب النداء فهو التوجيه والتنبيه فكان المحتوى القضوي للفعل التوجيهي يتجلى في التحذير والتنبيه على الامتناع عن مزاولة الأمور المشبوهة والمحرمة، التي تقوم على ظلم الناس وتضييع حقوقهم؛ لما تجلب هذه الاعمال من سوء عاقبة لصاحبها يخسر معها الحياة الدنيا والآخرة.

ومن توظيفه(عليه السلام) **للنداء** كلامه عندما نظر إلى رجل يغتاب رجلا عند ولده الإمام **الحسن**(عليه السلام)، فقال له: **((يَا بُنَيَّ نَزِّهْ سَمْعَكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا فَإِنَّهُ نَظَرَ إلى أَخْبَثِ مَا فِيْ وِعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وِعَائِكَ))**[2]، إذ مثَّل خطابه(عليه السلام) دعوة توجيهية وعظية لابنه **الحسن**(عليه السلام) إلى تنزيه نفسه عن استماع الغيبة مصدِّرا البنية الخطابية بالفعل القولي الطلبي المتمثل بالنداء، فقال(عليه السلام): **(يا بني نزه سمعك عن مثل هذا)** ففي قوله **(يَا بُنَيَّ)** يظهر جانب التحنن الأبوي؛ لأن مثل هذا الأسلوب من شأنه أن يؤثر في الابن فيلقي بسمعه وكل جوارحه إلى الأب إذا ما ناداه به وبحسبان هذا عمل الإمام(عليه السلام) في جوابه على استدعاء سمع الإمام الحسن(عليه السلام) ثم أمره بالتنزه والابتعاد عن سماع الغيبة من ناقلها محققا بذلك المحتوى القضوي للفعل الكلامي؛ وقد وظف الإمام(عليه السلام) من أجل بيان قباحة هذا الفعل ودناءته أسلوبا بيانيا تمثل في التشبيه إذ شبه قائل الغيبة أو ناقلها بالذي يحمل وعاء يحوي داخله الطيب والخبيث، وأن سامعها كالذي يحمل وعاء فارغا والمغتاب بقوله الغيبة يختار ما في وعائه من الخبث ليسكبه في وعاء سامعها وفي ذلك دلالة على قبح الغيبة، فهي من العادات المذمومة والمنهي عنها في القرآن الكريم؛ لأنه لا يتولد عنها غير الحقد والبغضاء والعداوة والكراهية بين الناس بخلاف ما دعا إليه الدين الإسلامي من التكاتف والتحاب وتوحيد الصف.

---

[1] **نفسه.**

[2] **نهج السعادة: ١٠/١٩٩.**

وأما فيما يخص الغرض الإنجازي للنداء في النص فقد تمثل في التنبيه واستدعاء السمع والالتفات إلى ما سَيُقال على حين أن الفعل التأثيري يُعد متحققا في المُتلقي نظرا لأنه من أهل البيت(**عليهم السلام**) الآخذين بالنصيحة والعاملين بها.

٣.الالتزاميات.

وهي من الأفعال الكلامية التي يلتزم فيها المتكلم بإنجاز عمل ما طوعا للمخاطب في المستقبل ويكون في ذلك مخلصا في كلامه عازما على الوفاء به ويكون شرط الإخلاص هو القصد، والمحتوى القضوي فيها هو وفاء المتكلم بإنجاز الفعل مستقبلاً وقد أطلق عليها **جورج يول** ((الملزمات وهي تعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتوعدات))[١]، ويدخل ضمن إطار هذه الأفعال: الوعد، والوعيد، والمعاهدة، والضمان، والانذار، والتهديد، والعقد، والرهن ونحوها ويكون اتجاه المطابقة في هذه الأفعال من المتكلم إلى العالم وهي بحسب هذا تشترك مع الطلبيات ولكنهما يفترقان في المرجع؛ لأن المرجع في التوجيهيات هو المخاطب على حين أن المرجع في الإلتزاميات هو المتكلم فضلا عن أن المتكلم في الالتزاميات لا يسعى إلى التأثير في المخاطب وإنما يلزم نفسه بإنجاز شيء ما على حين أن المتكلم في الطلبيات يحاول التأثير في المخاطب؛ لينجز عملا ما[٢].

ومن أبرز الأفعال الكلامية الالتزامية ورودا واستعمالا هما الوعد والوعيد؛ لكونهما يعودان على المرسل للخطاب، فهو الوحيد الذي يقوى على إنجازهما، وأن الفرق بينهما أن الوعيد عادة ما يرد للدلالة على الشر على حين أن الوعد يرد مع الخير والشر لكنه إذا أطلق دل على الخير خاصة[٣].

وقد كثرت الأفعال الكلامية الالتزامية في جوابات الإمام(عليه السلام)[٤] إذ كان كثيرا ما يلزم نفسه(عليه السلام) بعمل أمر ما في المستقبل فضلا عن كثرة توعد الآخرين، فقد غلب في عصره كثرة

---

[١] التداولية: ٩٠-٩١.

[٢] ظ: العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل: ٢١٨، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٣٤، والتداولية: ٩٠، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٢،١٠٧، ١٠٤.

[٣] ظ: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي(ت١٠٣١هـ)، تح: عبد الحميد صالح حمدان : ٣٣٩ .

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٩٣/١، ٣٤٠/٢، ومستدرك نهج البلاغة: ١٦٧، ١٩٥، ونهج السعادة: ١٨٢/١، ٤٤/٢، ٤٩، ٣٩٦، ٥٦/٤، ٣٥٥/٥، ٣١٤/٩، ومصباح البلاغة: ٢٨٤/٢.

الخارجين على الدين أو المغطى على قلبهم ممن تبعوا زخرف الدنيا، فكان الإمام(عليه السلام) يتوعدهم بما سيصيرون إليه من العذاب زيادة على ذلك فقد كان يَعِد المؤمنين بحسن المآل، فأسلوب الإلزام جلي في جواباته(عليه السلام) وقد كان يسعى إلى غاية تكمن في التأثير غير المباشر في المتلقي، ومن هذا الإلزام الوارد في الجوابات قوله(عليه السلام) لما سمع في أثناء خطبته في مسجد الكوفة قول الخوارج **(لا حكم إلا لله)، فقال: ((الله أَكْبَرُ، كَلِمَةُ حَقٍّ يُلتَمَسُ بِهَا بَاطِلٌ، أمَا إنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلَاثًا مَا صَحِبْتُمُونَا، لَا نَمْنَعُكُم مَسَاجِدَ الله أَن تَذْكُرُوا فِيْهَا اسْمُهُ، وَلَا نَمْنَعَكُم الفَيْء مَا دَامَت أَيْدِيكُم فِي أَيْدِيْنَا، وَلَا نُقَاتِلُكُم حَتَّى تَبْدَؤُونَا))**[1]، فبعد أن توارد الى مسامع الإمام(عليه السلام) مقولة **(لا حكم إلا لله)**، التي عُرف بها الخوارج أشار إلى أنها كلمة حق لدلالة ظاهرها على ذلك، ولكنهم أرادوا بها باطلا[2]، ثم أورد جوابا ضم بين جنباته قِسما من الأفعال القولية التي وردت على سبيل الإلزام، وهي تختص بالخوارج فقد وعدهم بها بأنه مع ضلالهم وغيّهم في تضييع الحق لم يمنعهم من دخول المساجد وذكر الله فيها؛ ثم أخبرهم(عليه السلام) أيضا بعدم منعهم الفيء وهو الخراج الذي يغنمه المسلمون من الكافرين من دون قتال إذ هذه الأموال حق لجميع المسلمين لا يُستثنى منهم أحد، ثم أخبرهم(عليه السلام) بأنه لم يبدأهم القتال حتى يبدأوا هم به، و((بهذه الأخلاق النبيلة تعامل الإمام مع المارقين، ورغم ذلك فقد مضوا على غيّهم))[3]، وقد كانت تلك الوعود الثلاثة التي اشتملت عليها البنية الخطابية تمثل المحتوى القضوي للأفعال الكلامية الإلزامية.

وقد تحققت الأفعال الإنجازية في الوعود التي أطلقها(عليه السلام) وألزم بها نفسه، وقد أحدثت غرضا إنجازيا تخللته دعوة مبطنة إلى تنبه الخوارج على تعامل هذا الخليفة الإنسان الذي لم تكن تثيره تلك الشعارات، ولم تخرجه عن حال التوازن وتحريك الرغبة الداعية إلى الرجوع عن مخالفتهم ومعاداتهم له والانخراط في حزبه.

---

[1] مستدرك نهج البلاغة: ٢٥٤.

[2] ظ: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ١٩٣/١٧.

[3] الإمام علي سيرة وتاريخ، مركز الرسالة: ٢١٤.

ومن الأفعال **الالتزامية** المذكورة في الجوابات والتي وردت على سبيل الوعد قوله(عليه السلام) في كتاب أجاب فيه **أبا موسى الأشعري** بعد أن ضرب موعدا للتحكيم اليه من جملته: ((**فَإِنَّ اَلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ فَمَالُوا مَعَ اَلدُّنْيَا وَنَطَقُوا بِالْهَوَى وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا اَلْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً اِجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَأَنَا أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً وَلَيْسَ رَجُلٌ ـ فَاعْلَمْ ـ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وَكَرَمَ الْمَآبِ، وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ**))[1]، إذ ابتدأ الإمام(عليه السلام) كتابه بالشكوى من تغير أحوال الناس؛ لأنه كان اختلافهم عليه واضطرابهم فيه شديدا[2] فقد أضحى مقيما بين قوم ((كل واحد منهم مستبد برأي يخالف فيه رأي صاحبه فلا تنتظم لهم كلمة ولا يستوثق لهم أمر وإن حكمت عليهم برأي أراه أنا خالفوه وعصوه ومن لا يطاع فلا رأي له))[3]، فهو يشير(عليه السلام) إلى انحرافهم عن سنّة الرسول(**صلى الله عليه وآله**) الرامية إلى تهذيب النفوس وتحكيم العقيدة بالمبدأ والمعاد الباعث على الزهد في شؤون الدنيا ففات عليهم كثير من حظّهم الآخروي والمعنوي، وهو أمر راجع إلى ضعف العقيدة الاسلاميّة عندهم، الذي أسهم في انحرافهم عن ولايته(عليه السلام)[4].

ثم وضح له الإمام(عليه السلام) بأنه أحرص الناس على أمة الرسول(**صلى الله عليه وآله**) وثبوتها على الملة.

وبعد هذا ذكر الإمام(عليه السلام) فعلا قوليا التزاميا وعد بالثبوت عليه وعدم الحياد عنه مهما اختلف وزاغ الآخرون من حوله بقوله: (**وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ**) **فالوأي:** بمعنى الوعد[5]، فيكون قوله(عليه السلام) مشتملا على دلالات منها أخذ العهد على النفس في القبول بحكم الحكمين إذ حكما بحكم القرآن وإن كان(عليه السلام) مكرها على تعيين أبي موسى للقيام بتلك المهمة ولكنه على الرغم من هذا يتعهد بالوفاء من دون تغييره أو

---

[1] نهج البلاغة: ٣/٤٢٩.

[2] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢٠/٣٦٧..

[3] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ١٨/٧٥.

[4] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢٠/٣٣٦.

[5] ظ: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، (وأي): ١٠٠٧.

تبديله وإن تغير أبو موسى عن صالح ما فارق الإمام عليه وكأنه يحذّره من مكر عمرو بن العاص بوصفه طرف التحكيم الآخر، إذ يشير الإمام(عليه السلام) على أبي موسى بأن يحكم بكتاب الله(عز وجل) وسنة الرسول(**صلى الله عليه وآله**) فلا يحيد عنهما ولا يأخذه مروان إلى أمور تخرجه عن هذين العمودين فإذا ما أخلصت لله(عز وجل)، وتوخيت صلاح المسلمين يا أبا موسى فأنا أول المقرين لعملك والشاكرين وإن عملت بخلاف ذلك فإن الشقي ما خالف الحق[1].

فقد كان الفعل الكلامي الالتزامي في النص مؤديا غرضا إنجازيا يظهر في الوعد والالتزام، إذ كان المحتوى القضوي للفعل يتمثل في وعد الإمام وإلزام نفسه بالسير على نهج الحق وعدم الحياد عنه مهما كلفه ذلك وفي جوابه(عليه السلام) لأبي موسى أنموذجا على ذلك إذ جنح إلى التحكيم مضطرا حفاظا على وحدة الصف على الرغم من يقينه بمكر معاوية فلم يرجع عن التحكيم بعد أن رفضه جملة من أصحابه وخرجوا عليه فقد بقي ثابتا على نهجه ملتزما بنهجه حتى آخر المطاف.

أما الأفعال الكلامية الالتزامية المشتملة على **الوعد والتهديد** فكثيرة، نحو قوله(عليه السلام): **((وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هذَا الأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلاَ إلى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيل يَطْلُبُونَكَ، لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرّ وَلاَ بَحْر، وَلاَ جَبَل وَلَا سَهْل))**[2]، فبسبب إلحاح معاوية وإصراره على تسليم قتلة عثمان ردَّ عليه الإمام(عليه السلام) بأسلوب يتخلله الوعيد والتهديد إذ لجأ الإمام(عليه السلام) إلى تحذيره بتوظيف أسلوب الشرط فكان المعنى من خطابه هو أن الجماهير التي تصر يا معاوية على القصاص منها ستأتيك بنفسها، فتجعل دائرة السوء تدور عليك، إن لم ترتدع عن غيك وضلالك[3].

وقد استعمل الإمام في إيصال هذا المعنى الفعل القولي الإلتزامي(**لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيل يَطْلُبُونَكَ**) مؤديا به غرضا إنجازيا يكمن في الوعيد والتهديد وبحسبان هذا يكون المحتوى القضوي للفعل هو توعد الإمام لمعاوية فيما لو استمر على عناده وإصراره على غيّه.

---

[1] ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٠٥.

[2] نهج البلاغة: ٣/٣٤٠.

[3] ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٣/٤٠٢.

ويُلحظ الإمام(عليه السلام) في موضع آخر يطالب معاوية الدخول في السلم ويعاهده بحمل المذنبين على كتاب الله وسنته مستعملا الفعل الكلامي الالتزامي إذ يقول: ((**وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ اَلنَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ اَلْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اَللهِ تَعَالى**))[1]، فقد اشتمل الخطاب على فعل كلامي التزامي تمثل في المعاهدة والوعد فقد طلب(عليه السلام) من معاوية أن يدخل في الطاعة ويتعاهد معه ثم تتم محاكمة المذنبين ولكننا نعلم بأن معاوية لا يعترف بولاية الإمام(عليه السلام) على المسلمين، وعلى الرغم من هذا يلزمه بواجبات الوالي من رد المظالم والأخذ على أيدي الظالمين[2].

ومن دقيق كلام الإمام(عليه السلام) قوله: **(ثُمَّ حَاكِمِ اَلْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اَللهِ تَعَالى)**، إذ لم يقل له(عليه السلام) أدخل في الطاعة وأسلّم لك القتلة وإنما قال أحملك وإياهم على كتاب الله(عز وجل) وسنة نبيه(صلى الله عليه وآله) فربما يكونون مذنبين قاتلين بحسب ما يرى معاوية أو يكونوا أصحاب حق فيبرئهم الكتاب والسنة إذ ليس بالضرورة أن من يراه معاوية مذنبا يكون كذلك ولكن الحاكم والفاصل في المسألة هو كتاب الله(عز وجل).

فكان الغرض الإنجازي للالتزاميات يظهر في الوعد إذ وعد الإمام معاوية فيما لو دخل في طاعته سيحمله وقتلة عثمان على كتاب الله ليتبين المذنب من غيره وفي هذا يتجسد المحتوى القضوي للفعل القولي الإلتزامي(**أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اَللهِ تَعَالى**) ومن ثمَّ تحقق شرط الإخلاص من الخطاب.

٤. التعبيريات:

وهي من الأفعال الكلامية التي يعبر بها المتكلم عما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس تجاه مواقف معينة، ويكمن غرضها الإنجازي في التعبير عن تلك المواقف النفسية التي يظهرها المتكلم تعبيرا يتوافر فيهم شرط الإخلاص، ولا تنحصر هذه الأفعال في المتكلم فحسب بل تتجاوزه إلى المشاركين في الفعل، فتؤثر فيها نفسيا وشعوريا، ((ويمكن أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور، أو ألم، أو فرح، أو حزن، أو عمل محبوب، أو ممقوت))[3]، وهذه الأفعال الكلامية ليس لها اتجاه مطابقة؛ لأن المتكلم عندما يعبر عما في نفسه فهو لا يسعى الى جعل كلماته

---

[1] نهج البلاغة:٣/٤٢٠، وفي نهج السعادة: ((أحملكم على كتاب الله، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وآله)):

[2] ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٣/٤٠٣.

[3] التداولية، جورج يول:٩٠.

تطابق العالم الخارجي ولا العالم الخارجي يطابق تلك الكلمات، وإنما يسعى لتوافر شرط الإخلاص والصدق في التعبير عن القضية فإذا تحقق شرط الإخلاص أنجز الفعل بنجاح، وتدخل ضمن هذه الأفعال: أفعال الشكر، والتهنئة، والمواساة، والندم، والحسرة، والتمني، والحب، والكره، والغضب، والاعتذار، والتعزية، والترحيب، وما شاكلها، وكان **أوستن** قد أطلق على هذا النوع من الأفعال الكلامية مصطلح(أفعال السلوك)[١].

وعند تقصي الجوابات نجدها حافلة بهذا النمط من الأفعال الكلامية[٢] إذ وظفها الإمام(عليه السلام) في كلامه للتعبير عن مختلف الحالات النفسية والشعورية التي مرَّ بها أو صادفته؛ لتصوير الواقع الذي كان يعيشه تجاه مختلف المواقف التي واجهها والحالات التي تعرض له من ذلك قوله(عليه السلام) في حق قريش:((**فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي اَلْجَوَازِي فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ اِبْنِ أُمِّي**))[٣]، فقد كان هذا جزء من جواب أرسله(عليه السلام) بكتاب لأخيه عقيل وهو يشتمل على فعل كلامي تعبيري يتمثل في الشكوى من قريش وفيه يدعو عليهم بقوله(عليه السلام): **(فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي اَلْجَوَازِي)** وقوله(عليه السلام) هذا يجري مجرى المثل؛ لأنك تقول لمن يسيء إليك وتدعو عليه ((جزتك عني الجوازي يُقال: جزاه الله بما صنع وجازاه الله بما صنع ومصدر الأول جزاء والثاني مجازاة وأصل الكلمة أن الجوازي جمع جازية كالجواري جمع جارية فكأنه يقول جزت قريشا عني بما صنعت لي كل خصلة من نكبة أو شدة أو مصيبة أو جائحة أي جعل الله هذه الدواهي كلها جزاء قريش بما صنعت بي))[٤] فقد كان دعاؤه(عليه السلام) يعبر عن ما ألمَّ به من حزن عميق وألم وحسرة؛ لفعل قريش إذ ((أصفقوا كلهم يدا واحدة على شقاقه وحربه كما كانت حالهم في ابتداء الإسلام مع رسول الله **(صلى الله عليه وآله)** لم تخرم حاله من حاله أبدا إلا أن ذاك عصمه الله من القتل فمات موتا طبيعيا وهذا اغتاله إنسان فقتله))[٥].

---

[١] ظ: العقل واللغة والمجتمع: ٢١٩، والمقاربة التداولية: ٦٧، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ٢٣٥، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٣، و ١٠٤، ١٠٨.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١٧٨/١، ٤٥٠/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ١٣٠، ١٨٨، ونهج السعادة: ٤٧/٢، ٢٠٠، ٢١١، ٣٠٨/٥، ومصباح البلاغة: ٣٠٠/١.

[٣] نهج البلاغة:٣٧٧/٣.

[٤] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد):١٥١/١٦.

[٥] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد):١٥١/١٦.

وقد أدى الفعل الكلامي غرضا إنجازيا تعبيريا على حين كان المحتوى القضوي للفعل التعبيري في كلامه(عليه السلام) يكمن في بث الشكوى عمَّا قاساه(عليه السلام) من حقد وبغض ومعاداة لما ألمَّ بنفسه من حزن نتيجة لصنائع قريش به.

ومن الأفعال الكلامية التعبيرية التي تتمثل في الشكوى أيضا قوله(عليه السلام): ((**إِنْ كَانَتِ اَلرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا وَإِنَّنِي اَلْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي كَأَنَّنِي اَلْمَقُودُ وَهُمُ اَلْقَادَةُ أَوِ اَلْمَوْزُوعُ وَهُمُ اَلْوَزَعَةُ**))[1]، ففي كلامه(عليه السلام) هذا يشكو قومه؛ نظرا لسوء حالهم؛ وما وجدهم عليه من الاختلاف والتمرّد وعدم إطاعته في أوامره، فقد تضمن كلامه ((إشارة إلى بلوغ الغاية في التألم الحاصل له من شدة الاهتمام بأمرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم لأوامره))[2]، وهو جواب تقريعي حمل بين طياته فعلا تعبيريا إذ بين به(عليه السلام) كيفية انقلاب الموازين؛ لأن المتعارف عليه في تعاقب السلطات أن الرعية عادة ما تشكو ظلم الحاكم وقد أكد(عليه السلام) هذا المعنى بتوظيف حرف **(اللام)** في قوله:(**إِنْ كَانَتِ اَلرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا**)، على حين أنه(عليه السلام) في جوابه هذا بحسبان ما وصل إليه من حال اليأس من صلاح رعيته أخذ يشكو منهم في صورة قلما تحدث في مجتمع ما إذ يبين(عليه السلام) حاله بينهم في عدم تنفيذهم للأوامر وعدم الأخذ بها أو حملها على محمل الجد وكأنهم أصبحوا هم القادة، وهو(عليه السلام) المقود، الذي يتبع أوامرهم أو كأنهم هم الحاكم والسلطان، وهو المحكوم والمُدافع عنه؛ لأن لفظ الوازع هو الحاكم أو الدافع أو المانع[3]، وبحسب هذا أدى الفعل القولي في البنية الخطابية غرضا إنجازيا تعبيريا تمثل في الشكوى فهو يشكو من الرعية بسبب ظلمهم له(عليه السلام) في المقام الأول فضلا عن ظلم أنفسهم بسبب ابتلائه(عليه السلام) بهم وهو ما يمثل المحتوى القضوي للفعل الكلامي.

وفي الصدد نفسه ما يوظفه الإمام(عليه السلام) من أفعال تعبيرية بعد أن حاور أهل الكوفة في خذلانهم له حتى انتهى الى قوله(عليه السلام): ((**اللَّهُمَ إِنِّي سَئِمْتُ الحَيَاةَ بَيْنَ ظَهَرَانِي هَؤُلَاء القُوْم وَتَبَرَّمْتُ الأَمَل، فَأَتِح لِي صَاحِبِي حَتَّى أَسْتَرِيْحَ مِنْهُم وَيَسْتَرِيْحُوا مِنِّيْ وَلَنْ يُفْلَحُوا بَعْدِي**))[4]، ففي هذا النص، المشتمل على فعل قولي تعبيري يظهر لنا الإمام(عليه السلام)، مقدار الاستياء، الذي كان يشعر به والذي قاساه طوال مدة الإقامة بين هؤلاء القوم نتيجة ضعفهم وترددهم وتيههم في

---

[1] نهج البلاغة: ٤/٤٧٤.

[2] شرح نهج البلاغة(البحراني): ٢/٣٨.

[3] ظ: المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي(ت٧٧٠هـ)، تح: عبد العظيم الشناوي، (وزع):٢/٦٥٧.

[4] نهج السعادة: ٢/٥٥٤.

العمى وتضييعهم الحق حتى وصل به الحال أن يضَّرَّع إلى الله(ﷻ) بالدعاء ليعجل عليه بالشهادة حتى يستريح منهم ولكي يستريحوا منه.وبحسبان هذا تكون القوة الإنجازية في جوابه(عليه السلام) متمثلة في التعبير عن اليأس فكان المحتوى القضوي للفعل القولي يكمن في حال الاستياء والسأم وفقدان الأمل بسماعهم منه واتباعهم له ما دام بينهم والتي أبداها الإمام في جوابه(عليه السلام).

ومن التعبير عن **مشاعر الحب** قوله(عليه السلام) عندما سُئل عن حبه لرسول الله(**صلى الله عليه وآله**): ((**كَانَ وَاللهِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا، وَآبَائِنَا، وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَبْنَائِنَا، وَمِنْ بَرْدِ الشَّرَابِ عَلَى الظَّمَأ**))[1]، فقد اشتملت البنية الخطابية على فعل كلامي عبر به الإمام(عليه السلام) عما يختلج في نفسه من مشاعر الحب الكبير، الذي كان يكتنزه للرسول(**صلى الله عليه وآله**) مؤديا في ذلك غرضا إنجازيا بالفعل القولي التعبيري (**أحب**) إذ كانت محبة الرسول(**صلى الله عليه وآله**) تُؤثَرُ على محبة الأموال، وفي قوله(عليه السلام) أسلوب بليغ، تجلى باقتباسه صورة الظمآن، الذي يجد ماء باردا فكم سيكون ذلك محببا لقلبه ومطفئا لعطشه فإن محبة الرسول(**صلى الله عليه وآله**) تتجاوز ذلك وتغلبه، والإمام(عليه السلام) في كلامه صادق من دون الحاجة إلى القسم لكنه أورد القسم ليحقق بعدا تأثيريا أكبر في المتلقي.

ومن ملاحظ أن الإمام تحدث بصفة الجمع بتوظيفه الضمير (نا) ليعبر عن حب من كان يحيط بالنبي فحبه لم يكن بدافع القرابة والرحم بل كان بدافع الخلق الرفيع والرحمة التي شمل بها النبي كل من حوله.

٥- الإعلانيات:

وهي نمط آخر من أنماط الأفعال الكلامية التي تنماز عن غيرها من الأفعال الكلامية الأخرى بأنها تحدث تغييرا في الوضع القائم فيقع الفعل عند النطق به فإذا أديت فعل إعلان الحرب أداءً ناجحاً، فالحرب معلنة، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم الخارجي إلى الكلمات، ومن الكلمات إلى العالم الخارجي وتشتمل الأفعال على: أفعال البيع والشراء، والهبة، والوصية، والدعوى، والإنكار والإقرار، الإجازة، والإبراء من الدين، والوقف، والتنازل عن الحق، والزواج والطلاق، والوكالة، وما شاكلها[2]، وقد وضع الفقهاء شروطا صارمة لصحة هذا النوع من الأفعال لا تكاد تختلف عن الشروط التي وضعها **أوستين، وسيرل** منها: أن يكون الكلام واضح

---

[1] نهج السعادة: ١٠/١٥.

[2] ظ: العقل واللغة والمجتمع : ٢١٩-٢٢٠ ، والتحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد : ٢٣٦.

الدلالة على المراد إذ يفهم من إيقاع الفعل فهماً لا لبس فيه وأن يكون متبعا أعراف أهل اللغة، وأن يكون إيقاع الفعل كاملا، وأن يعلم المتكلم والمتلقي ما صدر عنهما ويوافق عليه[١]. ومن الجدير بالذكر أن هذه الأفعال أفعال كلامية مباشرة، وهي قليلة في الاستعمال الاعتيادي؛ لأنها تقتصر في الغالب على الأفعال المؤسساتية التشريعية: كالتوكيل، والتفويض، والوصية، والتوريث، وبحسبان هذا فإنها إن استعملت في هذه المواضع غير مباشرة فإنها تؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق[٢].

ويرد هذا النمط من الأفعال الكلامية في جوابات الإمام(عليه السلام)[٣] من ذلك وصيته(عليه السلام) **لنوف: ((يَا نَوْفُ، اقْبَلْ وَصِيَّتِي، لَا تَكُوْنَنَّ نَقِيْباً وَلَا عَرِيْفاً وَلَا عَشَّاراً وَلَا بَرِيْداً))**[٤]، فقد اشتمل الجواب العلوي على فعل قولي إعلاني تجلى في الوصية(**اقْبَلْ وَصِيَّتِي**) وقد أدى الإمام(عليه السلام) هذا الفعل **(اقبل وصيتي)** بالتوجيه المتمثل بالنهي فكان المحتوى القضوي له يظهر في دعوة الإمام(عليه السلام) نوفا لقبول الوصية بنهيه ن بعض الوظائف التي تسيء للمرء وتوقعه في الظلم من حيث يشعر بها أو لا يشعر فهذه الوظائف هي النقيب الذي يُقصد به شاهد القوم المقدم عليهم، الذي يَتَعَرَّف أَخْبَارَهم ويُنَقِّبُ عن أَحوالهم، أَي يُفَتِّشُ عنها[٥]، والذي قد يظلم الناس بسبب انصياعه لأوامر الحاكم إذ قد يكون هذا الحاكم غير مطبق لأحكام شرع الله(عز وجل) ثمّ يطلب من نقيب القوم نقل الأخبار فيكون عليه التنفيذ فقط، ومن الوظاف التي أشار إليها الإمام(عليه السلام) أيضا العريف الذي يُنصب في القبيلة ويكون ناقلا للمعلومات، التي تخص أبناء هذه القبيلة إلى الحاكم أو غيره[٦]، وهي من الوظائف غير المحمودة التي قد تجعل المرء يشترك في الظلم ويلحق بالآخرين سوءا وكذلك من الوظائف المذمومة، التي نهى الإمام(عليه السلام) نوفا عنها هي العشَّار، وهو الذي يأخذ العشر على السلع في الجاهلية، وهي بمنزلة الرشوة في عصرنا الحاضر[٧]،

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٩٨-٩٩

[٢] ظ: نفسه: ٨٣.

[٣] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣/٣٤٠، ٣٥٨، ٤/٤٣٥، ٤٧٦، ومستدرك نهج البلاغة: ٢٥٧، ٢/٩٣، ٨/٩٠، ١١/٢٧٩، ومصباح البلاغة: ٢/٢٢٥.

[٤] مستدرك نهج البلاغة: ٨٠.

[٥] العين، (نقب): ٥/١٧٩.

[٦] ظ: لسان العرب، (عرف):٩/١٥٤.

[٧] ظ: نفسه، (عشر): ٩/٢١٨.

والبريد الذي ينقل الرسائل والأخبار[1]، فكان الإمام(عليه السلام) عند نطقه بالوصية قد حقق بُعدا إنجازيا للفعل الكلامي تمثل بالإعلان وأن هذا الإعلان بيان عن أن هذه الوظائف من دناءة النفس وقبولها بأخس حظها من الاعتبار على حين يتمثل الغرض التأثيري في استجابة نوف لوصية الإمام(عليه السلام) والأخذ بها فهو من طلب من الإمام النصح وبهذا يقع شرط التمهيدي لمعرفة المتكلم بقدرة المخاطب على إنجاز المطلوب منه بترك المنهي عنه.

ومن **وصية** يوصي بها الإمام(عليه السلام) رجلا بعد أن طلب منه ذلك قوله: ((**لَا تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِفَقْرٍ وَلَا بِطُوْلِ عُمْرٍ**))[2]، فقد كانت الوصية مؤداة بالأسلوب التوجيهي باحتواء النص على فعل كلامي إعلاني يكمن محتواه القضوي في نهى الإمام(عليه السلام) ذلك الرجل بألَّا يحدث نفسه بالفقر؛ لأن الرزق مكتوب من الله(عز وجل) وليس للإنسان إلا ما سعى فضلا عن أن الفقر يجعل المرء صاغرا ذليلا تجاه الآخرين؛ لأنَّ من استغنى افتقر إليه الناس ثم نهى الإمام(عليه السلام) عن طول الأمل بمحادثة النفس بطول العمر؛ لأن ذلك ينسي الآخرة، ويوقع في الذنب، ويزيد في محبة الدنيا وبحسب هذا أدى الفعل القولي الإعلاني الغرض الإنجازي المرجو منه فضلا عن الغرض التأثيري، الذي يحدثه في قرارة نفس المُوصَى، ومن ثمَّ يتحقق الشرط الأساسي من الخطاب وهو محاولة المتكلم التأثير في المخاطب لإنجاز الفعل المطلوب منه.

ومن الأفعال الكلامية **الإعلانية**، التي شهدت حضورا في جواباته(عليه السلام) قوله معلنا الحرب على من خالفه من الصحابة في جوابه لمن من خشي عليه القتل بعد أن ركب راحلته فردّ الإمام(عليه السلام) بقوله: ((**إِلَيْكَ عَنِّي، فَوَاللهِ مَا وَجَدْتُ إِلَّا قِتَالَ القَوْمِ أَو الكُفْرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ(صلى الله عليه وآله)**))[3]، فلما أعلن بعض الصحابة الحرب على الإمام(عليه السلام) بعد أن نقضوا عهده (عليه السلام) بلغه ذلك فتجهز للقائهم، وأعلن الحرب، ولا سيما بعد العلم بأن هؤلاء الخارجين كانوا يعدون من الصحابة لكنَّ الإمام كان أمام أمرين لا ثالث لها إما مقاتلة الفئة الباغية الخارجة على خليفتها أيا كانت، أو الكفر بما جاء به الرسول(صلى الله عليه وآله)؛ لأنهم أرادوا أن يغيروا وجهة الدين ويقتلوا الإمام(عليه السلام) ظلما؛ سعيا لمغانم دنيوية رخيصة والإمام(عليه السلام) لم يكن ليرضى بالظلم البتة ولا تأخذه في الله(سبحانه وتعالى) لومة لائم في أن يقاتل الظلم والظالمين حتى

---

[1] **ظ: نفسه (برد):١/٣٦٧.**

[2] **نهج السعادة: ٨/٣٠١.**

[3] **نفسه: ١/٢٨٨.**

لو كان ذلك صادرا من أقرب الناس إليه وبحسبان هذا فضل(عليه السلام) خيار المواجهة لضرب هؤلاء العتاة معلنا الحرب مقسما على ذلك.

من هنا جاء جوابه حاملا لفعل قولي(**مَا وَجَدْتُ إِلَّا قِتَالَ القُوْمِ أَو الكُفْرَ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ(صلى الله عليه وآله)**) مؤديا فيه غرضا إنجازيا يكمن في الإعلان فقد كان محتواه القضوي يتمثل في إعلان الإمام(عليه السلام) مواجهة الباطل وإلَا الكفر برسالة السماء المحمدية.

ومن الأفعال **الإعلانية** جوابه(عليه السلام) بني أمية، الذي يعلن فيه البراءة مما حلَّ بعثمان بعد أن حوصِر في داره من أهل مصر وقرروا قتله إذ قالت بنو أمية: ((يا علي أفسدت علينا أمرنا ودسست وألبت))[1]، فرد(عليه السلام) عليهم قائلا: ((**يَا سُفَهَاءُ إِنَّكُم لَتَعْلَمُوْنَ أَنَّهُ لَا نَاقَةَ لِيْ فِي هَذَا وَلَا جَمَل، وَإِنِّي رَدَدْتُ أَهَل مِصْرَ عَنْ عُثْمَانَ ثُمَّ أَصْلَحْتُ أَمْرَهُ مَرَةً بَعْدَ أُخْرَى فَمَا حِيْلَتِي؟ وَانْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِئُ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ وَمِن دَمِهِ إِنْ حَدَثَ بِهَ حَدَثٌ**))[2]، إذ خاطبهم(عليه السلام) في جوابه هذا بالسفهاء؛ لسفه رأيهم وما يقولون من باطل إذ جعلوا الإمام(عليه السلام) سببا فيما وصل إليه عثمان على حين أنه(عليه السلام) حاول مرارا أن يصرف الشر عنه وتعهد للملأ نيابة عنه بعد أن تعاهد مع عثمان أن يعمل في الناس بكتاب الله(عز وجل) وسنة نبيه(**صلى الله عليه وآله**)، وقد عبر الإمام عن تلك الواقعة بتضمين جوابه فعلا قوليا إعلانيا هو (**اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِئُ مِمَّا يَقُوْلُوْنَ وَمِن دَمِهِ إِنْ حَدَثَ بِهَ حَدَثٌ**) معلنا فيه براءته أمام الله(عز وجل) من قولهم الكذب ومن دَمِ عثمان إذا ما ألمت به مصيبة أو قُتل، وهو ما يمثل المحتوى القضوي لذلك الفعل.

وقد وقعت البراءة بمجرد ذكرها من الإمام(عليه السلام)؛ لأن الفعل الكلامي الإعلاني يكون منجزا في حال النطق به، فهو ((يتحقق وإن لم تثبت نتيجته فبمجرد إصداره يضفي عليه المشروعية))[3].

ومن ثمَّ تمثل الغرض الإنجازي للفعل الكلامي بإعلان البراءة علنا أمام الناس مما افترته بنو أمية فضلا عن البراءة من دم عثمان في حال قتله.

ثانيا: الفعل الكلامي غير المباشر(Indirect Speech act):

وهو ذلك الفعل الذي ينتقل فيه المعنى الحقيقي إلى معنى مجازي، فيحتاج إلى تأويل لإظهار نيته أو قصده الإنجازي، فقد يبتغي المتكلم عن طريق قوله إلى التعبير الضمني عن

---

[1] نفسه:١/١٩٦.

[2] نفسه.

[3] سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الإمام على ابن أبي طالب، دراجي صافية، (بحث منشور): ٢١.

شيء آخر غير المعنى الحرفي الذي أطلقه؛ كما هو الشأن في التلميحيات، والسخرية، والاستعارة، وحالات تعدد المعنى[١]، وقد وصف **سيرل** هذه الأحداث غير المباشرة بأنها: ((حالات ينفذ من خلالها حدث تحقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر))[٢]، فضلا عن أن هذه الأقوال غير المباشرة لا تتوافر على تطابق بين معنى الجملة والقول، فلا تدل صيغة الجملة على معناها وإنما تدل على معنى آخر مغاير لمعناها الظاهر، وهذا الأمر يعود إلى قصد المتكلم والمقام، الذي يُعد ((فعالية يتفاعل فيها المشتركون من خلال اللغة بطريقة عرفية معينة للوصول إلى ناتج معين))[٣]، فلم يعد الإخبار((القصد الوحيد عن المرسل وإن عددناه واحدا من مقاصده فليس القصد الرئيس إذ يختبئ وراءه قصد آخر اختار المرسل الاستراتيجية التلميحية للدلالة عليه وهو إما الرفض أو التهكم؛ ولذلك لم يستعمل المرسل صيغة الخطاب المباشر))[٤]، وأظهر مثال على ذلك أن تقول: **(هل يمكنك أن تناولني الملح)**، الذي ظاهره استفهام، ولكن دلالته لا تشير البتة إلى الاستفهام، إنما تشير إلى الطلب[٥]، أو من مثل قولنا: **(اللهم ارزقنا)**، الذي ظاهره أمر، لكن دلالته الضمنية هي الرجاء والالتماس، وبحسب هذا ((ينقل المتحدث إلى المستمع أكثر مما تحمله الكلمات اعتمادا على الخلفية المعرفية المشتركة بينهما سواء اكانت لغوية أو غير لغوية إضافة إلى قدرة المستمع على الاستنتاج والتعقل والتفكير))[٦]، ومن هنا نلحظ أن الجملة في العربية قد تحمل بين طياتها أكثر من غرض إنجازي يمكن للمخاطَب معرفتها بالنظر في ملابسات النص، والظروف التي قيل فيها.

وقد لاحظ بعض الباحثين أننا نتواصل بالأفعال الإنجازية غير المباشرة أكثر من تواصلنا بالأفعال الإنجازية المباشرة؛ فضلا عن أن الأفعال الإنجازية، التي لا تستعمل إلا مباشرة قليلة جدا، وهي تقتصر في الغالب على ما يسمى بالأفعال المؤسساتية أو التشريعية كالتوكيل، والتفويض، والوصية، والتوريث، والإجارة ونحوها؛ لأن الأفعال الكلامية غير المباشرة إن

---

[١] ظ: العقل واللغة والمجتمع: ٢٢١، والتداولية من أوستين إلى غوفمان:٦٩.

[٢] البراغماتية (المعنى في السياق)، جيفري ليش وجيني توماس، (بحث منشور على شبكة الانترنت): ٢٧٣.

[٣] التداولية، جورج يول: ٩٤.

[٤] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٣٦٨.

[٥] ظ: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية: ١٦٤.

[٦] الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب: ٥٢.

استعملت فإنها تؤدي في النتيجة إلى اللبس وضياع الحقوق[١]، على أن من الممكن وضع بعض الضوابط للتمييز بين هذين النوعين من الأفعال المباشرة وغير المباشرة بتحديد ثلاثة فروق جوهرية:

١. إن القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات على حين أن الأفعال الإنجازية غير المباشرة موكولة إلى المقام إذ لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

٢. إن القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يمكن أن تلغى فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة، وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة، وهي الاستفهام.

٣. إن القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل اليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة البساطة والتعقيد أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه، من هنا لم تعن النظريات الشكلية إلا بالقوة الإنجازية المباشرة أو الحرفية[٢].

فإذا ما حصل تطابق بين الكلام ودلالة المقول الحرفية يكون الفعل الكلامي في هذه الحال مباشرا أو أوليا على حين أنه إذا لم يحدث تطابق بين المذكورين يكون الفعل الكلامي غير مباشر أو ضمنيا، ومن ثم فإن تحديد طبيعة الفعل الكلامي من حيث المباشرة وعدمها يردّ إلى العلاقة بين البنية والوظيفة، فإذا وجدت علاقة مباشرة بينهما حصلنا على فعل كلامي مباشر وكلما وجدت علاقة غير مباشرة بينهما حصلنا على فعل كلامي غير مباشر[٣].

اما فيما يخص الجوابات العلوية فقد امتاز أسلوب الإمام(عليه السلام) فيها بالمزاوجة بين المعاني الصريحة، والضمنية غير المباشرة، وقد وردت المعاني الضمنية بكثرة؛ لأن ((خطاب الناس بالأساليب غير المباشرة هو الأجدى؛ لأنّه أوقع في نفوسهم، وأكثر إرضاءً لغرورهم، أو أوفق لظروف أحوالهم))[٤]، فيكون للمعنى غير المباشر غرض إنجازي، ووقع في النفس أقوى من

---

[١] ظ: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٨٣.

[٢] ظ:آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد المتوكل: ٢٢، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٨٣.

[٣] ظ: التداولية: ٩٢.

[٤] البلاغة العربية، أساسها علومها وفنها: ٤٦.

المعنى المباشر؛ والسبب في ذلك يردّ إلى المتلقي، الذي يكون أكثر تنبها والتفاتا إلى كلام المخاطِب وما يقصده في ذلك الخطاب والمعاني التي تختبئ خلفه بالفعل لينتقل من المعنى الصريح الظاهري، الذي يذكره المتكلم إلى المقاصد التي يريد.

ومن ذلك خروج الفعل الكلامي **الإثباتي** إلى معان أخرى يُفصح عنها السياق، نحو خروجه إلى الدلالة على فعل توجيهي لإنجاز قصد توجيهي يمثله الأمر في قوله(عليه السلام)، وذلك بعد أن استسفره الناس لإصلاح عثمان ونصحه: ((**مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ**))[1]، فبعد أن غضب المصريون من سياسة عثمان، وخرجوا عليه مطالبين بإنصافهم، ورفع الحيف والظلم عنهم، كان سفيرهم لعثمان في تلك الحادثة هو الإمام(عليه السلام). إذ طلب عثمان منه بعد أن دخل عليه أن يضرب للناس أجلا لكي يصلح من سياسته مظهرا عدم قدرته في تغيير ما يكرهوا في يوم واحد[2]، وبحسبان هذا ردَّ عليه الإمام(عليه السلام) موظفا الأسلوب الإثباتي الخبري بأنه لا أجل في ردِّ ما كره أهل المدينة من سياسته وأما من غابوا عنه فأجلهم وصول أوامره الإصلاحية إليهم[3].

و يُلحظ في جواب الإمام(عليه السلام) أنه ورد على سبيل الإخبار غير أنه خرج إلى غرض آخر تمثل في التوجيه المتضمن معنى النهي إذ يكون المعنى الضمني: لا تؤجل الأمر واخرج إليهم، اصلح الموقف؛ لأنه لا معنى لتأجيل ذلك[4]، فعلى الرغم من المكانة التي كان يحظى بها الإمام(عليه السلام) لم يتوجه لعثمان بالأمر بصورة مباشرة وإنما ساق الحديث على هيأة الإخبار؛ ليطرق بذلك جانب اللين ولاسيما أن الموقف كان متشنجا زيادة على أن الإخبار الذي يكون في معنى الأمر ((أبلغ من صريح الأمر والنهي؛ لأنّه كأنّه سورع إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر به))[5]، فكانت القوة الإنجازية غير المباشرة للفعل الكلامي تكمن في أسلوب الطلب، والدعوة إلى القيام بإنجاز الأمر؛ ليكون الكلام أكثر تأثيرا ووقعا في المُخاطب، وقد كان الغرض التأثيري يكمن في موافقة عثمان على طلب الإمام(عليه السلام) في الخروج إلى الناس، ورد ظلامتهم.

---

[1] نهج البلاغة: ٢/٢٢١.

[2] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ١٠/٣٤.

[3] ظ: شرح نهج البلاغة(الموسوي): ٣/٧٣.

[4] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٩/٢٦٤.

[5] الكشاف، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض: ١/٢٩٠.

ومن ذلك أيضا قوله(عليه السلام) في معرض جوابه على من طلب منه النصح: ((**مَنْ اعتَدَلَ يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَن كَانَت الدُّنيَا هَمَّهُ اشتَدَّت حَسْرَتَهُ عِنْدَ فِرَاقِهَا، وَمَن كَانَ غَدُهُ شَرّاً مِن يَوْمِهِ فَهُوَ مَحْرُوْمٌ، وَمَن لَمْ يُبَالِ مَا زُوِيَ عَنْهُ مِن آخِرَتِهِ إذَا سَلَمَت لَهُ دُنْيَاهُ فَهُوَ هَالِكٌ، وَمَن لَمْ يَتَعَاهَد النَّقصَ مِن نَفْسِهِ غَلَبَ عَلَيْهِ الهَوَى**))[1]، فقد ساق الإمام(عليه السلام) جوابه على سبيل الفعل الكلامي الإثباتي، الذي يتخلله النصح والإرشاد إذ كان المعنى المستلزم للخطاب يكمن في الدعوة إلى الحذر من باب التلطف بالخطاب مع المتلقي وفي الحال هذه يكون الأسلوب التوجيهي المتمثل بالنهي أبلغ وآكد؛ ((لأنّه يبرز المنهي عنه في معرض الواقع رغبة في حدوثه وحرصاً على تحقيقه وحثاً على الانتباه وسرعة الإجابة))[2].

وتأسيسا على هذا يكون المعنى الظاهر للأفعال الكلامية في النص هو الإثبات. أما المعنى المستلزم فيتمثل في التوجيه وهو التحذير، والنهي من الغفلة.

ومن خروج الفعل الكلامي القولي من دلالة **الإثبات** إلى دلالة **التوجيه** المتمثل بالدعاء قوله(عليه السلام) الذي يوبخ به أصحابه بعد أن دعاهم إلى ردِّ الظالمين فلم يحركوا ساكنا، فمن كلام له(عليه السلام) وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فقال قوم منهم: (يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك) فقال(عليه السلام): ((**مَا بَالُكُمْ لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد**))[3]، فقد جاء هذا الخطاب مشتملا على فعل كلامي غير مباشر إذ أورد الإمام(عليه السلام) كلامه على سبيل الإخبار غير أنه خرج إلى دلالة أخرى ظهرت في دلالة الدعاء بقوله: **(لاَ سُدِّدْتُمْ لِرُشْد وَلاَ هُدِيتُمْ لَقَصْد)**، وقد جاء هذا الدعاء؛ نظرا لما كسبت أيديهم، ولما أجلبوا على أنفسهم من الخيبة، والخذلان فقد دعا(عليه السلام) عليهم ((بعدم الاستقامة والسّداد لما فيه الصّلاح والرّشاد وعدم الاهتداء للقصد أي الأمر المعتدل الذي لا يميل إلى أحد طرفي الافراط والتفريط))[4]، فكان الغرض الإنجازي غير المباشر للفعل الكلامي يتمثل في توبيخهم، وتقريعهم، والتقليل من شأنهم.

ومن صور خروج الفعل الكلامي التوجيهي عن دلالته الحقيقي إلى دلالة التعبير جوابه(عليه السلام)، الذي يردُّ به على من قال له: ((يا أمير المؤمنين أي فتنة أعظم من هذه (قتال

---

[1] مستدرك نهج البلاغة: ٢٧٣.

[2] علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية في مسائل علم المعاني: ١٦٣/٢.

[3] نهج البلاغة: ١/ ١٦٨.

[4] منهاج البراعة(الخوئي): ٩٣/٨.

بعض الصحابة)؟ إن البدرية ليمشي بعضها إلى بعض بالسيف))[1]، فقال(عليه السلام) :((**وَيْحَكَ أَتَكُونُ الحَرْبُ فِتْنَةً وَأَنَا أَمِيْرُهَا وَقَائِدُهَا؟**))[2]، كان هذا الخطاب متزامنا مع واقعة الجمل إذ كان هناك كثير ممن لم يكن ليستسيغ الأمر المتمثل بمقاتلة الإمام(عليه السلام) لبعض الصحابة فقد أكبروا هذا الأمر، وعدوه فتنة إذ لم تكن لهم بصيرة خالصة يميزون بها، بل أخذوا الأمر على ظاهره بأن المسلمين يقاتل بعضهم بعضا من دون أن يعرفوا الحق فيتبعوا أهله؛ وبحسبان هذا جاء جواب الإمام(عليه السلام) على من عدَّ تلك الواقعة بأنها فتنة عظيمة، وقد وظف الإمام(عليه السلام) في جوابه الفعل الكلامي التوجيهي الذي ورد على هيأة الاستفهام(**أَتَكُونُ الحَرْبُ فِتْنَةً**) غير أنه عدل فيه إلى قوة إنجازية غير مباشرة تمثلت في التعبير الذي يظهر بالتوبيخ، والتقريع، والإنكار فضلا عن التعجب فالإمام(عليه السلام) لا يريد جوابا من المخاطب وإنما يعبر عن إنكاره وتعجبه من قوله هذا لأنَّ الحرب لا يمكن أن تكون فتنة، وقائدها علي ابن أبي طالب، القرآن الناطق، والحق المبين.

ومن ذلك أيضا يخرج الاستفهام الذي ويُراد به: ((الاستخبار وهو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام؛ أي طلب الفهم؛ ومنهم من فرّق بينهما بأنّ الاستخبار ما سبق أولاً ولم يفهم حق الفهم؛ فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاما))[3]، والذي يُعد أكثر أساليب الطلب انتقالا إلى دلالات تحويلية مغايرة لدلالته التي وضع لها[4]، حتى أن **السيوطي** قد وصل بدلالات الاستفهام التحويلية إلى اثنتين وثلاثين دلالة، جامعا بذلك ما ذكره العلماء قبله[5]، يخرج الى أغراض أخرى كالنهي من ذلك قوله(عليه السلام) لعمر حينما جاءوا إليه بامرأة مجنونة قد زنت فأمر برجمها: ((**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ القَلَمَ يُرْفَعُ عَن ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ المَجْنُوْنِ حَتَّى يَفِيْقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ**))[6]، فقد اشتمل الخطاب على فعل كلامي طلبي تمثل بالاستفهام في قوله(عليه السلام): (**أَمَا عَلِمْتَ**) وقد حقق غرضا إنجازيا يفيد النهي وبذلك يكون المحتوى القضوي هو الدعوة إلى الانتهاء عما عُزم على فعله، ألا وهو رجم الزانية ومما أعطى الاستفهام هنا دلالة النهي هو السياق؛ إذ إن الإمام(عليه السلام) لم يكن ينتظر ردا من عمر على استفهامه إذ لم

---

[1] نهج السعادة: ١/٣٥٥.

[2] نفسه.

[3] البرهان في علوم القرآن: ٢ / ٣٢٦ .

[4] ظ: تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، حسام أحمد قاسم:١١١.

[5] ظ: نفسه: ١١٧.

[6] نهج السعادة: ٩/٤٣٣.

يطلب من كلامه الغرض التعليمي الإيضاحي وتعليم الحُكم الفقهي له وإنما الغاية هي دعوته إلى عدم إقامة الحد على: ثلاث ذكرهم الإمام(عليه السلام) في جوابه، والمرأة التي جِيء بها تدخل في الحكم ويرفع عنها القلم ومن ثمَّ كان عدم تطبيق الحكم يشير إلى تحقق الغرض التأثيري من الفعل الكلامي الطلبي.

ومن خروج **الفعل الكلامي التوجيهي** من دلالة الطلب الى **الفعل التعبيري** أيضا قوله(عليه السلام) من كتاب له الى معاوية أيضا: ((**وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ الرَّعِيَّةِ، وَوُلاَةَ أَمْرِ الاُمَّةِ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ**))[1]، إذ ذكر الإمام الأفعال الكلامية في خطابه (عليه السلام) بدلالة التوجيه المتمثل بالاستفهام غير أنه طلب دلالة أخرى فتم العدول عن التوجيه إلى التعبير وهو الإنكار فكان المحتوى القضوي للفعل يكمن في أنكار الإمام(عليه السلام) على معاوية أن يكون مسؤولا على الرعية وولي أمر المسلمين إذ ليس له سابقة شرف أو موقف إيجابي أو نصرة للدين أو سوى ذلك يؤهله للخلافة والحكم.

من هذا المنطلق جاء الاستفهام في الخطاب العلوي ((على سبيل التقريع والتعنيف والعتاب والإنكار أي هل كنتم ساسة الرعية وولاة أمر الامّة بغير قدم سابق يعني أنّى يكون كذلك أن يلي أحد أمور الامّة بغير قدم سابق ولا شرف سابق))[2]، وبهذا الأسلوب التوجيهي الاستفهامي غير المباشر تتحقق القوة الإنجازية غير المباشرة للفعل الكلامي.

ومن انتقال الفعل الكلامي **التوجيهي** إلى دلالة ثانية أيضا جوابه(عليه السلام) لمن طلب منه وصف الدنيا، فقال له(عليه السلام): ((**وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ؟ مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنَ وَمَن سَقَمَ فِيْهَا نَدِمَ وَمَن افتَقَرَ فِيْهَا حَزَنَ وَمَن استَغْنَى فِيْهَا فُتِنَ فِي حَلَالِهَا حِسَابُ وَفِي حَرَامِهَا النار**))[3]، إذ ورد الفعل التوجيهي الاستفهامي في خطابه(عليه السلام)(**وَمَا أَصِفُ لَكَ مِنْ دَارٍ**)؛ ليؤدي معنى ثانوياً غير معناه الحقيقي، ألا وهو التحقير والتقليل من شأن الدنيا وتصغيره ، فقد رمى الإمام من قوله(عليه السلام) إلى تنبيه الناس وتحذيرهم من الدنيا والسعي وراء ملذاتها، وبحسبان هذا نجده قد ضمن الطلب معنى آخر أراد به دلالة التعبير عن قلة شأن الدنيا وخستها، ففي أولها عناء، وفي آخرها فناء، وفي حلالها حساب، وفي حرامها عقاب، فلم يكن ينتظر الإمام(عليه السلام) من قوله جواباً من المتلقين، وإنّما قصد تحذيرهم من الدنيا وهذا المعنى يُلتمس من الخطاب فضلا عن المقام،

---

[1] نهج البلاغة: ٣/٣٤١.

[2] منهاج البراعة(الخوئي): ١٨/٤٢-٤٣.

[3] مصباح السعادة: ٣/٢٩٨.

الذي قيل فيه وتأسيسا على هذا يتمثل القصد المراد إنجازه فضلا على الغرض الإنجازي غير المباشر من الفعل الكلامي.

ويرد في جواباته أيضا انتقال المعنى من الفعل الإثباتي الكامن في الخبر الظاهر إلى الفعل التعبيري الذي يتمثل **بالكناية** بوصفها جُزءا من الأفعال الكلامية غير المباشرة؛ لأن المعنى الحرفي فيها يؤدي إلى معان أخرى تحتاج إلى إعمال الذهن لمعرفتها والوصول إليها مع عدم الاستغناء عن المعنى الحرفي، من ذلك ما ورد في قول الإمام(عليه السلام): **((حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ))**[1]، إذ كان الإمام(عليه السلام) في خطابه هذا في صدد الحديث عن تمالؤ قريش عليه ومنابذة بعض الصحابة له فضلا عن معاوية وشيعته[2]؛ إذ حاول هؤلاء الثلة الضالة تغيير وجهة الرسالة السماوية عن مجراها الموضوع له، فجنحوا إلى ميولهم وغرائزهم وأهوائهم ظنا منهم بأن عملهم هذا سيُخلدهم في الدنيا، وقد عبَّر الإمام(عليه السلام) عن ذلك بأسلوب كنائي مستوحى من قوله تعالى:﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾[3]، فقد ذكر الإمام(عليه السلام) الفعل الكلامي الإخباري الذي مَثل المعنى الظاهر: **(إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْباحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ)**، وقصد به الولاية والخلافة وبمصباحه وفواره نفسه الشّريفة الحاملة لذلك النّور والمصدر والوريث الشرعي لحمل الرسالة السماوية بعد الرسول الأكرم(**صلى الله عليه وآله**)، وهو ما يمثل المعنى الثانوي من جوابه(عليه السلام).

وبحسبان هذا كانت القوة الإنجازية للفعل الكلامي غير المباشر هو التعبير إذ كان المعنى المستلزم للفعل يكمن في بيان الإمام(عليه السلام) ضعفهم وقلة حيلتهم في محاربة الله(عز وجل)، ورسوله(**صلى الله عليه وآله**)، وفي عدائهم للإمام(عليه السلام) .

---

(1) نهج البلاغة: ٢/٢١٧.

(2) ظ: بحار الانوار: ٣٤/١٦٢.

(3) سورة الصف: ٨.

الفصل الثالث: الحِجَاج في جوابات الإمام علي عليه السلام

أولا: مفهوم الحِجَاج.

ثانيا: تقنيات الحجاج.

١. الأدوات اللغوية.

٢. التقنيات البلاغية.

٣. السلم الحجاجي.

الحِجَاج

لما كانت التداولية هي العلم الذي يصب جل اهتمامه على دراسة اللغة المستعملة، فإن الحجاج يُعد أحد مباحثها الرئيسة؛ فهو يُعد من نتائج التحول والتطور الذي طال الدراسات اللسانية، وتمخض فيما بعد عن نشأة الدراسات التداولية، إذ بدأ الحجاج حديثا بوصفه بلاغة جديدة، ثم حاول بعض الدارسين تخليصه مما علق فيه من بلاغة الجدل الأرسطي فكانت التداولية هي المنحى اللغوي الأقرب الى ذلك بوصفها علم تحليل الخطابات أو علم المقاصد، فدخل الحجاج فيها بوصفه تقنية خطابية يتوسل بها المتكلم أو المرسل الى بلوغ مقاصده عند متلقيه ومن ثمَّ تحول الاهتمام من الوصف إلى بحث وسائل الاستعمال، بعدما تنبّه عدد من الباحثين إلى وظيفة أخرى للغة عدا التبليغ والتواصل، هي الوظيفة الحجاجية (**Argumentative**) فإننا حينما نتكلم في حياتنا اليومية، فنحن نسعى عن طريق كلامنا إلى التأثير في أفكار المتلقي ومعتقداته، لنحمله على التسليم بما يعرض عليه من أفكار وحجج ونعمل على إقناعه، وحثه على قبول شيء معين، أو القيام به، وهذا ما أشار إليه الفرنسي **جان ميشال أدام (J . M . Adam)** حينما صرح بأننا حينما نتكلم فنحن نسعى إلى حمل المخاطب على أن يتقاسم آراءنا، أو التمثيلات المتعلقة بموضوع معين من جهة، وإلى حمل الآخرين **(المستمعين)** على الاقتداء بأكبر عدد ممكن من آرائنا من جهة أخرى[١].

أولا : مفهوم الحجاج:

لغة:

جاء في معجم **(العين)** : أن((الحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ))[٢].

وفي **لسان العرب:** ((حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أَي غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها ... وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه ... والحُجَّةُ الدليل والبرهان))[٣]، والمحاجة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته، قال تعالى: ﴿ **هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ**

---

[١] **ظ: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير: ١٢١.**

[٢] **العين، (حجَّ): ٣/١٠.**

[٣] **لسان العرب، (حجج): ٣/٥٣-٥٤.**

عِلْمٌ ﴾[1]))[2]، وبيّن **أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)** معنى الحجة واشتقاقها بقوله: ((الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من ردّ الفرع إلى الاصل وهي مأخوذة من الحجة وهي الطريق المستقيم وهذا هو فعله المستدل وليس من الدلالة في شيء، وتأثير الحجة في النفس كتأثير البرهان فيها وإنما تنفصل الحجة من البرهان لان الحجة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد حج يحج إذا استقام في قصده، والبرهان لا يعرف له اشتقاق وينبغي أن يكون لغة مفردة))[3].

وبحسب هذا يكون الحجاج هو النزاع والغلبة عن طريق توظيف الحجج والبراهين والأدلّة، ونلحظ في قول **ابن منظور**: ((رجل مِحْجاجٌ أَي جَدِلٌ))[4]، أنه يعد الحجاج جدلا أو بمنزلته، والذي يعني في نظره مقابلة الحجة بالحجة ((واللَّدد في الخصومة والقدرة عليها))[5]، على حين هناك من يرى بأن الجدل أوسع من الحجاج فمنه ما هو حق ومنه ما هو باطل[6] ومن ثمَّ يمكن القول بأنَّ الحجاج مرادف للجدل من جهة انطلاقهما من الخصومة والمقدرة على استعمال الحجج، من أجل غلبة الخصم والتفوق عليه.

وعن طريق تقصي المعنى المعجمي للحجاج نجد أنه يدور في دلالات متنوعة تتمثل في: **(التنازع والتخاصم والجدل والغلبة)** بوسائلها المتمثلة بالأدلة والبراهين.

اصطلاحا:

أما حدَّه في الاصطلاح فهو تلك ((الخطوات التي يحاول بها الفرد أو الجماعة أن تقود المستمع إلى تبني موقف معين، وذلك بالاعتماد على تمثيلات (ذهنية مجردة أو حسية ملموسة) Representation أو على قضايا جازمة Assertions –حجيات Arguments– تهدف إلى البرهنة على صلاحية رأي أو مشروعيته))[7].

. على حين يُلحظ في تعريف **الدكتور طه عبد الرحمن** للحجاج أنه أكثر إظهارا للجانـــــب

---

[1] سورة آل عمران، من الآية:٦٦.

[2] ظ: المفردات في غريب القرآن:١١٣.

[3] الفروق اللغوية، تح: محمد ابراهيم سليم: ٧٠.

[4] لسان العرب: (حجج): ٥٤/٣.

[5] نفسه، (حجج): ٥٤/٣.

[6] ظ: الحجاج في القرآن، عبد الله صولة: ٨.

[7] مداخلات لسانية مناهج ونماذج، بنعيسى عسو أزابيط:٧٨.

التداولي إذ يصفه بأنّه: ((فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأنّ طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة، ومطالب إخبارية، وتوجهات ظرفية ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، إنشاء موجهاً بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع واغنى من البنيات البرهانية الضيقة))[١]، فهو عنده يتجلى في كل منطوق يوجه إلى الآخر لأجل إفهامه دعوى مقصودة يكون له الحق في الاعتراض عليها أو قبولها[٢].

وقد كان الحجاج موضع عناية منذ القدم، وأُدرج ضمن البلاغة باسم فن الجدل[٣]، فهناك ((حجاج خطابي(لساني) وحجاج خطابي(بلاغي) وآخر قضائي أو سياسي أو فلسفي))[٤]، ومع ومع تنوع الحجج وتعددها فإن الغاية من الحجاج تبقى واحدة تتمثل في محاولة المخاطِب التأثير في المتلقي وإقناعه بفكرة ما ومن ثمَّ التأثير في سلوكه وتأسيسا على هذا عرفه كثير من الباحثين بأنه: ((خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي والتأثير على سلوكه أي الإقناع))[٥]، فضلا عن ذلك نلحظ أنّ لطبيعة النص ونوعيته الأثر الأساس في تثبيت الحجاج من عدمه، إذ ليس كل نص نثري سواء أكان إبداعيا أم غيره يتضمن إقناعا أو تأثيرا، يعدّ نصاً حجاجياً، بدليل ما نجده في بعض الحكايات الخرافية أو القصص الخيالية التي يعتاد عليها الأطفال على سبيل المثال .

وقد ظهرت للحجاج ثلاثة مفاهيم:

- مفهوم يجعل الحجاج مرادفا للجدل، وهذا ما نجده عند القدامى وبعض المحدثين العرب.
- مفهوم يجعله بين الجدل والخطابة، وهذا ما نجده عند اليونان، في مؤلفات أرسطو .
- مفهوم يرى الحجاج مبحثا فلسفيا ولغويا قائماً بنفسه، مستقلاً عن صناعتي الجدل

---

[١] في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن : ٦٥ .

[٢] ظ: اللسان والميزان : ٢٢٦ .

[٣] ظ:التداولية في الخطاب العربي المعاصر ، مفهوم المناظرة الأسس والمساءلات (مجلة اللغة والأدب ، قسم قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب و اللغات ، جامعة الجزائر): ٢٢٦.

[٤] الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ٢٠٠١، ع١، المجلد٣٠: ٩٨.

[٥] البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد: ٧.

والخطابة، وهذا المفهوم أدقّ وأعمق من السابقين، ويتمثل في مؤلفات الغربيين الحديثة[١].

والحجاج عند **أرسطو** هو فن الإقناع، أو مجموع التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع أو الإذعان[٢].

من هنا كانت آراء **أرسطو** بمثابة حجر الأساس الذي قامت عليه نظرية الحجاج المعاصرة، أو البلاغة الجديدة، وهو العنوان الفرعي الذي اختاره مؤسس البلاغة الجديدة الباحث التشيكي **شاييم بيرلمان (CH.perelman)** مع زميلته البلجيكية الآخرى **تيتيكا (L.O.Tytéca)** في كتابهما **(مصنَّفٌ في الحجاج)**، الصادر سنة ١٩٥٨م وفيه يريان أن: ((موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب، التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))[٣].

فالغاية من الحجاج لدى المؤلفين هي التأثير في المتلقي الذي يحمله على العمل أو التهيئة النفسية لذلك فضلا عن أن **بيرلمان** عن طريق صوغه لنظريته في البرهان كان يرمي الى((دراسة تقنيات الخطاب ،التي تسمح بتأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته))[٤]، إذ أولى عناصر الحجاج أهمية خاصة في إنشائه لنظرية الحجاج التي لا تكتفي بالأساليب اللغوية بل تولي اهتماما بالظروف الخارجية التي تتعلق بالمخاطب والمقام خاصة؛ لأن نظرية البرهان عنده لبحث سبل التأثير عبر الخطاب بصورة فاعلة في الأشخاص ويكون الحجاج عنده:عبارة عن تصور معين لقراءة الواقع اعتمادا على بعض المعطيات الخاصة، في المحاجج والمقام الذي ينجب هذا الخطاب[٥]، ويربط وجود المعنى بالسامع الذي لولاه لما كان حجاجا أصلا ونظرا لجهديهما الوافرين في هذا المجال قيل: ((إنّ بيرلمان وتيتيكا قد عمدا إلى إحياء البلاغة القديمة، ولكن في ثوب جديد هو الحجاج))[٦].

---

[١] ظ: الحجاج في القرآن ، عبد الله صولة : ٨ – ٩ .

[٢] ظ: الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي:١٨.

[٣] أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو الى اليوم، حمادي صمود: ٢٩٩.

[٤] الحجاج في القرآن:٢٧.

[٥] ظ: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين:٦١.

[٦] بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل: ٨٧.

ومن ثمَّ فإن مُؤلَّف **بيرلمان وتيتيكاه** يُنزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره فهما يجعلانه أمرا مفارقا للجدل من جهة، وصناعة الخطاب من جهة ثانية، على الرغم من اتصاله بهما.فهو يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى الأثر الذهني في المتلقي، وإذعانه إذعانا نظريا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من آراء ومواقف، ويأخذ من الخطابة توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحض عليه وباختلاف الحجاج عن الجدل وصناعة الخطاب وجمعه بين التأثيرين النظري والسلوكي العملي، يشكّل بلاغة جديدة[١].

وإذا كان **بيرلمان** قد عرف الحجاج بوصفه مجموعة أساليب وتقنيات في الخطاب، تكون شبه منطقية، أو شكلية، أو رياضية[٢] فإن **ديكرو (O. Ducrot)، وجون كلود انسكومبر (J.C. Anscombre)** يعود اليهما الفضل في وضع الأسس اللغوية للحجاج فقد تحدثا عن حجاج مختلف عما هو عليه عند **بيرلمان** ؛لأن الحجاج معهما صار يعالج في إطار لساني محض وهو ما يُصطلح عليه بـ**(التداولية المدمجة)**[٣]، إذ يجعلاه ((كامنا في اللغة ذاتها لا فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنى شبه منطقية كما هي الحال عند بيرلمان وتيتيكاه))[٤]، فمثّلت أعمالهما تيارا تداوليا قارب الحجاج من زاوية مختلفة[٥]، فقد أسسا سنة ١٩٧٣م ((نظرية نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية، وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم ... ثم أنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: (إننا نتكلم عامة بقصد التأثير)، فالحجاج عنده – بحسب ما يدلّ عليه عنوان كتابه الذي ألفّه بالاشتراك مع **انسكومبر (الحجاج في اللغة)** – يكمن في بنية اللغة نفسها، لا في ما يمكن أن يترتب عليه الخطاب من بنى شبه منطقية أو شكلية أو رياضية، كما هي الحال عند **بيرلمان وتيتيكاه**[٦]، وهذا يعني أن التداولية المدمجة في الدلالة لا تعنى بالبحث عن الجوانب التداولية خارج إطار اللغة وإنما تبحث عنها داخل بنية

---

[١] ظ: الحجاج في الشعر العربي:٢١-٢٢.

[٢] ظ: نفسه: ٢٢.

[٣] ظ: نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود: ٣٥٣.

[٤] الحجاج في القرآن: ٣٣.

[٥] ظ : بلاغة الإقناع في المناظرة : ٩٥ .

[٦] ظ : الحجاج في القرآن : ٣٣ .

اللغة نفسها[١] ومن ثمَّ ((فالموقف المبدئي من التداولية المدمجة، هو أن اللغة تحقق أعمالا لغوية، وليست وصفا لحالة الأشياء في الكون وهذا يستلزم أن يكون معنى القول صورة عن عملية القول لا عن الكون))[٢]، وقد ماز **ديكرو** بين معنيين للحجاج: المعنى الاعتيادي، والمعنى الفني. أما المعنى العادي فيريد به الصورة التي يُعاد بها عرض الحجج وتقديمها، وهو يهدف من ذلك الى التأثير في المتلقين ليكون الخطاب ناجحا فعالا، وهذا أول معايير السمة الحجاجية لكنه غير كاف، إذ يجب مراعاة طبيعة المستهدف فيكون الخطاب مناسبا له، وكذلك فعالية التقنيات الحجاجية وقدراتها المستعملة في الإقناع، فضلا عن استثمار الناحية النفسية في المتلقي لإحداث التأثير المطلوب أما المعنى الفني فيشير إلى صنف خاص من العلاقات المتضمنة في الخطاب والمدرجة في اللسان، وتتماز هذه العلاقات بأنَّها سلمية متدرجة (Scalaire)، أو قابلة للقياس بالدرجات[٣].

وبلحاظ ذلك فإنّ مفهوم **بيرلمان وتيتيكاه** للحجاج يُعد ضيقا؛ لأنه قائم على رسوم رياضية ومنطقية، أمّا **انسكومبر وديكرو** فمفهومهما للحجاج يُعد واسعا؛ لأنهما يجعلان كل قول مهما كان غرضه قولا حجاجيا؛ ومن ثمَ فالحجاج في نظرهما كائن في جوهر اللغة[٤].

من هنا يتبين أنَّ ((موضوع الحجاج في اللغة هو بيان ما يتضمنه القول من قوة حجاجية، تمثل مكونا أساسيا لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما))[٥].

ومن ثمَّ أضحى الحجاج موضوعا مستقلا له قواعده وأسسه الخاصة به واصبحت تدور حوله الدراسات والأبحاث؛ لأنه بعد جوهري في اللغة، الهدف منه الإقناع والإفحام في آن معا، وهذا ما صرح به الفيلسوف البلجيكي **ميشال مايير (M. Meyer)** في قوله: ((يعرف الحجاج عادة بكونه جهدا إقناعيا (إفحاميا) ويُعد البعد الحجاجيّ بعداً جوهرياً في اللغة، لأن كل خطاب

---

[١] ظ: الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، يعمرانن نعيمة: ١.

[٢] نظرية الحجاج في اللغة: ٣٥١.

[٣] ظ: التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشة : ٢١.

[٤] ظ: حوارات الأديان في القرآن الكريم، رغد عبد أبو جاسم: ٨٠.

[٥] الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ١٩٢.

يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه))[1]، أي إنّ أهم سمة يمتاز بها الحجاج اللغوي هي إقناع المخاطَب، والتأثير في أفكاره ومعتقداته واستمالته للتفاعل مع ما يُعرض عليه من أقوال.

ويضع الدكتور **محمد العمري** الحجاج في كتابه(**في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)** الذي عمد فيه الى تطبيق نظرية (الإقناع) عند **أرسطو** يضعه ضمن صور ثلاث[2]:

١. **القياس** : وهو القياس المضمر القائم على الاحتمالات التي تكفي في معالجة الأمور، نحو : التعارض، والتضاد، والمستقصي.

٢. **المثل** :هو استقراء بلاغي، أو حجة تقوم على المشابهة بين حالين في مقدمتهما، ويراد استنتاج نهاية إحداهما قياسا بالنظر إلى نهاية مماثلتها.

٣. **الشاهد:** ويسمى عند **(أرسطو)** الحجج الجاهزة أو غير الصناعية، ويدخل في حيزها القوانين والشهود، والاعترافات، وأقوال الحكماء، وتختص إجمالا بالخطابة القضائية. ويتمثل الشاهد في الخطابة العربية في تضمين الآيات القرآنية، والأحاديث، وأبيات الشعر، والأمثال، والحكم.

والحجّة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق الواردة فيه، وكذلك النتيجة والرابط الحجاجي بينهما، ولبيان ذلك يمكن التمثيل بالآتي :

١ – أنا جائع ،إذن أنا بحاجة إلى الطعام .

٢ – أنا جائع ، أنا بحاجة إلى الطعام .

٣ – أنا جائع .

٤ – أنا بحاجة إلى الطعام .

وعند النظر في هذه الأقوال، يُلحظ أنّ الأول منها قد صرِّح فيه بالحجة والنتيجة والرابط الحجاجي بينهما، أمّا القول الثاني فقد صرّح بالحجة والنتيجة، وأضمر الرابط الحجاجي، وفي القول الثالث صرّح بالحجة، وأضمر الرابط الحجاجي والنتيجة؛ لكنّها تستنتج من السياق، أمّا القول الرابع فيُلحظ أنه على نقيض الأول، إذ صرّح بالنتيجة وأضمر الحجة والرابط الحجاجي .

. وتتسم الحجج اللغوية بسمات، أذكر منها :

١ – أنّها سياقية: بمعنى أن السياق هو من يمنح العناصر الصفة الحجاجية ، فقد يكون العنصر الدال حجة أو نتيجة أو غير ذلك بحسب السياق .

---

[1] الحجاج والاستدلال الحجاجي:٩٩.

[2] ظ: في بلاغة الخطاب الإقناعي، محمد العمري: ٧١-٩٠.

٢ –أنّها نسبية: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فالحجج قد تكون قوية أو ضعيفة ، أو قوية وأقوى ؛ فقد تقدِّم حجة قوية ، فيردّ الآخر بحجة أقوى منها فتدحضها .

٣ –أنّها قابلة للإبطال: فالحجاج اللغوي نسبي ومرن وسياقي ،أما البرهان المنطقي فهو حتمي والعلاقة التي تربط بين الحجة والنتيجة تدعى (العلاقة الحجاجية)[١].

أما فيما يخص الجوابات العلوية فيُلحظ أن الإمام علي(عليه السلام) يمثل منهجا واضحا في ممارسة وظيفة الحجاج الفاعل عن طريق تعاطيه مع قضايا عصره، إذ لم تكن غايته من الحجاج إفحام خصومه فحسب، بل كان ناطقا ومظهرا للحقيقة على وفق طريقة القرآن الكريم ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ **سورة النحل، من الآية:**، فيما يخص حواره مع الآخر، وتارة تراه معترضا على من توهم في معتقده وضل ضلالا بعيدا، فيقوم(عليه السلام) بتوجيهه وتحريك نوازع فطرته للإقرار بمبدع هذا الكون وعظيم صنعه في هذا الوجود.وأخرى تجده يقوم بالحجاج في معرض بيان الغلط في الفهم وسوء التأويل الذي يُسعى من ورائه الى الفتنة في الأمة، عن طريق الاستدلال والبرهنة بغية إيضاح فساد ما ذُهب إليه[٢].

وكل ذلك الحجاج الذي تضمنته الجوابات ((قائما على أسلوب ذي مقصد دلالي مختلف بين نمط وآخر، يكتنز بطاقة لغوية تقوم على التباين في استعمال الخصائص اللغوية بأساليبها المختلفة من حذف وذكر أو تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير وفصل ووصل وعــدول وتكرار وغير ذلك بسبب اختلاف الخطاب تارة ومراعاة حال المتلقي تارة أخرى))[٣]؛ لأن اللغة بمختلف طرائقها وأساليبها تكون ((بمثابة الكاشف عن مكنون النفس والعقل ذلك المكنون الذي يترجم باستدعاء المواقف والظروف إلى واقع حقيقي في صورة أحداث فعلية))[٤].

فضلا عن ذلك لم تكن النصوص الحجاجية الواردة على لسان الإمام(عليه السلام) تتسم بطابع واحد بل إنَّ الغالب فيها التنوع والتغاير من مظهر إلى آخر، وذلك بحكم ما يستدعيه ويفرضه المقام وسياقاته الموضوعية المتطلبة لذلك المسلك من الحجاج[٥].

---

[١] ظ: اللغة والحجاج: ١٩–٢٠.

[٢] ظ: وظيفة الحجاج في نهج البلاغة (قراءة في الانماط والدلالات)، د. هادي شندوخ حميد السعيدي، ود. حيدر برزان سكران العكيلي، (مجلة كلية الآداب جامعة ذي قار): ٣٢٠.

[٣] وظيفة الحجاج في نهج البلاغة: ٣٢٠.

[٤] علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر: ٢٣٧.

[٥] ظ: وظيفة الحجاج في نهج البلاغة: ٢٣٢.

ثانيا: تقنيات الحجاج:

هي مجموعة من التقنيات التي يعمد المخاطب إلى توظيفها في خطابه((بغية خدمة وجهة نظره، على طريق حمل المتلقي على التسليم بصحة موقفه أولا، والإذعان لمراده، والتبني لما يطرحه من وجهات نظر ثانيا))[١].

غير أن هذه الأدوات ليست هي الحجج بعينها، إنما هي قوالب لها وظائفها التي تعمل على تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج، أو تعين المرسل على تقديم حججه في الأسلوب الـــــذي يتماشى مع السياق[٢].

وتقسم تقنيات الحجاج على:

١.**الأدوات اللغوية:** يعمد المخاطب في خطابه إلى توظيف أدوات لغوية، تحمل صبغة حجاجية، تربط بين التدعيم والنتيجة من شأنها أن تخدم الغرض الذي يرمي إليه في كلامه، الأمر الذي يعطي الخطاب أهمية وقوة تسهم في تدعيم العملية الحجاجية، وتتمثل هذه الأدوات في:

أ. **ألفاظ التعليل:** وهي من الأدوات اللغوية التي يوظفها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي، وبناء حججه فيه[٣]، ومن هذه الألفاظ:

- **المفعول لأجله (المفعول له):**

وهو ((المصدر، المفهم علة، المشارك لعامله: في الوقت، والفاعل))[٤]، أو هو((مصدر قلبي مفهم علة ما قبله، ومشارك لعامله في وقته وفاعله))[٥]، والمفعول لأجله أو المفعول له مصطلح نحوي، أورده **سيبويه** في كتابه باسم (باب ما ينتصب من المصادر لأنّه عذر لوقوع الأمر) إذ يصفه بقوله: ((فانتصب لأنّه موقوع له، ولأنّه تفسير لما قبله لم كان؟ وليس بصفة لما قبله ولا منه))[٦]، وتكمن حجاجية المفعول له في أنه يُستعمل لبيان علة ما قبله.

---

[١] **في تداولية الخطاب الأدبي(المبادئ والإجراء)، نواري سعودي أبو زيد:٩٦.**

[٢] **ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٧٧.**

[٣] **ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٧٨.**

[٤] **شرح ابن عقيل، ابن عقيل، تح: محمد محي الدين عبد الحميد: ١٨٦/٢.**

[٥] **نحو اللغة العربية، د. محمد أسعد النادري:٦٤٥.**

[٦] **الكتاب: ١ / ٣٦٧ .**

وقد كان **للمفعول له** بعض الحضور في جوابات الإمام(عليه السلام)[1]، من ذلك قوله الذي يجيب به على همَّام بعد أن طلب منه الأخير أن يصف له المتقين وقد ألحَّ على ذلك: ((**لَوْلاَ الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْن، شَوْقاً إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ**))[2]،فكان من وصفه(عليه السلام) للمتقين أن وصل الى هذا الكلام الذي يهزّ النفس ويحملها على التفكر والتدبر مليا فقد وصف المتقين وصفا دقيقا صور فيها شوقهم وتلهفهم ورغبتهم في لقاء الباري(عز وجل) غير أنهم موكولون بالأجل الذي كتبه الله (عز وجل) عليهم إذ إنَّ لكل إنسان موعد وأجل مكتوب في عالم الغيب لا يخلفه ولا يتعجله بل كل ذلك بإذن الله(سبحانه وتعالى) ومشيئته احتسابا لقوله تعالى: ﴿ **وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ سورة الأعراف: ٣٤.

وقد ورد توظيف المفعول لأجله **(شوقا، وخوفا)** لبيان الحجة المتمثلة برغبة المتقين فـــي الانتقال من دار الدنيا الى الآخرة من أجل الظفر بوعد الله(سبحانه وتعالى) ووعيده وبسبب خوفهم من تكاثر الذنوب وتفاقمها الناتج عن طول العمر وامتداده فقد جاءت الحجج متأخرة عن النتيجة ويمكن توضيح ذلك بالخطاطة الآتية:

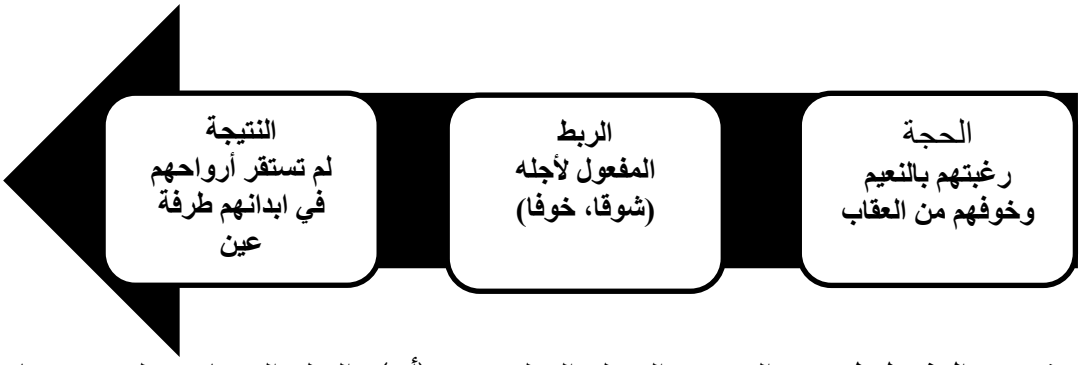

وقد يرد **المفعول له** من المصدر المؤول المؤلف من **(أن)** والفعل المضارع على نحو ما جاء في إحدى كتبه(عليه السلام) التي أرسلها الى معاوية داحضا بها كذبه وزيفه: ((**وَمِن العَجَبِ أَنْ تَصِفَ يَا مُعَاوِيَة الإِحْسَانَ وَتُخَالِف البُرْهَانَ وَتَنكُثَ الوَثَائِقَ الَّتِي هِيَ لله عز وجل طُلبَة وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَة مَعَ نَبْذِ الإِسْلَامِ وِتِضْيِيعِ الأَحْكَامِ وَطَمْسِ الأَعْلَامِ وَالجَّرْيَ فِي الهَوَى**))[3]، فقد حاجج

---

[1] **ظ: على سبيل المثال، نهج البلاغة: ٥٤/١، ١٧١، ٢٨١/٢، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٥، ونهج السعادة: ٢٠٠/٢، ١٢/٩، ومصباح البلاغة: ١٥٩/١، ٣٠١.**

[2] **نهج البلاغة:٢٨١/٢.**

[3] **مصباح البلاغة: ٤٨/٤.**

الإمام(عليه السلام) معاوية في استعمال المفعول له المسبوك من أن والفعل **(أنْ تَصِفَ)**؛ ليبين فساد سريرته واختلافها عما يظهر فهو يظهر الإيمان – بهتانا وزورا – ويضمر الكفر ويقول بخلاف ما يفعل إذ إنَّ ما يذكره من الإحسان والخير والعمل الصالح لا يتجسد في أفعاله من تضييع الأحكام ونقض المواثيق واتباع الهوى وغير ذلك ومن ثمَّ فقد لجأ الإمام(عليه السلام) الى توظيف المفعول له لإظهار الحجة عليه ولبيان حقيقته للملأ كي يكون لهم تصور عن خبثه ومن ثمَّ فهذه المظاهر التي عُرف بها، والتي تأخذ بيده بعيدا عن طريق الحق كافية للتدليل على كفره ويمكن التمثيل لذلك فيما يأتي:

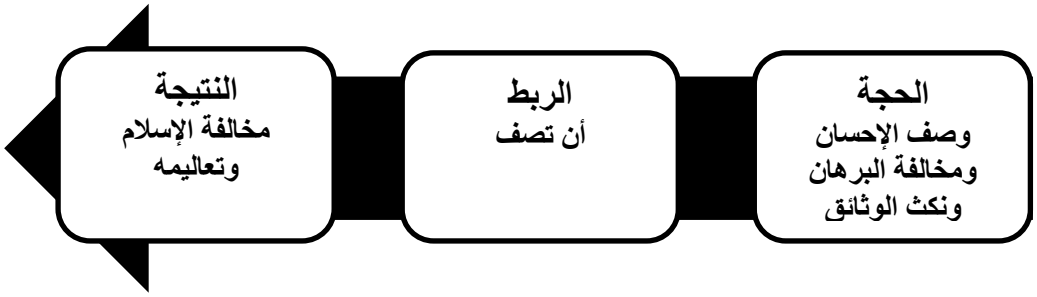

– اللام:

وهي إحدى الأدوات اللغوية التي يتم استعمالها في المحاججة، إذ تتمحور حجاجيتها في أنها تأتي لتعليل الفعل، سواء أكانت لام التعليل، أم لام كي الناصبة، أم اللام الجارة[1]، وهذه اللام واردة في مواطن من جوابات الإمام(عليه السلام)[2]، من ذلك كلامه محاججا طائفة من أصحابه؛ وقيل إن عددهم عشرون ألفا حينما طلبوا منه أن يجيب معاوية وجيشه الى القرآن الكريم بعد أن رفعوه مكرا وخديعة في واقعة **(صفين)** وإلا قتلوه فكان من جوابه(عليه السلام) أنه قال: **((وَيْحَكُمْ أَنَا أَوْلَ مَن دَعَا إِلَى كِتَابِ الله، وَأَوَل مَن أَجَابَ إليْهِ، وَلَيْسَ يَحِلُ لِي وَلَا يَسَعَنِي فِي دِيْنِي أَنْ أُدْعَى إلى كِتَابِ الله فَلَا أَقْبَلَهُ، إنِّي إنَّمَا أُقَاتِلُهُم لِيَدِيْنُوا بِحُكمِ القُرآنِ، فَإنَّهُم قَدْ عَصَوا الله فِيْمَا أَمَرَهُم،**

---

[1] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، عبد الهادي الشهري : ٤٧٩ .

[2] ظ: على سبيل المثال، نهج البلاغة: ٢/٢٣٠، ٢٨٠، ٢٨١، ٣/٣٣٦، ومستدرك نهج البلاغة: ٢٤١، ٢٤٣، ونهج السعادة: ١٠/٢٤٤، ١١/٥٦٤، ومصباح البلاغة:١/٣٠٢، ٢/١٩.

وَنَقَضُوا عَهْدَهُ وَنَبَذُوا كِتَابَهُ))[1]، إذ استعمل الإمام(عليه السلام) اللام التعليلية في قوله: **(ليدينوا)** ليبين لأصحابه حقيقة هم غافلون عنها تتجلى في مكر ودهاء يظهره معاوية إذ أوضح لهم الإمام(عليه السلام) بأن الغاية من قتال القوم أصلا كانت في سبيل اعترافهم بالقرآن الكريم والأخذ به واتباع أحكامه ومن أجل إصلاحهم وتقويم اعوجاجهم بعد أن عصوا الله(سبحانه وتعالى) في أوامره ونواهيه ونقضوا مواثيقه وغيبوا كتابه وعتوا في الأرض فضلا عن ذلك فأنه ليس الإمام(عليه السلام) من يرفض الركون والاحتكام الى القرآن الكريم إذا ما دُعي إليه غير أنه لعلمه بمعاوية ومعرفته بما يحمله من حقد دفين له(عليه السلام) ولإصحابه رفض التحكيم ولاسيما بعد أن قارب النصر أو كاد يظفر به لولا إصرار أصحابه على التحكيم ومن ثم جاء بـ**(اللام)** ليحتج عليهم بكذب القوم ونفاقهم وليظهر لهم بأن الحق ليس ما يدعو إليه هؤلاء القوم ويمكن التمثيل لذلك بالآتي:

الحجة	الربط	النتيجة
إصلاح فساد معاوية وقومه	اللام	مقاتلة القوم

ومن توظيف **اللام** التعليلية أيضا قوله(عليه السلام): **((وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ؟ فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هذِهِ الاُمَّةِ))**[2].

فبعد عودة الإمام(عليه السلام) من حادثة التحكيم التي لجأ إليها على مضض من أمره انقلبت عليه ثلة أخرى من أصحابه ممن كان في جيشه إذ سألوه مستفهمين عن سبب قبوله التحكيم بينه وبين معاوية على الرغم من أحقيته بالخلافة فكان من جوابه أن احتج عليهم باستعمال أداة الرب بين الحجج (لعل) فضلا عن لام التعليل الداخلة على الفعل المضارع في قوله **(لِيَتَبَيَّنَ)** بأنه(عليه السلام) إنما وافق على ذلك من أجل أن ينماز الجاهل من العالم ويبين صاحب الحق من الباطل فقد حصر قبول الأجل بالبيان والإصلاح باستعمال أداة الحصر **(إِنَّمَا)**؛ لأنه(عليه السلام) لم يكن طالبا

---

[1] نهج السعادة: ٢/٢٤٩.

[2] نهج البلاغة: ٢/١٧٧.

للخلافة التي إن حصل عليها لم تزده إيمانا بقدر اهتمامه بظهور الحق وبيان زيف معاوية وبطلان دعوته أمام الملأ فقد لجأ(عليه السلام) الى التحكيم؛ لأنه كان يرجو بأن يُصلح حال هذه الأمة المفتونة الباغية السالبة للحق فلعلها تعود بعد ذلك الى رشدها وتتنبّه الى غفلتها وترجع عن غيها؛ ولكن من دون جدوى ومن ثم كانت الحجة تتمثل في رغبة الإمام(عليه السلام) الإصلاحية على حين كانت النتيجة هي القبول بالتحكيم مضطرا لذلك وقد تم الحجاج بأداة الربط **(اللام)** التي ربطت بين الحجة والنتيجة فضلا عن أن الإمام لجأ الى تقديم حجته بطريقة وعظية وجدانية لها آثارها في الإصلاح المستقبلي، وإن كان فيها مالا تطيقه نفوسهم، أو تذعن له أهواؤهم .

- كي:

وهي حرف تعليل يدخل على الفعل المضارع فينصبه وتُعدُّ من الأدوات المستعملة في الحجاج حيث تكمن حجيتها في أن ما بعدها يكون سببا لما قبلها وقد كان حضورها على مستوى ضيق في جوابات الإمام(عليه السلام) إذ وردت في أربعة مواضع[1]، من ذلك كلامه في الحادثة التي وقعت بينه وبين **(العلاء بن زياد الحارثي)**[2]، الذي كان من أصحاب الإمام(عليه السلام) إذ شكا له حال أخيه الذي لبس الخشن واعتزل الدنيا وانقطع عنها فدخل عليه الإمام(عليه السلام) مخاطبا إياه بقوله: **((أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجُشوبة مأكلك قال: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلاَ يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ))**[3]، ففي هذه القطعة الحوارية يقدم الإمام(عليه السلام) رسالة جلية ودرسا واضحا في التواضع والإحساس بالآخر ومعايشة الطبقات كافة لمن يتصدى للسلطة والحكم فحين دخل الإمام(عليه السلام) على عاصم كانت غايته النصح والإرشاد والتبيين بأن العبادة لا تعني

---

[1] ظ: مصباح البلاغة: ١٩/٢، ومستدرك نهج البلاغة، ٢٤١، ونهج السعادة: ٢٨٩/٢.

[2] العلاء بن زياد بن شريح البصري كان من العباد الصالحين من أهل البصرة ومن رواة الحديث النبوي ومن كبار التابعين. كثير الخوف والورع، وكان يعتزل في بيته ولا يخالط الناس، وكان كثير البكاء، لم يزل يبكي حتى عمي، وله مناقب كثيرة توفي في البصرة سنة ٧٨هـ(ظ: سير أعلام النبلاء: ٨٢/٤).

[3] نهج البلاغة: ٢٩٩/٢.

ارتداء الخشن والانقطاع عن الدنيا ومن فيها بل هي التعايش والتمتع بما أحل الله (ﷻ) واتباع أحكامه وقوانينه والسير عليها بتوازن غير أن عاصما ردَّ على الامام(عليه السلام) بأنَّ ملبسك وطعامك يا أمير المؤمنين هو نفسه ملبس الفقراء وطعامهم من هنا جاء جواب الإمام(عليه السلام) مؤيَّدا بالحجة التي تتمثل في استعمال الحرف(**كي**) فقد أشار الى أنَّ الأئمة المختارون من الله (ﷻ)لابد من أن تتوافر فيهم سمات خاصة تؤهلهم لحمل الرسالة المناطة بهم إذ لابد للإمام العادل من أن يتأسى بالفقراء كي يكون مثالا يحتذى به، فيبعث في نفوس الفقراء والمستضعفين من الطبقات الكادحة الأنس ويحملهم على الصبر لما ابتُلوا به من شظف العيش وينزع من مخيلتهم الأفكار غير المحمودة التي تؤدي بهم الى هلاك أنفسهم ((فإنهم إذا رأوا إمامهم بتلك الهيئة وبذلك المطعم كان أدعى لهم إلى سلوان لذات الدنيا والصبر عن شهوات النفوس))[1]؛ لأن من معاني التَّبَيُّغ هو (**الهلاك**)، ومن ثم كانت الحجة هنا قائمة على الشعور بالمسؤولية وإطاعة الله (ﷻ). ويمكن التمثيل لما سبق بالآتي:

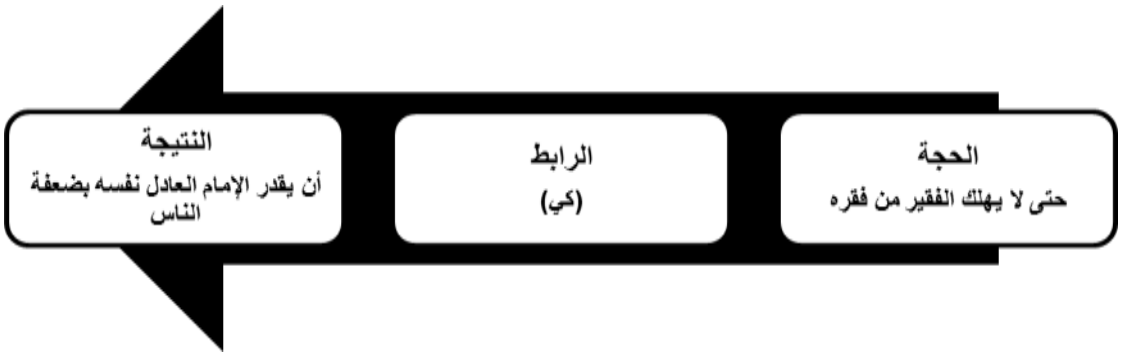

ب. تحصيل الحاصل:

من الدارسين من يعد بعض الخطابات حشوا وتحصيل حاصل لا فائدة ولا غاية منشودة منها غير أن الحقيقة بخلاف ذلك؛ لأن كل جزء من الخطاب له غرضه الخاص وغايته التي يرمي الى تحقيقها ويتمثل هذا الضرب في بعض التنوعات الحجاجية، والصور الخطابية، التي

---

[1] **شرح نهج البلاغة(ابن أبي الحديد): ٢٤/١١.**

تقوم بوظيفة التأثير والحجاج في الخطاب، ومن التنوعات الحجاجية التي تمثل هذا الضرب الخطابي ما يُعرف بالتمثيل، ويتجسد بتعدد التعاريف على الرغم من وحدة المُعَرَّف[١].

والتعريف أو الحد يُقسم على ثلاثة أقسام: حقيقي، ورسمي، ولفظي ، فالحقيقي: القول الدال على ماهية الشيء، والرسمي: اللفظ الشارح للشيء بتعديد أوصافه الذاتية واللازمة، إذ يطرد وينعكس، كقول القائل في حدِّ الخمر: مائع يقذف بالزبد، يستحيل إلى الحموضة، ويحفظ في الدَّن تجمع من عوارضه ولوازمه ما يساوي بجملته الخمر، بحيث لا يخرج منه خمر، ولا يدخل فيه غير خمر واللفظي: شرح اللفظ بلفظ أشهر منه، كقولك في العقار: (الخمر)، وفي الليث: (الأسد)، ويشترط: أن يكون الثاني أبين من الأول[٢]، ويمكن أن يتمثل الحجاج بأيٍّ حد من هذه الحدود؛ لأنّها تمثل((تعاريف مختلفة أو طبقات متفاوتة لذات واحدة، ولكنّ اختيار أيّ منها يخضع لما يريد المرسل أن يقنع به المرسل إليه، كما يخضع لنظرته إلى الأشياء))[٣].

فالتعريف بحسب ما تقدم يُمثّل ((في الغالب مدخلا للحجاج؛ لأننا نحتاجه حينما نريد تحديد مفهوم، حتى تكون هناك أرضية تقوم على قواعد مشتركة بين المتخاطبين من أجل إقناع أحسن))[٤].

وهذا الضرب من الحجاج وارد في جوابات الإمام(عليه السلام) في مواطن شتى ولاسيما في الحديث عن الخالق(عز وجل) أو وصف الدنيا أو في الإجابة عن بعض الأسئلة التي تختص بقضية معينة إذ يعمد الإمام(عليه السلام) في كل ذلك الى التبيين والإيضاح بإيراد التعريفات المتنوعة الدالة على المعرَّف نفسه[٥]، ومن ذلك قوله(عليه السلام) ردًّا على من سأله خبرني عن الله تعالى، أرأيتَه حين

---

[١] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٨٩- ٤٩٠.

[٢] ظ: روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة(ت٦٢٠هـ)، تح: د. شعبان محمد اسماعيل: ٥٨/١ – ٦٦، واستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٠.

[٣] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٠ .

[٤] تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب انموذجا، رحيمة شيتر: ٦٣.

[٥] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢٨١/٢، ٤٥٣/٤، ٤٤٩، ومستدرك نهج البلاغة: ٤٧، ٢٢٣، ونهج السعادة: ٥٦١/١-٥٦٢، ٣١١/٩.

عبدته؟ فقال أمير المؤمنين(عليه السلام) لم أكُ بالذي أعبد من لم أره فقال له: فكيف رأيته حين رأيته، فقال(عليه السلام): ((**وَيْحَكَ لَم تَرَهُ العُيُون بِمُشَاهَدَةِ الأبصَارِ، وَلَكِن رَأَتْهُ القُلُوْبُ بِحَقَائِق الإيْمَانِ، مَعْرُوفٌ بِالدِلَالَاتِ، مَنْعُوتٌ بِالعَلَامَاتِ، لَا يُقَاسُ بِالنَاسِ، وَلَا تَدرُكُهُ الحَوَاسُ**))[1]، إذ جاء جواب الإمام(عليه السلام) مكتنزا في نفسه جملة من الأدلة الحجاجية التي أفادت التعريف مع وحدة المُعرف، وهو الله (عز وجل) إذ صدَّرها الإمام(عليه السلام) بـ(**ويح**) التي تشير الى التوجع وإظهار الشفقة على المتكلم فضلا عن أنها بمعنى الويل بحسب ما ذهب بعض العلماء[2]، ثم أعقب جوابه بالجزم الذي يفيد نفي الشيء في الحاضر والمستقبل وهنا جاء الجزم مطلقا شاملا للأزمنة كلها فالله (عز وجل) لا يُبصر بالعين تعالى عن ذلك علوا كبيرا ثم استدرك الإمام بعد ذلك بـ(**لكن**) ليحاجج السائل؛ لأنه قد أخبر ابتداء برؤية الخالق الذي يعبده حتى لا تكون للسائل حجة على الإمام(عليه السلام) في جعله عاجزا عن الجواب إذ قد يكون غرض السائل هو إظهار عجز الإمام وإقحامه والنيل منه ليكون ذلك مؤاخذة عليه وقد يكون سؤاله من أجل طلب الحقيقة والوصول الى المعرفة الحقة وتأسيسا على هذا جاء بدليله(عليه السلام) بعد نفي الرؤية الحسية على الرؤية التي أشار إليها في جوابه، التي تتمثل بالقلب فأخبر بأن رؤية الخالق(عز وجل) تكمن في القلب؛ لأنه موضع الإيمان واليقين والعلم والاطمئنان فضلا عن أن ((إدراك القلوب فوق إدراك العيون، لعدم وقوع لبس في إدراكها، بخلاف إدراك العيون فيقع اللبس فيها كثيرا))[3].

ثم بعد ذلك ذكر الإمام(عليه السلام) حدودا أخرى هي بمثابة الحجج التي تقوي الرؤية القلبية وذلك بقوله: ((**مَعْرُوفٌ بِالدِلَالَاتِ، مَنْعُوتٌ بِالعَلَامَاتِ، لَا يُقَاسُ بِالنَاسِ، وَلَا تَدرُكُهُ الحَوَاسُ**)) وبحسب هذا يقطع على السائل كل الشكوك والاعتقادات الخاطئة التي تجول في خاطره حول الرؤية العينية ويؤسس له قاعدة معرفية جديدة تقوم على الإيمان واليقين والإقناع المرتبط بالعقل فالله(جل جلاله) كرَّم الإنسان بالعقل ((وجعل العقل الإنساني في القلب النوراني مرآة للعارف

---

[1] مستدرك نهج البلاغة: ٢٢٣.

[2] ظ: لسان العرب، (ويح): ٤٢١/١٥.

[3] بهج الصباغة: ٢٨٧/١.

الفاضل))[1] ومن ثمَّ فقد وظف الإمام(عليه السلام) هذه التعريفات التي لا تنطبق إلا على الذات القدسية فكانت مشحونة بقوة تأثيرية تحمل النفس على التأثر والإيمان ويمكن التمثيل له بالشكل الآتي:

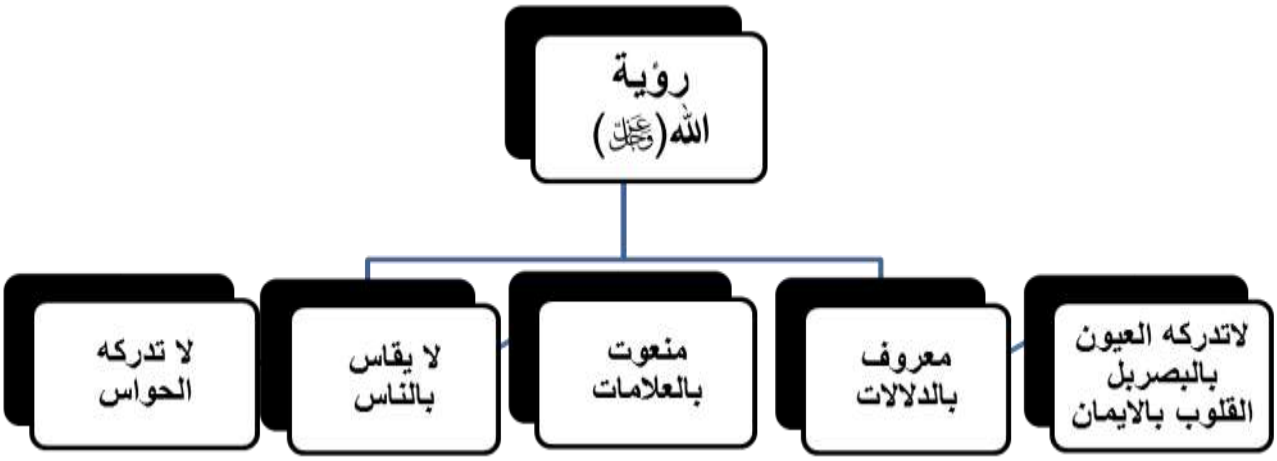

وكان(عليه السلام) قد سأله أحدهم عن الدنيا بقوله: ف((ما تقول في الدنيا؟))[2]، فقال (عليه السلام): **((فَمَا أَقَوْلُ فِي دَارٍ أَوَّلُهَا غَمٌّ وَآخِرُهَا المَوْت، مَن اسْتَغْنَى فِيْهَا افْتَقَرَ وَمَن افْتَقَرَ فِيهَا حَزُنَ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ وَفِي حَرَامِهَا النَّار))**[3].

فقد جاء جوابه(عليه السلام) في مجمله يحمل بين طياته دعوة صريحة الى انتزاع حب الدنيا من القلب والعقل والاستغناء عنها بما هو باقٍ لا يزول؛ لأن الخير كل الخير في الدار الأخرى ولا خير في الدنيا وفي هذا تنفير منها ودعوة الى الزهد فيها؛ لكونها دار متقلبة متلونة كل يوم في صورة جديدة غير مستقرة على حال ولترسيخ هذه الفكرة في ذهن السائل وجعله يتعايش معها ويعتقد بها ذكر الإمام(عليه السلام) جملة من الحدود التي عرَّف بها الدنيا فاستهل الحجاج بقوله:((**أَوَّلُهَا**

---

[1] الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي، دراسة وتحقيق: محمد عمارة:٢/٣٢٢.

[2] نهج السعاة: ١٠/٥٤.

[3] نفسه.

غَمٌّ وَآخِرُهَا المَوْت)) فالإنسان منذ ولادته حتى آخر لحظاته في الدنيا تراه يقاسي منها فلا يثبت على حال متقلبا بين الهم والغم والكرب والحزن وما سواها ثم تكون نهايتهُ بعد كل ذلك الموت الذي لا يغادر أحدا إلا وكانت له عودة فيه ثم عضَّد الوصفين بآخرين، إذ قال(عليه السلام) **((مَن اسْتَغْنَى فِيْهَا افْتَقَرَ وَمَن افْتَقَرَ فِيهَا حَزُنَ))**. فالإنسان بما يجمع من مال ويعدد يبقى مفتقرا في حقيقته، إذ الغنى ليس غنى المال؛ لأن ميزان الله تعالى ليس المال من ذهب وفضة وما شاكلهما وإنما يكمن في التقوى والعمل الصالح وبما يلاقي الإنسان به الله(سبحانه وتعالى) حين يلاقيه بقلب سليم بحسب قوله تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[1]، إذ هنا يتجسد الغنى والثراء وفي الجانب المقابل تجد الحزن والكرب والألم يسود المفتقر بسبب فقره وشظف العيش الذي يأسره متناسيا ما أعد الله(عز وجل) له من أجر على كل ذلك وما يظلم الله أحدا.

ومن هنا كانت الحجج الواردة في الجواب تتمثل في وصف حال الدنيا وتقلبها من حال الى حال أما النتيجة المستوحاة من جوابه فهي الدعوة الحذير والتنبه من الغفلة التي يكون عليها الإنسان فكانت الحجج مكتنزة في نفسها إشارات وأبعاد وظفها الإمام(عليه السلام) قصد التنبيه والتوعية ومن ثم التأثير لتذعن العقول اللبيبة الى قوله فيكون الكلام مؤديا غايته القصدية المناطة به ويمكن التمثيل لهذا الجواب بما يأتي:

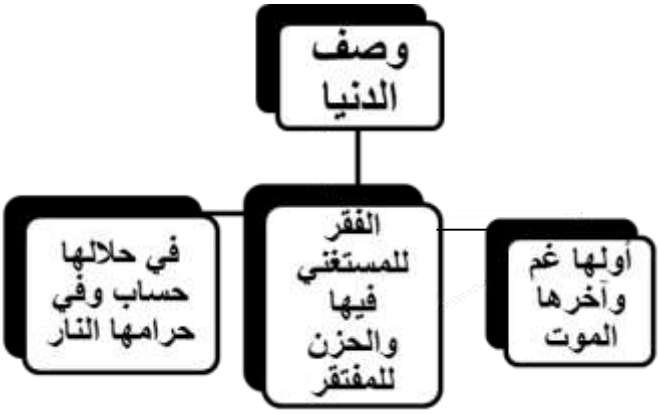

[1] **سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.**

ومما تقدم يمكننا أن نستشف الوظيفة التداولية المتولدة من استعمال هذه الأدوات اللغوية في ميدان الحجاج إذ تجلت تلك الوظيفة باستثمار ما تحمله تلك الأدوات من طاقة حجاجية؛ هدفها تحقيق التأثير في المتلقي وإقناعه بما يُلقى عليه أو بما يسمع، ومن ثمَّ تغير اعتقاداته وأفكاره سواء أكان ذلك التغيير من الناحية المحمودة أم غير المحمودة.

٢. التقنيات البلاغية:

ويُراد بها تلك الأساليب المستعملة في الكلام، التي ضمها العرب تحت لواء البلاغة وفي الحديث عنها يتبين لنا الإندماج الحاصل للحجاج في البلاغة وفي كثير من الخطابات الحجاجية؛ لأن الحجاج ليس علما يوازي البلاغة فحسب، وإنما هو جملة من الآليات التي يتم اقتراضها من البلاغة ومن غيرها، ومن ثمّ يصبّ هذا الاتحاد والتداخل بين العلمين في مصلحة الحجاج؛ لأن تلك الأساليب البلاغية تعمل على تقوية طرحه بصورة تؤدي إلى إجلاء المعنى وجعله أوقع في النفس[١]، ومن ثمَّ فلا غنى للحجاج عن البلاغة البتة.

وتكمن أهمية الوسائل البلاغية ((فيما توفره للقول من جمالية قادرة على تحريك وجدان المتلقي، والتأثير فيه، فإذا انضافت تلك الجمالية إلى حجج متنوعة، وعلاقات حجاجية تربط بين أجزاء الكلام، وتصل بين أقسامه، أمكن للمتكلم تحقيق غايته من الخطاب؛ أي حمل المتلقي على الاقتناع بفكرة ما، أو رأي معين، ومن ثم توجيه سلوكه الوجهة التي يريدها له))[٢] فعن طريقها يلجأ المتكلم الى استعمال جملة من الصور التي يرمي منها الى استمالة عقل المتلقي وقلبه ومن ثم ينجح في التأثير فيه وجعله يؤمن بالفكرة أو المعنى او القضية التي يريد إيصالها اليه.

وربما يحدث أن يتم عزل الأساليب البلاغية ((عن سياقها البلاغي؛ لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل تؤدي وظيفة إقناعيه استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج)، من هنا يتبين أنّ معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء

---

[١] **ظ:التداولية والحجاج : ٥٠ .**

[٢] **الحجاج في الشعر العربي : ١٢٠.**

أغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية))[١]، ومن هذه الآليات البلاغية التي يستند إليها الحجاج لتحقيق أهدافه:

أ.تقسيم الكل الى أجزائه:

ويُقصد به أن يذكر المتكلم حجته كلّاً في أول الأمر ثم يعود إلى تقسيمها، وتعداد أجزائها، ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها يكون بمثابة دليل على دعواه[٢]، وتسمى هذه الحجة بالبرهان ذي الحدين ويعرفها **بيرلمان (CH.perelman)** بأنها ((شكل من أشكال الحجج يتناول فرضيتين ليستنتج انه سواء وقع الاختيار على الأولى أو الثانية نصل الى الفكرة نفسها أو الموقف ذاته وذلك لأحد الأسباب التالية: فإما لأنهما تقودان الى النتيجة ذاتها وإما تقودان الى نتيجتين لهما نفس القيمة او لأنهما يقودان الحالتين الى عدم الاتفاق مع قاعدة نتقيد بها))[٣].

وهذا اللون من الحجاج نجد له حضورا في جوابات الإمام(عليه السلام)[٤] من ذلك خطابه الوارد في حديثه عن أحوال العامة وما يفسدها إذ يقول ردا على من سأله عن سبب فساد العامة: **((إنَّمَا هِيَ مِنْ فَسَادِ الخَاصَّةِ، وإنَّمَا الخَاصَّة لَيُقْسَمَوْنَ عَلَى خَمْسٍ: العُلَمَاءُ وَهُم الأَدِلَّاءُ عَلَى الله، وَالزُّهَادُ وَهُم الطَّرِيْقُ إلَى الله، وَالتُّجَّارُ وَهُم أُمَنَاءُ الله، وَالغُزَاةُ وَهُم أَنْصَارُ دِيْنِ الله، وَالحُكَّامُ وَهُم رُعَاةُ خَلْقِ الله. فَإذَا كَانَ العَالِمُ طَمَّاعَا وَلِلمَالِ جَمَّاعَا فَبِمَنْ يُسْتَدَلُّ؟ وَإذَا كَانَ الزَّاهِدُ رَاغِبَا وَلِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ طَالِبَا فَبِمَن يُقْتَدَى؟ وَإذَا كَانَ التَّاجِرُ خَائِنَا وِلِلْزَكَاةِ مَانِعَا فَبِمَنْ يُسْتَوْثَق؟ وَإذَا كَانَ الغَازِي مُرَائِيَا وَلِلكَسْبِ نَاظِرَا فَبِمَن يُذَبُّ عَن المُسْلِمِين؟ وَإذَا كَانَ الحَاكِمُ ظَالِمَا وَفِي الأَحكَامِ جَائِرَا فَبِمَن يُنْصَرُ المَظْلُومُ عَلَى الظَالِمِ؟ فَوَالله مَا أَتْلَفَ النَّاسِ إلَّا العُلَمَاءُ الطَّمَّاعُوْنَ،**

---

[١] **التداولية والحجاج : ٥٠.**

[٢] **ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٤.**

[٣] **الحجاج في الشعر العربي: ٢٠٩.**

[٤] **ظ: على سبيل المثال: مستدرك نهج البلاغة: ٢٣٥، ونهج السعادة: ٤١٣/١، ومصباح البلاغة: ١٣٣/١- ١٣٥.**

وَالزُّهَّادُ الرَّاغِبُونَ، وَالتُّجَارُ الخَائِنُونَ، وَالغُزَاةُ المُرَاؤُونَ، وَالحُكَّامُ الجَائِرُونَ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون))[1].

فقد كانت حجته(عليه السلام) الرئيسة في جوابه هي أن من يعمل على إفساد العامة هم الخاصة؛ لأنهم يؤدون عملا مهما ومؤثرا في أحوال العامة وسلوكهم ولو ساروا على النهج الذي يرضي الله (عز وجل) لكانت أحوال العامة على أحسن حال وأفضله فبعد أن بين(عليه السلام) الحجة الأساس انتقل للحديث عن الحجج الصغرى التي تمثل بيانا عن الحجة الرئيسة فقد بُنيت جميعا في بناء شرطي جاء فيه جوابه استفهاما، فزاد ذلك من قوة الحجة.

ومن ثمَّ كان نوع هذه الحجج متساندة بعضها مع بعض فقادت الى النتيجة التي خلص إليها الإمام في قوله حيث قسم الخاصة على خمسة أقسام هم: **(العُلَمَاءُ وَهُم الأَدِلَّاءُ عَلَى الله، وَالزُّهَادُ وَهُم الطَّرِيْقُ إِلَى الله، وَالتُّجَّارُ وَهُم أُمَنَاءُ الله، وَالغُزَاةُ وَهُم أَنْصَارُ دِيْنِ الله، وَالحُكَّامُ وَهُم رُعَاةُ خَلْقِ الله)** ثم بين(عليه السلام) الحجج باستعمال أسلوب الاستفهام الاستنكاري، الذي خرج الى غرض آخر يمكن أن نحمله على النفي الذي وضح به الموضع الذي يكون فيه كل من هؤلاء الخمسة مساهمين في تدني العامة إذ لا يمكن الاستدلال بالعالم الطماع، ولا الاقتداء بالزاهد الذي يرغب في الدنيا لا عنها، ولا الوثوق بالتاجر الخائن الذي يمنعه طمعه عن تأدية حقوق الناس التي فرضها الله (عز وجل) عليه، ولا الغازي المرائي الذي يبتغي من غزاه أغراضا دنيوية لا تنفك أن تزول، ولا الاستنصار بالحاكم الجائر الذي يحكم بميوله ورغباته من دون الحق وبعد أن عرض الإمام(عليه السلام) هذه الحجج مستفهما فيها انتقل الى توكيدها ذاكرا النتائج التي أفضت إليها الحجج السابقة بقوله:((**فَوَاللهِ مَا أَتْلَفَ النَّاسِ إِلَّا العُلَمَاءُ الطَّمَّاعُوْنَ، وَالزُّهَّادُ الرَّاغِبُونَ، وَالتُّجَارُ الخَائِنُونَ، وَالغُزَاةُ المُرَاؤُونَ، وَالحُكَّامُ الجَائِرُونَ))**[2]، فجاء توكيدها بتصديرها بالقسم للإشارة الى أهمية الموضوع وحساسيته؛ لأن كلام الإمام(عليه السلام) حجة من غير القسم فكيف إذ صُدّر بالقسم فإنه سيحمل دلالة الأهمية البالغة لأن الأصناف التي ذكرها (عليه السلام) سواء كلها أو بعضا منها إذا ما سلطت على رؤوس الناس فإنها ستؤدي الى انتشار الفوضى والفساد والظلم والتفاوت الطبقي

---

[1] **نهج السعادة:٩/٥٩٦-٥٩٧.**

[2] **نهج السعادة:٩/٥٩٦-٥٩٧.**

ومن ثمَّ فكانت حججه(عليه السلام)، التي أدلى بها مهمة جدا تستدعي النظر والتمعن فيها، فهي مطلقة إذ تقع في كل زمان ومكان تتوافر فيه تلك الطبقات الخاصة التي أشار إليها في جوابه(عليه السلام)، وقد مثلت تلك الحجج الثانوية أجزاء تفرعت عن الحجة الكلية وهي الخاصة؛ لأن وقوع أية واحدة منها أو كلها تؤدي بالنتيجة الى فساد أحوال الناس فهذه الحجج تمثل في مجملها الحجة الكلية وقد بُنيت الحجج جميعا في بناء شرطي جاء فيه جوابه استفهاما، فزاد ذلك من قوة الحجة.

ومن ثمَّ كان نوع هذه الحجج متساندة بعضها مع بعض فقادت الى النتيجة التي خلص اليها الإمام في قوله ويمكن التمثيل لذلك بالشكل الآتي:

ب. التشبيه:

وهو ((الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى))[1]، أو ما ((يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما فأحسن التشبيه ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها حتى يدني بهما الى حال الاتحاد))[2] والتشبيه فن بلاغي يوظف في الحجاج

---

[1] **الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني(ت٧٣٩هـ): ٢١٧.**

[2] **نقد الشعر، قدامة ابن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي :١٢٤.**

لقرينة المشابهة إذ يلجأ المحاجج الى الاستعانة بهذا الأسلوب ليكون بمثابة دليل على قوله ومن ثم تكون حجته أقوى وأثبت لوجود شاهد عليها يتمثل بالمشبه به .

ولهذا الأسلوب حضور بيِّن في جوابات الإمام(عليه السلام)[1] من ذلك جوابه في إحدى كتبه التي يخاطب بها معاوية رادًّا عليه بقوله(عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي، وَمُخَطِّىءٌ فِرَاسَتِي وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الاْمُورَ وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحَلاَمُهُ وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، لاَ يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ**))[2]، ففي هذا النص العلوي يستهل الإمام(عليه السلام) جوابه لائما لنفسه ومستضعفا لرأيه فإذا به يقول: ((ألوم نفسي، وأستضعف رأيي في أن جعلتك نظيرا اكتب وتجيبني وتكتب وأجيبك وإنما كان ينبغي أن يكون جواب مثلك السكوت لهوانك))[3]، فكان هذا اللوم بسبب جعله(عليه السلام) معاوية بمثابة نظير له يبادله الرسائل والكتب ويرد عليه إذ يرى الإمام(عليه السلام) أنه من باب أولى السكوت عن جوابه وعدم الرد عليه؛ ((لأنّ غرضه إنّما كان التلبيس والمشاغبة))[4] فضلا عن أنه في الأصل ليس أهلا للحوار بسبب تهمه الباطلة التي كان يرمي بها الإمام(عليه السلام) من قبيل مقتل عثمان وكذلك طلبه الشام والإقرار بحكمه[5]، وغير ذلك من الأوهام التي لم يكن الإمام(عليه السلام) آخذا بها أو مقرا له فيها، وبحسب هذا ينتقل الإمام بعد تلك المقدمة التي يستشف منها الضجر والاستياء التي كان عليهما(عليه السلام) الى ذكر الحجة التي تجعل منه متضجرا من مراسلة معاوية وغير راضٍ عنها وقد تمثلت حجته في استعمال أسلوب التشبيه بقوله(عليه السلام): **(كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحَلاَمُهُ وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، لاَ يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ)** وقد أراد من ذلك أن

---

[1] ظ: على سبيل المثال: ٣١/١، ٩٧، ٤٨٠/٤، ٤٨٣، ومستدرك نهج البلاغة: ١٨٢، ١٩٥، ٣٧٩، ونهج السعادة: ١٩٤/١، ٤١٩، ٣٦٤/٢، ومصباح البلاغة: ١٦٧/٢.

[2] نهج البلاغة: ٤٢٧/٣.

[3] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٦٣/١٨، وظ: شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي: ١٨٦/٥.

[4] بهج الصباغة: ٢٧٥/٤.

[5] ظ: في ظلال نهج البلاغة: ١٩٤/٤

يوصل رسالة لمعاوية مفادها ((إنك في مناظرتي ومقاومتي بالأمور التي تحاولها والكتب التي تكتبها كالنائم يرى أحلاما كاذبة أو كمن قام مقاما بين يدي سلطان أو بين قوم عقلاء ليعتذر عن أمر أو ليخطب بأمر في نفسه قد بهظه مقامه ذلك أي أثقله فهو لا يدري هل ينطق بكلام هو له أم عليه فيتحير ويتبلد ويدركه العيّ والحصر))[١]، فطلبك إلي الشام وإقراري بحكمك هو في الحقيقة من أوهامك التي لا تراها إلا في منامك يصورها لك خيالك البعيد الذي تعاهد مع الشيطان بأنها حقيقة وهي كذب وزيف وإنك بتصديقك هذه الأوهام كالأعمى التائه الذي لا يعرف ما يريده ولا يرى ما يرمي إليه ومن ثم فإنك ضال مُضل[٢]. ومن ثم فقد سيقت هذه الحجج لتوهين أمر معاوية ومنزلة ما يطلب ويمكن التمثيل لهذه الحجج بحسب ما يأتي:

ومن التشبيه ما يصطلح عليه بالـ**(تمثيل)**، وقد تحدث عنه **الجرجاني** بقوله: و((مما اتفق العقلاء عليه، أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، وُنقِلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبَّهة ... فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم

... وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر))[٣].

ويُراد بالتمثيل: ((عقد الصلّة بين صورتين؛ ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حججه))[٤]، وقد ذهب **بيرلمان** الى تعريفه بقوله: ((هو طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم

---

[١] شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديد): ٦٣/١٨.

[٢] ظ: نفسه.

[٣] أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر: ١١٥.

[٤] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٧.

المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان أن تكون مترابطة ... (فهو قريب من الحجاج المقارني) دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري، حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة، ولكنّه ينطلق من التجربة بهدف إفهام الفكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير، جرياً على مبدأ الاستعارة))[1]، إذ يرى **بيرلمان** بحسب ما هو واضح في قوله إنَّ التمثيل يعلو بقيمته على التشبيه؛ ولأن التشبيه يقوم على علاقة المشابهة في صفة واحدة أو صفات عدة، على حين أن التمثيل لا يستدعي ذلك، وإنما يربط بين أشياء لا رابط بينها ومن ثمَّ كان حرياً به أن يكون أعلى شأناً من التشبيه وهذا ما دعاه الى أن يمثل أداة حجاجية بامتياز، فهو يعمل على إبراز تشابه العلاقات، وإن كانت مجالاتها وموضوعاتها مختلفة.

وهناك نوع آخر من الحجاج يدعى الحجاج التمثيلي وهو أن يتم مقابلة حادثة بأخرى ويُعد هذا الحجاج وسيلة مهمة تشارك مشاركة فاعلة في التأثير في المتلقي، ولاسيما إيراد القصة أو المثل التاريخي واتخاذه وسيلة تشبيهية إذ يذكر المحاجج الواقعة التاريخية المشهورة ليشبه بها الموضوع المتَحَدث فيه ليكون أكثر إقناعا، والمثل ((استقراء بلاغي والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها ... والواقع أنّ المثل يعد دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير إذا أخذناه بمعناه الواسع الذي يشمل التشبيه والاستعارة))[2]، وقد كان له حضور في بعض المواطن من جوابات الإمام(عليه السلام) من ذلك جوابه على الأشعث بن قيس بعد أن سأله بقوله: ((إني سمعتك تقول: ما زلت مظلوماً، فما منعك من طلب ظُلاَمتك والضرب دونها بسيفك؟))[3]، فكان جواب الإمام(عليه السلام):((**يَا أَشْعَث، مَنَعَنِي مِن ذَلِك مَا مَنَعَ هَارُونَ إذ قَالَ لِأَخِيهِ مُوسَى: إنِّي خَشِيْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إسْرَائِيلَ، وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي، وَقَدْ قَالَ لَهُ مُوسَى حِينَ مَضَى لِمِيقَاتِ رَبِّهِ: إنْ رَأَيْتَ قَومِي ضَلّوا واتَّبَعُوا غَيرِي فَنَابُذْهُم، فَإنْ لَم تَجِد أَعْوَاناً فَاحْقِن دَمَك، وكُفَّ يَدَك، وَكَذَلِك قَالَ لِي أَخِي رَسُول الله (صلى الله عليه وآله) فَلَا أُخَالِفَ أَمْرَهُ**))[4] فقد كان جواب الإمام(عليه السلام)

---

(١) عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير : ٩٧ – ٩٨.

[٢] في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د. محمد العمري : ٨٢ – ٨٥ .

[٣] مستدرك نهج البلاغة: ٨٤.

[٤] مستدرك نهج البلاغة: ٨٤.

للأشعث معضودا بالمثل التاريخي المتمثل بقصة هارون وموسى إذ قابل الإمام بين عدم المطالبة بحقه ومقاتلة القوم وقصة موسى(عليه السلام) مع أخيه هارون تلك الحادثة التاريخية المعروفة للسائل فضلا عن من سواه التي ذكرها القرآن الكريم، والتي تدور في انتداب موسى(عليه السلام)لأخيه هارون ليكون خليفته في قومه عندما مضى لميقات ربه وغاب أربعين يوما فلما رجع وجد قومه قد اتخذوا العجل من بعده واتبعوا دعوة السامري وفي المقابل لم يقدم هارون على فعل شيء ولم يحرك ساكنا فكان ما منع هارون من الدخول في معترك الأمر، الذي ينطوي على دعوة القوم الى الامتناع عما أقبلوا عليه والعودة الى دين الله (عز وجل)، الذي دعا إليه موسى(عليه السلام) ومنابذتهم وقتالهم هو نفسه ما منع الإمام(عليه السلام) من المطالبة بحقه والذب دونه بسيفه ملتزما بقول رسول الله(**صلى الله عليه وآله**) حيث لجأ الى السلم وحقن دماء المسلمين إذ كان بمقدوره أخذ الأمر منهم بالقوة والقتال غير أنه لم يختر هذا المسلك بسبب قلة الناصر علاوة على أن ذلك سيودي بالنتيجة الى اختلاف القوم وتفرقهم فضلا عن الدماء التي ستسيل وبحسب هذا ركن الإمام(عليه السلام) إلى المسالمة، لأن المسألة لم تكن نزاع حق شخصي أو دفاعا عن حق شخصي، بقدر ما كانت مسألة موازنة فيما هو الأصلح للإسلام والرسالة، والإمام رأى الاصلح للرسالة هو أن يغضّ عنهم ولا يدخل الحرب، مع محاولة بعضهم لاستدراج الامام لذلك غير انه لزم الصمود والقعود آنذاك عن القتال من أجل حفظ بيضة الاسلام فهو القائل: ((**لأُسَلِّمَنَّ ما سلمت أمور المسلمين**))[1]، إذ ما دامت أمور المسلمين تسير على خير من اجتماعهم تحت لواء لا إله إلا الله فلا ضير في ذهاب الخلافة الى هذا أو ذاك.

ومن هنا نجد أن الإمام(عليه السلام) قد وظف التمثيل للاحتجاج على الأشعث وقطع الفتن التي يثيرها إذ جمع(عليه السلام) في حجاجه هذا بين أسلوبين: الأسلوب الديني المتمثل بذكر الواقعة التاريخية، التي وردت في القرآن العظيم، والأسلوب الفني المتمثل بهذا الفن البلاغي، كل ذلك بغية التأثير في المتكلم وردّ شبهته علاوة على الوصول إلى الإقناع مما يحقق الغرض المرجو من الخطاب

في حين تكمن النتيجة في السلم الذي أظهره الإمام(عليه السلام) وعدم إعلان الحرب على من جحد حقه متمسكاً بوصية الرسول الكريم .

جـ.الاستعارة:

---

[1] **نهج البلاغة: ٩٤.**

تعد الاستعارة أكثر الأساليب البلاغية حضورا في التعبير اللغوي؛ لأنك تجد أن ((العمليات التمثيلية تبرز بكثرة في المحادثة العادية))[١]، فهي تعلو ((استعمال ألفاظ الحقيقة، وذلك؛ لأنه لا يفضّل المرسل استعمالها، إلا لثقته بأنّها أبلغ من الحقيقة حجاجيا، وهذا ما يرجّح تصنيفها ضمن أدوات السلم الحجاجي أيضاً))[٢]، ومن ثمَّ فهي تستجيب للمرسل في صوغ حجته في أوضح صورة، فلا يقف اختياره على استعمال ألفاظ الحقيقة فحسب بل يتعدى ذلك الى الاستعمال المجازي للألفاظ؛ لأن قوة الحجاج في الاستعارة أثبت وأوكد من قوته في الاستعمال اللغوي الحقيقي فضلا عن أن الاستعارة لها قوة في توصيل المعنى والقدرة على اختزال معان وسياقات كثيرة في قليل من العبارات وفي هذا يقول **الجرجاني:** ((أنَّها تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر))[٣]، وأنه يعرفها بقوله: ((إنّ الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنّه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة))[٤] على حين يذهب **السكاكي(ت٤٧٤هـ)** الى حدها بقوله: ((الاستعارة هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به))[٥].

أما عن وظيفة الاستعارة في الإطار الحجاجي فإنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي ((تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي))[٦]. ويلجأ إليها المتكلم بغية توجيه خطابه الوجهة التي يريدها وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية من الرسالة التي يبثها، فالاستعارة الحجاجية هي أكثر الأدوات ارتباطا بمقاصد المتكلمين وسياقاتهم التخطابية والتواصلية والاستعارة من هذه الوجهة يصطلح عليها بـ(الاستعارة اللغوية أو المفيدة) وتكمن هذه الفائدة في قدرة المتكلم

---

[١] التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري: ٣٠.

[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٤ – ٤٩٥ .

[٣] اسرار البلاغة: ٤٣.

[٤] نفسه : ٣٠ .

[٥] مفتاح العلوم: ٤٧٧.

[٦] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٥ .

على الإقناع والتأثير في الشخص المستقبل للرسالة ((وهو ينم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدقيقة بنفسية المتلقي وقدرته وآفاقه؛ لذلك تراه يعلن أمراً، ويذكر آخر، يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى، يسأل ويجيب، بل قد يأتي بالفكرة الواحدة على أنحاء مختلفة))[١].

ومن ثم تمثل الاستعارة عملا ذهنيا تداوليا يوظفه المتكلم في خطابه بغية التقريب بين الأشياء لتكون بيِّنة عند المتكلم ومن ثم يشركه في الخطاب ويستميله الى التصديق بفكرته التي عمل على إخراجها بوساطة اللغة وصولا الى إقناعه.

والاستعارة تكررت في مواضع كثيرة من جوابات الإمام [٢]؛ لأنها ((أدعى من الحقيقة لتحريك همة المستمع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها))[٣]، من ذلك قوله(عليه السلام)، الذي يجيب به على من نعته بالخوف من مجابهة الموت أو الشك في قتال أهل الشام وذلك في واقعة **صفين** بعد أن ملك وجيشه الماء وسمح لأهل الشام المشاركة فيه ثم مكث(عليه السلام) أياما لا يرسل إلى معاوية أحدا ولا يأتيه من عنده أحد، فقال له أهل العراق: ((يا أمير المؤمنين خلفنا نساءنا وذرارينا بالكوفة وجئنا إلى أطراف الشام لنتخذها وطنا فأذن لنا في القتال فإن الناس يظنون أنك تكره الحرب كراهية الموت ومنهم من يظن أنك في شك من قتال أهل الشام))[٤]، فما كان منه إلا أن أجابهم(عليه السلام) بقوله: ((**أَمَّا قَوْلُكُمْ: أَكُلَّ ذلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ! فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا**))[٥]، فقد كانت الشبهات التي أثيرت من القوم تتمثل في **وجهتين**: الأولى هي خوف الإمام(عليه السلام) من الموت وكراهيته له، والثانية هي شكه في قتال أهل

---

[١] مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ع٩، ٢٠١٣م : ٢٧٥ .

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٧٩/١، ١٧٢، ٢٨١/٢، ٣٤١/٣، ٣٤٥، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٥، ونهج السعادة: ٢١١/٩، ومصباح البلاغة: ٢٠/٢.

[٣] اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن المركز الثقافي العربي : ٣١٢.

[٤] بحار الانوار: ٥٥٧/٣٢.

[٥] نهج البلاغة:٧٩/١.

الشام وقد فنَّد الإمام(عليه السلام) هاتين الشبهتين بحجج قاطعة استعان في إثباتها بأسلوب **(الاستعارة)** إذ ردَّ الشبهة الأولى بقوله(عليه السلام): **((فَوَاللهِ مَا أُبَالِي دَخَلْتُ إِلَى المَوْتِ أَوْ خَرَجَ المَوْتُ إِلَيَّ))**، فقد شَبَّه الموت بالكائن الحي، الذي يُدخَلُ عليه أويُخرج قصد تقريب المعنى الى المتلقي وترسيخه في ذهنه فلو قال تجوزا: **(لا أخشى الموت)** أو غير ذلك لما كان له وقع في النفس مثل الأثر الذي يتركه قوله(عليه السلام)، الذي تخللته الاستعارة إذ حذف المشبه به وذكر شيئا من لوازمه، وهي الحركة في قوله: **(خرج)** على سبيل الاستعارة المكنية، فقد أراد(عليه السلام) أن يبين للمدعي أو المتَّهِم بأنه لم يخشَ الموت يوما ولم يفر منه ولم يرد في سيرته ما يشعر بمثل هذا فقد دلَّت على ذلك أفعاله قبل أقواله

أما الشبهة الثانية التي تمثلت في رمي الإمام(عليه السلام) بتهمة الشك في قتال أهل الشام فقد فنَّدها(عليه السلام) أيضا متخذا في ذلك الأسلوب الاستعاري بقوله: **((فَوَاللهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلاَّ وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي، وَتَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي فهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلالِهَا، وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا))**، ففي جوابه(عليه السلام) هذا استعارتان حجاجيتان الأولى تجلَّت في قوله: **(مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً)**، والثانية في قوله: **(وَتَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي)**، إذ احتج عليهم بأنه لم يتوانَ عن قتال أو يدفع حربا يوما إلا كان من وراء ذلك غايات وأهداف غائبة عنهم، فكأني به يقول(عليه السلام):((متى كنت كارها للحرب قط إن من العجب حبي لها غلاما ويفعا وكراهيتي لها شيخا بعد نفاد العمر وقرب الوقت))[1].

فقد ورد تشبيه الحرب بالشيء الماديّ الملموس، الذي يمكن أن يتحرك ويُدفع فحذف المشبَّه به وذكر لازمة له ألا وهي الحركة، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله(عليه السلام): **((تَعْشُوَ إِلى ضَوْئِي))** استعارة أيضا إذ شبَّه الإمام من قد يهتدي ويتعقل ويعود الى رشده من أهل الشام فيلحق به بالذي يعشو ليلا إلى النار على سبيل الاستعارة التصريحية، وقد استعمل(عليه السلام) الفعل**(تَعْشُوَ)** من دون سواه لما له من إشارة غاية في الدقة تتجلى في أن بصائر أهل الشام ضعيفة من الاهتداء بهداه فحالهم في ذلك كحال من يعشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل فقد أغلقوا عيون قلوبهم عن الحقيقة وركنوا الى أهوائهم ورغباتهم فكانت ضلالتهم أقوى من هداية أحدهم وبحسب هذا قال(عليه السلام) **(تَعْشُوَ)** للإشارة إلى

---

[1] **شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ١٣/٤.**

ضعف بصيرتهم غير أنه على الرغم من هذا فهو أحب إليه(عليه السلام) من قتل الضالّ على ضلالته وإن كان إثمه يعود على نفسه من دون سواها[١]، وفي ذلك تتجسد لنا قمة الإنسانية والرحمة، التي كان عليها إمامنا أمير المؤمنين(عليه السلام).

ومن ثمَّ كانت النتيجة الحاصلة عن الحجج المذكورة تكمن صبر الإمام والسعي الحثيث الى حقن الدماء ما استطاع الى ذلك سبيلا رغبة منه في انصلاح حال القوم واهتدائهم الى طريق النور من دون اللجوء الى قوة السلاح.

د.الكناية:

وهي((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلـــــــــــــى المتروك))[٢]، فهي تقوم على الإشارة إلى موضوع باسم موضوع آخر يستمد منه ذاته أو وجوده أو طريقة وجوده[٣]، فالمتكلم حين يستعمل الكناية فإن لكلامه معنيين؛ معنى ظاهريّ حرفي مستفاد من الدلالة الحرفية المتواضع عليها للعبارة، ومعنى خفيّ، وهو ما يسمى بمعنى المتكلم، والذي يعبر عن قصد المتكلم من إيراد العبارة اللغوية، ويفرض المقام أهميته على العبارة.

تُعد الكناية من الأساليب البلاغية التي تسهم في تعميق الفكرة زيادة على إضفائها على المعنى جمالا ورونقا يؤثر في النفس إذ للتعبير الكنائي القدرة على استيعاب البعد التلميحي للخطاب؛ لأنها تستلزم من المتكلم عملا ذهنيا، وفتح باب التأويل عند المرسل إليه، وتوظيف البعد الثقافي الذي يقوم على استدلال عكسي، أي الاستدلال بما مضى في الزمان، وشاع بين الناس التعامل على وفقه.

ومن هنا فإن حجاجية الكناية تكمن في مدى التأثير الذي تتركه ألفاظها في نفس السامع أو المخاطب واستمالته الى الموضوع الذي يُلقى عليه والنتائج المترتبة على ذلك التأثير، وقد وظف

---

[١] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٤/١٣-١٤.

[٢] مفتاح العلوم: ٥١٢

[٣] ظ: بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، ربيعة العربي:٦.

الإمام(عليه السلام)هذا الرافد الإقناعي المهم في جواباته[1]، نحو حديثه عن المحب والمبغض لآل البيت **(عليهم السلام)** ردا على من سأله كيف أمسيت يا أمير المؤمنين؟ فقال(عليه السلام): ((**أَمْسَيْتُ مُحِبّاً لِمُحِبِّنَا وَمُبْغِضاً لِمُبْغِضِنَا فَأَمْسَى مُحِبُّنَا مُغْتَبِطاً بِحُبِّنَا بِرَحْمَةٍ مِنْ الله يَنْتَظِرُهَا، وَأَمْسَى عَدُوُّنَا يُؤَسِّسُ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفِ هَارٍ فَكَأَنَّ ذَلِكَ الشَّفَا قَد أَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّم**))[2]، ففي قوله(عليه السلام) هذا صورة كنائية استعارها من القرآن الكريم إذ قال تعالى ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ **سورة التوبة، من الآية: ١٠٩**، استعمل في جوابه أسلوبا بلاغيا تمثل بالكناية إذ كنى عن الهالك بالذي يشيد بناءه على أساس ضعيف وأراد من ذلك الإقناع من جهة وحمل المتلقي على التفكر بالصورة الملقاة إليه من جهة أخرى بغية التوضيح له وانجلاء المعنى لديه ففي ذلك دعوة الى إعمال الذهن من أجل فهم المعنى أو العلاقة التي تربط بين الهالك الذي يبني بنيانه على شفا جرف هار؛ لأن المراد بقول الإمام(عليه السلام) :(**يُؤَسِّسُ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفِ هَارٍ**)، أي الذي يقيم بناءه على طرف النهر أو طرف البئر التي جَرَفَ الماء ما تحتها وأن ذلك الجرف أضحى متهدما أو مشرفا على الانهدام[3]، ومن ثَمَّ فالذي يقيم بناءه على أساس ضعيف متهالك تكون نتيجة ذلك البناء السقوط لا محالة وقد ماثل الإمام(عليه السلام) بين هذه الصورة وصورة المعادي المبغض لآل البيت **(عليهم السلام)** فمن ينصب العداء لهم ويبغضهم ويحاربهم بالقول والفعل فإن مآله وعاقبته تكون واضحة وضوح الشمس ألا وهي السقوط والهلكة ومن ثم كانت المحاججة التي ذكرها الإمام(عليه السلام) أوقع في النفس بحسبان التمثيل عليها وعقد المقارنة بين الصورة الكنائية والمعنى الأصلي المستتر.

---

[1] ظ: على سبيل المثال: نهج السعادة: ٩٣/١، ١٧٢، ٢٣١/٢، ٢٤٣، ٢٨١، ٤١٤/٣، ومستدرك نهج البلاغة: ٤٧، ١٩١، ونهج السعادة: ٢٤٤/١، ١٥٣/٢، ٣٦٤، ٣٠/٥، ٦١٧/٩، ومصباح البلاغة: ٧٣/١، ٣٠٤، ٢٥٣/٢.

[2] نهج السعادة: ٥٨/٩.

[3] ظ: بحار الانوار: ٢٥٤/٢١

هـ.البديع:

يستعمل المتكلم في خطابه أشكالا لغوية، تصنف بأنها أشكال تنتمي إلى المستوى البديعي، وقد عرَّفه **القزويني(ت٧٣٩هـ)** بأنه: ((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة))[١].

وتأسيسا على هذا يتضح بأن علم البديع يهتم بجماليات الكلام من جهتي معناه، ولفظه، ولا يقف اهتمامه على حدود هذه الوظيفة الشكلية، بل إنَّ له ((دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد))[٢]، ولعلم البديع أساليب وصور شتى كان لجزء منها حضور في جوابات الإمام، ومن ذلك:

- **السجع:**

يعرّف السجع بأنّه تواطؤ الفواصل في النثر والشعر على حرف واحد، والأصل فيه الاعتدال في مقاطع الكلام [٣]، ومن الأمثلة الواردة عليه في الجوابات[٤] قول الإمام(عليه السلام)، الذي خاطب به أخاه **عقيلا** بعد حادثة الكي المشهورة: ((**يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَار سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ أَتَئِنُّ مِنَ الاَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً**))[٥]، إذ كان **عقيل** قد أتى الى أمير المؤمنين(عليه السلام) وطلب منه شيئا من البُرِّ بعد أن أصابه الفقر وأضحى صبيانه في حال يُرثى لها غير أن الإمام(عليه السلام) لم يكن بحسب ما تمنى عقيل بل قابله بالرفض القاطع حتى وصل الى أن يحمي له حديدة ويكويه بها عن أن يعطيه أكثر من استحقاقه من البُر فضج عقيل من ألمها ثم جاء جواب الإمام(عليه السلام)، الذي وظف فيه أسلوب السجع ليضفي عليه شيئا من النغم والإيقاع والتناسق، الذي تمثل في حرف الروي، الذي تنتهي به الكلمات فضلا عن قوة الحجيّة ومن ثمَّ يكون لتلك الكلمات المؤلفة للجمل وقع في نفس السامع. ونجد أن السجع في جوابه

---

[١] الإيضاح في علوم البلاغة،: ٣٤٨.

[٢] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٤٩٨.

[٣] ظ: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تح: أحمد الحوفي وبدوي طبانة:١٩٣-١٩٦.

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣٧/١، ١٧١، ٤٥٠/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ٤٧، ونهج السعادة: ١٣٠/١، ١٠٧/٣، ٢٣/٩، ٢٦١، ومصباح البلاغة: ٢٩٣/٣.

[٥] نهج البلاغة: ٣٢٠/٢.

اشتمل على نوع من التناظر بين الكلمات إذ لم يقل(عليه السلام): ((إنسان لأنّه يريد أن يقابل هذه اللّفظة بقوله جبّارها))[1]، فكان التقابل قد حصل في هذه الجمل بين الكلمات(**أَحْمَاهَا ــ سَجَرَهَا**)، و(**إنسانها ــ جبارها**)، و(**لِلعِبِه ــ لغضبه**)، فكانت هذه الألفاظ المسجوعة أكثر انسجاما وتناسقا منه لو غيَّر في أواخرها وفضلا عن التقابل السجعي بين الكلمات فقد جاء التماثل في نهاية أواخر الكلمات في الجمل ونلحظ ذلك في (**أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ،ــ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ**)، وكذلك (**أَتَئِنُّ مِنَ الاَذَى وَلاَ أَئِنُّ مِنْ لَظىً**) يزاد على هذا التقابل في السجع جاء الوصف دقيقا ومخيفا في آن معا إذ النار التي يحميها الإنسان في الدنيا للقيام بأغراضه غير تلك النار التي أعدَّها الله(سبحانه وتعالى) للكافرين تلك النار التي لا تقاس بنار الدنيا ولا تقاربها[2]، إذ وصفها الله (عزوجل) بأوصاف مهولة في القرآن الكريم فالإمام(عليه السلام) يخبر عقيلا بأنك ((إذا كنت تئنّ من أذى نار الدّنيا وألمها على ضعفها وحقارتها فكيف لا أئنّ من نار الآخرة الّتي وقودها النّاس والحجارة على شدّتها وقوّتها))[3].

وقد انتقل الإمام(عليه السلام) من استعمال المقطع(**ها**) في الجملتين الأوليتين، الذي فيه مد للصوت، الأمر الذي يجعله يشتمل على التنبيه ولفت النظر الى الألف المقصورة في (**أذى ــ لظى**) إذ تحول الى إيقاع وروي آخر بحسبان طبيعة الموقف وما يطلبه من استعمال من جهة ورغبة في التنويع من جهة أخرى حتى لا يبقى المتلقي متصلا بنمط واحد فيسهو أو يُصرف ذهنه فجاء التلوين بغية بقاء المُخاطَب متواصلا مع النص فضلا عن اختلاف المقام إذ في الجملتين الأوليتين كان عود الضمير على النار في حين كان مدار الحديث في الجملتين التاليتين على الأذى والالم الذي تحدثه النار نفسها.

ومن ثمَّ كان الحجاج، الذي يستوحى من جواب الإمام(عليه السلام) مؤدى بأكثر الكلمات تأثيرا وإقناعا وحجية باستثمار أسلوب السجع الذي أضفى على الكلام تناسقا نغميّا مؤثرا أسهم في تقوية الحجج وترصينها فكان تأثيرها من وجهتين: عقلية ووجدانية في آن معا.

ومن ثمَّ كانت الحجة المستوحاة من جواب الإمام(عليه السلام) هي دعوة عقيل الى الترفع عن فعل الأشياء التي تجره الى نار جهنم على حين تكمن نتيجة الحجاج في عدم إعطاء الإمام لعقيل

---

[1] منهاج البراعة (الخوئي): ١٤/٢٦٥.

[2] ظ: شرح نهج البلاغة(الموسوي): ٤/٥٢.

[3] منهاج البراعة (الخوئي): ١٤/٢٦٥.

أكثر مما يستحق على الرغم من القرابة التي بينهما ذلك الوتر الحساس الذي عول عليه عقيل كثيرا.

- **الطباق:**

ويُعرف بأنه: الجمع بين الشيء وضده في الكلام، مع مراعاة التقابل[١]، وهو من المحسنات البديعية الذي يضفي على الكلام رونقا وجمالا ويعد كذلك حجة مستحصلة من المتضادات ومن ثمَ فهو تقنية إقناعية ومثله في جوابات الإمام(عليه السلام)[٢] قوله لرجل أفرط في مدحه بلسانه وأفرط في اتّهامه بنفسه: **((أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وفَوْقَ مَا فِي نَفْسِكَ))**[٣]، ففي جوابه(عليه السلام) إشارة الى ترك مدح الآخر والتملّق له بما ليس فيه بغية الوصول الى منافع أو غايات تكمن في النفس وأن يكون ما يظهره الإنسان مماثلا لما يضمره في نفسه للآخرين فلا يضع شريفا ولا يرفع دنيئا.

لقد كان ذلك المُثني على الإمام(عليه السلام) منافقا إذ مدحه بصفات بالغ فيها بصورة كبيرة وقد كان يخفي في قلبه ونفسه غير الذي ذكره لسانه لمآرب كان يتوخاها ومن ثمَّ تجلّى في جوابه أمران: **الأول:** إباء المدح وإظهار التواضع الذي عُرف به و**الثاني:** يظهر في إخبار هذا المُثني عمّا في نفسه من النفاق والرغبة في إرشاده عَلَّه ينيب إلى الحقّ ويتبع الصدق فيقلب للشيطان ظهر المجن[٤].

وقد توخّى الإمام(عليه السلام) في ردّ أباطيل ذلك المدّاح توظيف أسلوب الطباق بين الظرفين **(دون ــ فوق)** وقد أوضح لنا هذا التقابل بين الظرفين أن التصور الذي كان عليه هذا المنافق هو غير تلك الصورة الحقيقة، التي عليها الإمام(عليه السلام) في الواقع إذ تمثل تصوره في اتجاهين: **الأول** هي التصور الكامن في النفس، الذي فيه بخس للحقيقة الموضوعية المتمثلة بالإمام(عليه السلام) **والاتجاه الآخر** هو ما يظهره اللسان كذبا وزيفا غرضه التملّق لا أكثر، وفي كلتا الحالين يوجه

---

[١] ظ: كتاب الصناعتين:٣٠٧، و٣٣٧.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٤٥، ٦٢، ٩٧، ٢/٢٤٣، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٥، ١٦٧، ٢٤١، ٣٩٥، ونهج السعادة: ١/١٩٤، ٣/١٠٨، ٥/٣٠-٣١، ٩/٦٩٥، ١٠/٣٥٨، مصباح البلاغة: ٣/٢٦٠-٢٦١، ٢/١٢٧.

[٣] نهج البلاغة: ٤/٤٤٤.

[٤] ظ: منهاج البراعة(الخوئي): ٢١/١٤٥.

الإمام بوساطة جوابه هذا النقد الذي يُعرّي الإنسان، الذي ينظر إلى الأشياء نظرة غير موضوعية لمعرفة حقيقتها بحسب ما هي عليه في الواقع، ولاسيما شخصية الإمام علي(عليه السلام)، التي كثيرا ما نظر إليها الناظرون نظرة ذاتية تؤدي إلى فساد العقيدة؛ لأنها لا تقوم على أساس عقلي متين من ذلك وصف الإمام(عليه السلام) بأوصاف يشوبها الغلو والمبالغة، تضعه بمنزلة تفوق منزلة البشر وتعتلي عليها، حتى يصوره بعضهم ويسمه بصفات الألوهية، وهذا كفر. وأن ما يمليه العقل على الإنسان هي النظرة الموضوعية، التي تضع الأشياء في مواضعها من دون زيادة أو نقصان.

وقد ورد جواب الإمام(عليه السلام) منمّقا بالحجة الدامغة المقرعة للمخاطَب، والتي تتمثل فـــــي

تعجيز المخاطَب من توصيف الإمام مهما جهد نفسه في ذلك ومن ثمَّ لم يعد يحري جوابا لانجلاء أباطيله وكذبه وانكشاف زيفه وقد أعطى أسلوب الطباق الحجة قوة ورصانة وتثبيتا.

على حين تمثلت النتيجة في الإشارة المبطنة التي حملها الجواب والتي تشير الى عدم إجهاد النفس في مدح الأشخاص تملقا مما يودي بها الى الغلو والخروج عن الموضوعية.

- **الاقتباس والتضمين:**

الاقتباس: هو أن يضمّن الكلام نظما أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف تزيينا لنظامه،وتفخيما لشأنه، لا على أنّه منه[1]، وبحسب هذا عُدّ من الآليات الحجاجية، التي يعمد إليها المتكلم، من أجل ترصين كلامه؛ ليكون أكثر إقناعا في المُخاطَب؛ لأن حجية القرآن الكريم أو الحديث الشريف يمثلان القدح المعلى التي، لا تدانيهما حجة.

فمن احتجاج الإمام(عليه السلام) بالقرآن الكريم[2] قوله:((**وَيْحَكُم أَبَعدَ الرِّضَا وَالعَهْدِ وَالمِيثَاقِ أَرْجَعُ؟ أَوَلَيسَ الله يَقُولُ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾** سورة النحل: ٩١))[3]، فقد كان هذا النص جوابا منه(عليه السلام) على الخوارج الذين أجبروه على القبول بالتحكيم وفُرغ منها أظهر

---

[1] **ظ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين بن عمرو بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة: د. بكري شيخ أمين:٢٨٨.**

[2] **ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٢١٧/٢، ٤٨٣/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٥، ١٩٤، ١٩٥، ٣٧٧، ونهج السعادة: ٢٥٤/١، ٢٠٦/٢، ١٥٩/٤، ومصباح السعادة: ٢٠٠/٣، ٢٦٠.**

[3] **نهج السعادة: ٢٠٦/٢-٢٠٧.**

الخوارج ندما لقبولهم بها الأمر الذي دعاهم أن يطلبوا من الإمام(عليه السلام) التراجع عنها ورفضها بعد أن وقعت العهود والمواثيق وأخذوا ينادون في كل ناحية: ((لا حكم إلا الله، لا نرضى بأن نحكم الرجال في دين الله(سبحانه وتعالى)، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا الى ربنا ورجعنا عن ذلك، فارجع كما رجعنا وإلا فنحن منك براء))[1]، غير أنهم لم يجدوا منه(عليه السلام) أذنا صاغية بل استعان بالحجاج الكاشف لزيغ قصدهم ومآربهم في ذلك الإعراض والتجني، وتأسيسا على هذا لاقى طلبهم بالرفض التام إذ قابلهم(عليه السلام) بعبارة **(وَيْحَكُم)**، فضلا عن الإستياء وتأسيسا على هذا كان الرد الذي ((أفصح به الإمام(عليه السلام) يقوم بوظيفة التبصرة لما أشكل فهمه وتداخل على السائل، بمسلك انتقل فيه الإمام من الإنكار إلى الاستدلال مصعدا نبرته الإقناعية بالاقتباس القرآني المنسجم مع واقع النص، لإحراز أكبر أثر في المخاطب))[2]، وهذه التقنية الحجاجية المتمثلة بالاقتباس القرآني تزيد كلام الإمام تمكنا ينفعل به الجمهور فيضاعف اعتقاده ((وهذه الوظيفة ضرورة من ضرورات الحجاج الفاعل لأن الحجاج في أصل مفهومه دائر على هذه الوظيفة))[3] فضلا عن أن الخوارج قد رفضوا كل شيء إلا القرآن الكريم فقد جعلوا الحكم موقوفا على الله(سبحانه وتعالى) وقد استثمر الإمام(عليه السلام) هذا الجانب فاحتج عليهم بما يؤمنون به ويأخذون بأحكامه بغية أن يكون استدلاله ذا تأثير بالغ فيهم فجاءت الحجة من سنخ ما يؤمنون به. علهم يتوبوا الى رشدهم ولما وجدوا أن الدليل الذي حاججهم به الإمام(عليه السلام) دليل رصين ومتين ولا مكان معه للرد أخذتهم العزة بالإثم فتبرؤوا من الإمام(عليه السلام) وما كان منه إلا ان تبرأ منهم.

وأما الاقتباس من الحديث الشريف[4] فأضرب له مثالا فيما وظفه الإمام(عليه السلام) من كلام لرسول الله**(صلى الله عليه وآله)** وذلك في أحد كتبه التي أرسلها الى **زياد بن عبيد بن ابي سفيان**، الذي يمثل أحد ولاته على البصرة إذ كان الإمام(عليه السلام) قد أرسل إليه **(سعد بن**

---

[1] نهج السعادة: ٢٠٦/٢.

[2] نفسه: ٣٢٥.

[3] الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، د. علي الشبعان: ١٧٥.

[4] ظ: على سبيل المثال: نهج السعادة: ٤١٣/١، ٩٦/٢، ١٥١/٥، ٥٢٢/١١.

الحارث)[1] ابتداء يحثه على حمل مال البصرة الى الكوفة وكانت بين زياد وسعد منازعة فشتمه زياد ولم يستجب لطلبه فعاد سعد وأخبر الإمام(عليه السلام) بذلك، فما كان من الإمام(عليه السلام) إلا أن بعث له بكتاب يقول فيه: **((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ سَعْداً ذَكَرَ أَنَّكَ شَتَمْتَهُ ظُلْماً، وَهَدَّدتَهُ وَجَبَهْتَهُ تَجَبُّراً وَتَكَبُّراً، فَمَا دَعَاكَ إِلَى التَّكَبُّرِ وَقَد قَالَ رَسُولُ الله(صلى الله عليه وآله): (الكِبرُ رِدَاءُ الله، فَمَن نَازَعَ الله رِدَاءَهُ قَصَمَهُ)، وَقَد أَخْبَرَنِي أَنَّكَ تُكثِّرُ مِنَ الأَلوَانِ المُخْتَلِفَةِ فِي الطَّعَامِ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ، وَتُدَّهِنُ كُلَّ يَوْمٍ، فَمَا عَلَيْكَ لَو صِمْتَ لله أَيَّاماً، وَتَصَدَّقْتَ بِبَعْضِ مَا عِنْدَكَ مُحْتَسِباً، وَأَكَلتَ طَعَامَكَ مَرَارَاً قَفَارَاً، فَإِنَّ ذَلِكَ شِعَارِ الصَّالِحِينَ أَفَتُطْمِعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ؟! تَسْتَأثِرُ بِهِ عَلَى الجَارِ وَالمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ وَالفَقِيرِ وَالأَرْمَلَةِ وَاليَتِيمِ، أَنْ يُحْسَب لَكَ أَجْرَ المُتَصَدِّقِينَ وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ الأَبْرَارِ، وَتَعْمَلَ عَمَل الخَاطِئِينَ، فَإِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فَنَفْسُكَ ظَلَمْتَ، وَعَمَلُكَ أَحْبَطْتَ، فَتُب إِلَى رَبِّكَ يُصْلِحُ لَكَ عَمَلُكَ، وَاقتَصِد فِي أَمْرِكَ، وَقَدِّم إِلَى رَبِّكَ الفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، وَادَّهِن غِبَّاً، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله(صلى الله عليه وآله) يَقُولُ: (ادّهِنُوا غِبَّاً وَلَا تَدَّهِنُوا رِفْهَاً)))**[2]، فقد أتى جواب الإمام(عليه السلام) مشتملا على حجج تتمثل بتوظيف الحديث النبوي الشريف، وذلك في موضعين من كلامه أما **الأول:** فقد بين فيه صفة المتكبر وعاقبته؛ لأن صفة التكبر موقوفة على الخالق فهو الجبار المتكبر فحسب، ولا يجوز أن يتصف بها مخلوق؛ لأن الإنسان مهما بلغ به الزهو والتعالي بالنفس فإنه يبقى خاضعا لحقيقة حقة تتجلى في ضعفه ودناءته وحاجته لله (عز وجل) وإذا ما أراد أن يتعدى حدود الله(سبحانه وتعالى) وينسب نفسه لصفة خُص بها الله(سبحانه وتعالى) فأنه سوف لا يجد له خصيما سوى الله وقد بين الرسول(**صلى الله عليه وآله**) في حديثه هول الصورة وشدتها بقوله: **(فَمَن نَازَعَ الله رِدَاءَهُ قَصَمَهُ)** إذ استعمل الفعل قصم من دون الكسر أو سواه؛ ليوضح شدة ذلك الفعل ويبين خطورته؛ لان القصم ليس كسرا فحسب. بل هو كسر من انفصال[3].

وأما **الثاني:** فنجده قد ختم به الإمام(عليه السلام) جوابه فبعد أن حاور عبيدا حول التنعم في المأكل والملبس ورفاهية العيش من دون الشعور بالفقراء واليتامى والأرامل وغيرهم من الطبقات

---

[1] هو سعد بن الحارث بن الصمة أنصاري خزرجي كان مولى للإمام علي(عليه السلام) وقد صحب النبي (صلى الله عليه وآله) وشهد صفين مع علي(عليه السلام) وقتل فيها(ظ: أعيان الشيعة: ٢٢١/٧).

[2] نهج السعادة: ١٥١/٥-١٥٢.

[3] ظ: لسان العرب، (قصم): ١٩٧/١١.

المستضعفة الفقيرة فضلا عن الأقوال المنمقة الجميلة والأفعال الدنيئة التي لا تتماشى مع تلك الأقوال أورد حديث الرسول(**صلى الله عليه وآله**)؛ ليكون حجة ودليلا يعينه في خدمة مذهبه فقد أراد تنبيه المخاطَب في المقام الأول على انغماسه في متاهات الغفلة فضلا عن لفت النظر الى مسألة غاية في الأهمية يغفلها جُل المسؤولين، وهي أن يكون المسؤول أو الحاكم موضوعيا منصفا في تمتعه بالملذات المختلفة وعلى وفق حاجته وألّا يستغل منصبه فيسرف فيها إسرافا مبالغا فيه يكون به ظالما لكثير من الطبقات آكلا فيه حقوقهم وما أوجب الله (ﷻ) لهم عليه.

لقد أراد الإمام(عليه السلام) من توظيف كلام الرسول(**صلى الله عليه وآله**) فـــي جوابه إحداث فعل كلام مؤثر في المخاطب؛ لتوعيته بما يحدق به من مخاطر، إذ حاول الإمام(عليه السلام) أن ينقل الحديث الشريف من دلالته العامة إلى دلالة قصدية محددة نحو مخاطب محدد، وهو يقرأ الكتاب المُرسل إليه، وعلى نحو غير مباشر سعى الإمام(عليه السلام) بكتابه أن يشخّص مواطن الخلل والتقصير للمخاطب، ثم بيّن له بفعل الحديث الشريف النتائج التي تترتب على هذا الخلل بأسلوب يجعل السامع يراجع أفعاله وأقواله التي يكون قد غفل عنها أو خُيِّل إليه أنه يفعل ما هو بخلافها على نحو الإيجاب فكان في الحديثين دعوة لزياد بأن يأخذ بالنصيحة ويراجع نفسه كل ذلك كان مؤداه الحجاج بالحديث النبوي الشريف.

واما التضمين: فلا يختلف التضمين عن الاقتباس من حيث الغرض أو الإفادة التي يضفيها على الكلام سواء أكانت تلك الإفادة جمالية أم حجاجية أم سواهما إلا أن هناك جملة من البلاغيين قد قصروا التضمين على الأدب شعرا ونثرا[1]، وقد وظف الإمام(عليه السلام)الشعر والمثل في جواباته محافظا على صيغهما الأصلية من دون تغيير مستعملا إياها لتقوية حجته ورد أباطيل المُخَاطب وإفحامه[2]، ومن ذلك جوابه(عليه السلام) على معاوية موظفا فيه الشعر، إذ يقول: **((وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ ذلِكَ كَذلِكَ فَلَيْسَ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ**

---

[1] ظ :كتاب الصناعتين :٣٦، وبديع القرآن، تح: حفني محمد شرف :٥٢/٢ ، والتبيان في علم المعاني والبديع والبيان، : شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تح: د. هادي عطية مطر الهلالي: ٤١

[2] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٩٣/١، ٢١٧/٢، ٣٧٧/٣، ٤١٩، ونهج السعادة: ٢٠٠/٢، ٧٨/٤، ومصباح البلاغة: ٣٠٠/١، ٢٩٣/٣.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[1]

ففي جوابه(عليه السلام) هذا أورد عجزا من بيت يعود **لأبي ذؤيب الهذلي**، وهو:

وعيَّرها الواشون أنّي أُحِبُها وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[2]

ولكنَّ الإمام(عليه السلام) لم يورد البيت كاملا في احتجاجه، لما يتطلبه الموقف إذ كان الشطر الثاني منه موافقا لموقف الحال أو المقام، وهو ((مثل يُضرب لمن ينكر امرا ليس منه في شيء ولا يلزمه دفعه))[3]. وكان معاوية قد رمى الإمام(عليه السلام) بتهمة الحسد للخلفاء والبغي عليهم وقد أفحمه الإمام(عليه السلام) بجواب يمثل الدقة في قمتها وعلوها فكان من ذلك أنه(عليه السلام) استعمل الحرف **(إن)** من دون **(إذا)** على سبيل المثال؛ لأن الأول يدخل على الجمل الظنية غير متوقعة الحدوث وفي ذلك إشارة من الإمام(عليه السلام) الى كذب معاوية في مرماه وأن الحسد والبغي لم يقعا أصلا وقد أسند(عليه السلام) الى التدليل جانبا آخر، وهو أنه لو تم الافتراض جدلا صدق معاوية في ما ذهب إليه فهو ليس طرفا في الأمر فلم تقع عليه جناية فيتم الاعتذار له فمن باب أولى أن ينتهي عن الذم والعيب والخوض في أمور لا ناقة له فيها ولا جمل.

ومن ثَّم فقد أراد الإمام(عليه السلام) من الاستشهاد بالشعر في جوابه أن يدحض ادعاء معاوية ويُسكته من جهة ويبين بأن هذا الأمر لم يقع على معاوية ولم تكن له صلة به من جهة ثانية حاله في ذلك حال صاحبة أبي ذؤيب، فقد عيَّروها بحبه لها، وهو أمر غير واقعي، والحق أنه لا يحبها أصلا علاوة على أن الإتيان بالشعر ملابسا للخطاب يمنحه درجة عالية من الفعل الحجاجي زيادة على التأثير في خيال المتلقي[4]، ومن ثَّم فإن الشعر يمثل ((ركنا ودعامة تعاين كما وتحدث فعلا إذ لا يكاد مقام من مقامات الاحتجاج يكون تصويبا لرأي أو نفيا لتصور أو تعميما لرؤية إلا ويطلب فيها الشعر قاعدة تدعيم أو مبدأ يقوم))[5] .

---

[1] نهج البلاغة: ٣/٣٥٧.

[2] ديوان الهذليين، تح: محمد محمود الشنقيطي:١/٢١.

[3] بحار الانوار: ٣٣/٧١.

[4] ظ: تقنيات الحجاج في نهج البلاغة، د. مؤيد آل صوينت (بحث منشور): ١٥.

[5] الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: ١٦٩.

ومن توظيفه للمثل بوصفه أداة حجاجية تزيد الكلام قوة ورصانة فضلا عن توشيح نصه بثقافته اللغوية الأولى ومخزونه الدلالي العتيق، الذي يصب في الحقل البياني نفسه[١] قوله(عليه السلام) بعد أن بُويع بالخلافة فطلبوا منه الثأر لعثمان: ((**إِنَّ النَّاسَ مِنْ هذَا الأَمْرِ – إِذَا حُرِّكَ – عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وَفِرقَةٌ تَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لاَ تَرَى لا هذَا وَلاَ هذَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ، وَتَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الْحُقُوقُ مُسْمَحَةً، فَاهْدَأُوا عَنِّي، وَانْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي، وَلاَ تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً وَسَأُمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ، وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ**))[٢]، فبمجرد أن تمت مبايعة الإمام(عليه السلام) خليفة للمسلمين هبت طائفة من بين المبايعين مطالبة الإمام(عليه السلام) بأن يأخذ بثأر عثمان من الذين اجتمعوا وتألّبوا ضده فقتلوه من دون التأني أو النظر في الإمكانات المتاحة، التي من شأنها أن تضعهم في منزلة من القوة والسيطرة للقيام بأمر كهذا وقد كان الإمام(عليه السلام) على دراية تامة بكل ما يحيط به من حيث ضعف أصحابه وانقسامهم في أمر عثمان، وقد أوضح كل ذلك في جوابه(عليه السلام) لمن طلب منه القتال فضلا عن ذلك فقد بين بأنه سيُمهل هؤلاء الناكثين للبيعة ويمسك عن محاربتهم ما أمكن ويعمد الى مراسلتهم وتخويفهم وإنذارهم رغبة منه في ردهم– بالترغيب أو الترهيب– الى الطاعة، علاوة على أن التعجل في اتخاذ القرار قد يؤدي نتائج لا تحمد عقباها إذ لا بد من التريث وتحكيم العقل فإذا لم يجد بدّا في ذلك إلا الحرب فستكون الغاية التي ينتهي بفعلها أمر العصاة[٣]، فنلحظ أنه(عليه السلام) جعل الحرب هي الخيار الأخير من دون أن يكون من أولوياته(عليه السلام) في التعامل مع هؤلاء الناكثين فقد عُرف عن الإمام(عليه السلام) من سيرته المشرفة لكل من تبعه: ((أنه ما خاض حربا، ولا شهر سيفا على أحد إلا بعد اليأس من السلم والصلح، وكان يسلك اليه كل سبيل))[٤]، وقد أورد الإمام(عليه السلام) من أجل إقناع القوم وحملهم على التحلّي بالصبر والتزامه مع ضبط النفس المثل القائل (**آخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ**)[٥]، وهو مثل يُطلق ويُراد به الأمر الذي يصلح بالشدة، وقد وظفت هذه الصورة من الإمام(عليه السلام) لتقابل صورة

---

[١] ظ: المعنى الحركي في بدائع الإمام علي، مشكور كاظم العوادي، (بحث منشور):٢٥٩.

[٢] نهج البلاغة:٢/٢٢٨-٢٢٩.

[٣] ظ: بحار الأنوار: ٣١/٥٠٥، ومنهاج البراعة(الخوئي): ١٠/٨٨، الأمثال في نهج البلاغة، محمد الغروي:١٩.

[٤] في ظلال نهج البلاغة:١/٢٠٩.

[٥] جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، وعبد المجيد قطاش:١/٩٧.

الحرب إذا امتنع الناكثون من ترك العداء ومبايعة الإمام(عليه السلام) والانضواء تحت لوائه وقد وظف المثل في جوابه(عليه السلام) بوصفه حجة يُقصد بها الإقناع، ومن ثمَّ يحمل القوم على الجنوح الى الصبر والمسالمة حتى حين.

- **التقسيم:**

ويُراد به ذكر متعدد ثم إضافة إلى كلّ واحد من أجزائه ما هو له على التعيين[١]، وهو صنف من أصناف البديع التي تعمل على تشويق المتلقي وتنشيط ذاكرته[٢] بجعله متصلا مع الخِطاب متشوقا لما سيُذكر من تفرعات متصلة بالأصل المُتحدث عنه بروابط عقلية منطقية.

ونلحظ ورود هذا النوع من البديع في غير موضع من جوابات الإمام(عليه السلام) حيث أدى في موقعه وظائف دلالية وجمالية فضلا عن وظيفة الإقناع والتأثير[٣]، من ذلك ردَّ الإمام(عليه السلام) على أهل الكوفة المتخاذلين؛ لتبيين حقيقتهم وما لقي منهم إذ يقول: **((يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ، مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاثٍ واثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وبُكْمٌ ذَوُو كَلامٍ، وعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ، لا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاءِ))**[٤]، فالسامع بمجرد ما يتوارد على سمعه(**مُنِيتُ مِنْكُمْ بِثَلاثٍ واثْنَتَيْنِ**) سيكون متهيئا ومتطلعا لما سيقوله الإمام(عليه السلام) بعد ذلك، ويعمل على ملاحقة الكلام لمعرفة ما يكشف عنه التعداد(**٢,٣**) لينتقل بعد ذلك من الخاص المبهم الى العام المفصل ونلحظ في جواب الإمام(عليه السلام) أنه فرق بين الثلاث(**صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ، وبُكْمٌ ذَوُو كَلامٍ، وعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ**) والاثنتين(**لا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، ولا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلاءِ**) ولم يجمع بينهما فيقول بخمس على سبيل المثال وهذا أمر منطقي طبيعي لأن الثلاث التي ذكرها(عليه السلام)، هي صفات محمودة على حين أن الاثنتين كانت غير محمودة[٥]؛ فامتلاك القدرة على السمع والنطق والنطق والكلام ليس عيبا في أصله بل العيب في توظيف تلك الحواس من حيث صرف السمع عن صوت الحق والسكوت عن الباطل وغض الطرف عن رؤية الحقيقة الصادقة إذ

---

[١] ظ: مفتاح العلوم:٤٢٥، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٧٠، التبيان في علم المعاني البديع والبيان:٤٠٣.

[٢] ظ :النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج، ميلود حبيبي: ١٦٧.

[٣] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٤٣٦/٤- ٤٣٧، ومستدرك نهج البلاغة: ٢٤١، ٢٥٤، ٣٧٥، ٣٨٠، ونهج السعادة: ٢٤٦/١، ٥٣٠، ٢٢٨/٣، ومصباح البلاغة: ١٦٧/٢- ١٦٨، ٢٤١-٢٤٢.

[٤] نهج البلاغة: ١٤١/١.

[٥] شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٧٦/٧.

وصفهم(عليه السلام) بالصفات المتضادة نتيجة عدم أخذهم بالتعاليم والمواعظ، فهم بمنزلة من لا يستفيد بحواسّه على حين أن الفرار من ميادين القتال عند اللقاء كفرار العبيد وخيانة المواثيق الأخوية وعدم التعاون عند البلايا هو العيب نفسه، هذا من جهة ومن جهة أخرى نلحظ ((إنّ الثلاث من واد والاثنتين من آخر، وفي مثله مقتضى البلاغة أن يفرّق بينهما))[1]، ومن ثم كان التفريق بينهما من طريقين: **الأول** عقلي منطقي، و**الآخر** بلاغي جمالي.

من هنا نلحظ أن الإمام(عليه السلام) قد وظف أسلوب التقسيم في جوابه لفعل تداولي قصدي يظهر في تقريع أهل الكوفة وتوبيخهم بالكشف عن حقيقتهم وإعراضها عليهم حتى لا يتبادر الى أذهانهم بأن ما يضمروه في أنفسهم وما يظهروه علنا مغفول عنه بل الإمام(عليه السلام) على يقين به وبحسب هذا كان جوابه أو ردُّه حجة عليهم كشفت حقائقهم وما قد يكونون متغافلين عنه أو متناسين إياه فكانت الوظيفة الحجاجية هنا بمثابة الحافز والمنبه على الغشاوة المنطلية على الأبصار بعد أن تجاوز أسلوب الإقناع الى أسلوب التقريع؛ ليكشف لهم عن تخاذلهم وخنوعهم في الذب عن أنفسهم ونصرة دينهم، وهي صورة حية نراها تتجسد في كل زمان ومكان طالما كانت أحوال الناس وميولهم متغيرة وغير ثابتة على منهج أو مبدأ واحد.

- **العكس:**

وهو أن يُعكس الكلام، فيجعل في الجزء الأخير منه ما جعل في الجزء الأول، كأنّه يدل فيه الأول بالآخر، والآخر بالأول[2] ، ويُستشف من هذا التعريف أن العكس ذو طبيعة تكرارية علاوة على طبيعته التقابلية، لكنه تمكن من أن يفرض وجوده ضمن البديع التداولي بفعل طبيعته البنائية الخاصة، التي تعمل على مخاطبة فطنة المتلقي وذكائه، وقدرته على الكشف عن الدلالة، التي يتضمنها النص فـ((النظر الشكلي لخط الدلالة يكشف عن كونها حركة تقدمية، على معنى أن اللغة تنمو وصولاً إلى منطقة دلالية يحسن الوقوف عندها يصدق على معظم النواتج اللغوية، ولكن التأمل في بنية العكس يؤكد وجود منعطفات أو لنقل إنّها عملية توقف مؤقتة تعدل فيها الصياغة خط سيرها لتجعل خطها مزدوجاً يعتمد على(**التقديم والتأخير**) الذي تتبادله الدوال المتماثلة، وهو ما يدخله دائرة التكرار؛ لأن الذهن يتحرك إلى الإمام، فيدفع الصياغة إلى متابعته ثم يرتد إلى الوراء، فتلاحقه الصياغة أيضاً، وبين التقدم والتراجع تتوافق

---

[1] بهج الصباغة:١٠/٦٠٢.

[2] ظ: كتاب الصناعتين:٣٧١، بديع القرآن: ١١١، الإيضاح في علوم البلاغة:٢٦٥.

البنى السطحية، وتتخالف البنى العميقة))[1]، وكل هذا يتطلب من المتلقي المزيد من التعاون والنشاط الذهني للوصول الى الغرض الذي قصده المتكلم في تكراره للكلام معكوسا إذ لم يكن التكرار عبثا وإنما تكمن خلفه أغراض ودلالات يُترك فهمها وبلوغها للمتلقي بحسب ذكائه وفطنته.

وقد كان لأسلوب العكس ورود في موضع واحد من جوابات الإمام(عليه السلام) إذ اتخذه حجة يرد بها على بعضهم[2]، وذلك جوابه لمن قال له: أنت مِحْربٌ مطلوبٌ، فلو اتخذت طرفاً. فقال(عليه السلام): ((**أَنَا لَا أَفِرُ عَمَّن كَرَّ وَلَا أَكِرُّ عَلَى مَنْ فَرَّ؛ فَالبَغْلَةُ تَكْفِيْنِي**))[3]. فقد أظهر المتكلم خوفا وحرصا على الإمام(عليه السلام) نتيجة امتطائه البغلة في ميدان القتال من دون الفرس وقد كان الإمام(عليه السلام) مطلوبا من الجميع لينالوا منه بوصفه صوت الحق الناطق والامتداد الطبيعي للرسالة المحمدية التي جهد الظالمون أنفسهم من أجل إيقافها ودثرها ومن ثمَّ فقد تصور المتكلم أنَّ البغلة ليس لديها القدرة الكبيرة على الجري، الأمر الذي قد يجعل الإمام(عليه السلام) في مواقف غاية في الخطورة لكنَّ الإمام أجابه بجواب حجاجي لا يُدفع إذ مثَّل جوابه الحقيقة الساطعة التي عرفها العرب فضلا عن إبطالها إذ أخبر ذلك المتكلم بأنه(عليه السلام) ليس بحاجة الى استبدال مركوبه بالفرس؛ لأن الفرس ربما يلجأ إليه أو يمتطيه من قد يضطر الى الهرب والتقهقر من المواجهة عندما يشتد الوطيس على حين أن الإمام(عليه السلام) لم يعرف عنه طول مسيرته في الجهاد والقتال سواء أكان في حياة رسول الله(**صلى الله عليه وآله**) أم بعد وفاته أنه قد فرَّ من المعركة أو أقبل على فارٍ منها إذ كان(عليه السلام) يواجه ما عرف عنهم بفرسان قريش وجها لوجه من دون أن يعرف الغدر طريقا في مسيرته البطولية ومن ثمَّ فقد أظهر(عليه السلام) للمتكلم بصورة خاصة والسامع بصورة عامة تلك الحقيقة الناصعة لشجاعته وفروسيته وإقدامه في سوح القتال بإظهار ضمير المتكلم(**أنا**) في أول جوابه(عليه السلام) ثم عضَّده بنفي الصفتين اللتين كانت إحداهما بخلاف الأخرى (**لَا أَفِرُ عَمَّن كَرَّ وَلَا أَكِرُّ عَلَى مَنْ فَرّ**)، فلم تكن العبرة في المُمتَطى، وإنما الفخر للفارس الذي يعتليه ومن ثمّ كانت الحجة المؤدَّاة في جوابه مشتملة على أسلوب العكس الذي ضمنه في كلامه، فكان خير دليل على طمأنة المتكلم فضلا عن إسكات الأفواه، التي قد تشك بشجاعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام).

---

[1] البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب: ٣٧٨.

[2] ظ: على سبيل المثال: نهج السعادة: ٣١٢/٥، ٥٧٩/٩، ٢٢٩/١٠.

[3] نهج السعادة: ٢٤٩/١٠-٢٥٠.

٣.السلم الحجاجي:

وهو يفيد أن كل فئة حجاجية، يلزم أن تتشكل من حجج، تكون العلاقة اللاحمة فيما بينها علاقة ترتيبية باعتبار وجهتها وقوتها الحجاجية[١]، ويذهب **ديكرو** الى القول: ((إن أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية (لحجج) نسميه سلما حجاجيا))[٢]، ويُعرَّف السلم الحجاجي بأنه: ((عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية، وموفِّية بالشرطين الآتيين:

أ. كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب. كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه))[٣]

فلو أردنا أن نطبّق الجمل الثلاث: **(حصل زيد على الشهادة الابتدائية، وحصل زيد على شهادة الثانوية، وحصل زيد على شهادة البكالوريوس)**، وأردنا أن نطبق هذه الجمل على السلم الحجاجي فإنها ستصل بنا في النتيجة الى كفاءة زيد العلمية على وفق المخطط الآتي:

فهذه المراتب الثلاث مثلت حججا تصب في خدمة النتيجة التي هي الكفاءة العلمية[٤].

وللسلم الحجاجي ثلاثة قوانين تمثلت في:

أ. **قانون الخفض:** ومقتضاه أنه ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه

---

[١] **ظ: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: ٢٠.**

[٢] **بلاغة الاقناع في المناظرة: ١٠١.**

[٣] **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٧.**

[٤] **ظ: في أصول الحوار: ١٠٥.**

يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[١]. ولتوضيح هذا القانون نأخذ المثالين:

- **الجو ليس باردا**
- **لم يحضر كثير من الأصدقاء إلى الحفل**

فنحن نستبعد التأويلات التي ترى أن البرد قارس وشديد (المثال الأول) أو أن الأصدقاء كلهم حضروا إلى الحفل (المثال الثاني). وسيؤول القول الأول بالآتي:

إذا لم يكن الجو باردا، فهو دافئ أو حار

وسيؤول القول الثاني بالآتي:

لم يحضر إلا القليل منهم إلى الحفل

ب. **قانون تبديل السلم:** ويُقصد به ((إذا كان القول دليلا على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله))[٢]. فلو قلنا على سبيل المثال:

- **محمد حضر فأدى الامتحان**
- **محمد لم يحضر فلم يؤدِ الامتحان**

فقبولنا الحجاج الوارد في الجملة الأولى يوجب قبولنا الحجاج في الجملة الثانية.

ت. ج. **قانون القلب:** ويُراد به ((إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول))[٣].

ولنوضح هذا بالمثالين الآتيين:

- **حصل زيد على البكالوريوس، والماجستير**
- **لم يحصل زيد على الماجستير، بل لم يحصل على البكالوريوس**

---

[١] **نفسه، وظ: اللغة والحجاج: ٢٢.**

[٢] **في أصول الحوار: ١٠٦.**

[٣] **نفسه.**

فحصول زيد على الماجستير أقوى دليل على مكانته العلمية من حصوله على البكالوريوس على حين أن عدم حصوله على البكالوريوس هو الحجة الأقوى على عدم كفاءته للحصول على شهادة الماجستير .

أ.أدوات السلم الحجاجي.

- **الأدوات اللغوية:** وتشتمل على الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية والسمات الدلالية علاوة على درجات التوكيد.

١. **الروابط النحوية:** وهي الأدوات اللغوية التي تعمل على ((الربط بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججا في الخطاب))[١]، ومن هذه الروابط: (لكن، بل، حتى، إذن، لأن، بما أن، الواو، الفاء، ثم، ...)، وتُعد هذه الروابط ((أحد المؤشرات الحجاجية التي تسند معنى من المعاني إلى المقولات التي يتلفظ بها المتكلم، وبها يوجه دفّة الحجاج بداية ونهاية، افتتاحاً واختتاماً))[٢]، وهي لا تدل على معنى في نفسها بل تكتسب دلالتها وسمتها الحجاجية من السياق الذي ترد فيه.

- لكن:

وهو حرف استدراك؛ يُفيد إثبات حكم للمحكوم عليه بعدها، يخالف الحكم الذي للمحكوم عليه قبلها، إذ لا بد من أن تسبق بكلام ملفوظ أو مقدر، ويجب في هذا الكلام أن يكون نقيضا لما بعده، أو ضدا له[٣]، وفي ميدان الحجاج تعدّ أداة حجاجية تربط بين قولين متفاوتين في القوة ففي استعماله يُزال الوهم فتكون ((كأنك لما أخبرت عن الأول بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك فتداركت بخبره عن سلب أو إيجاب ولا بد أن يكون خبر الثاني مخالفا لخبر الأول لتحقيق معنى الاستدراك))[٤]، ومن ثمَّ فإن ((الدليل الذي يأتي بعد لكن يكون أقوى من الدليل

---

[١] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٠٨

[٢] الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د.رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، ع٢، المجلد:٤٠، الكويت، ٢٠١١م: ١٠٣.

[٣] ظ: نحو اللغة العربية: ٥٧٠.

[٤] شرح المفصل، ابن يعيش: ٨/٨٠.

الذي يرد قبله وتكون له الغلبة بحيث يتمكن من توجيه القول بمجمله فتكون النتيجة التي يقصد اليها هذا الدليل ويخدمها هي نتيجة القول برمته))[1].

وقد اشتملت جوابات الإمام(عليه السلام) على جملة من النصوص، التي وظف فيها حرف الاستدراك **(لكن)**[2]، من ذلك جواب الإمام(عليه السلام) عندما سُئل عن الخير فقال: **((لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ، وَلكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ، وَأَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ اللهَ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ))**[3]، فالإمام(عليه السلام) بما ذكر من بيان ووصف للخير أراد أن يصحح بعض المفاهيم المخطوءة عند الكثير من الناس؛ لأن السائد عند هذه الكثرة أن الخير إنما يكمن في كثرة الأموال والأولاد وتعاظمهما فضلا عن ما سواهما من المظاهر التي يتفاخر بها بعضنا على بعض ضائّين بأن ذلك هو الخير نفسه على حين أن ظنهم هذا بعيد عن الخير الحقيقي الذي أراده الإسلام للبشرية عامة وللمسلمين خاصة ومن ثمَّ جاء جواب الإمام(عليه السلام) لينبِّه على كنه الخير، الذي يتفاخر به الإنسان فقد نفى أن يكون الخير موقوفا على كثرة المال والولد وإنما جعله يكمن في اتجاهات ثلاثة: **(العلم، والحلم، والعبادة الخالصة لله(عز وجل))**، وهذه الاتجاهات الثلاثة مثلت لنا سلماً حجاجيّاً متصاعداً من حيث القوة؛ لأن في العلم والتعلم الجاد وكثرته يصل الإنسان الى منزلة كريمة شريفة تجعل منه شخصاً واعياً مفكراً ممَّا يؤدي به الى أن يكون حكيماً في التعامل مع المواقف المختلفة فتأتي منزلة الحلم نتيجة لمعرفته واطلاعه وعلمه المتزايد؛ ومن ثم تأتي منزلة العبادة التي تنضوي تحتها المنزلتان السابقتان ويمكن التمثيل لها بالآتي:

ن: حقيقة الخير

الخير في دون المُراءاة والمبالغة بعبادة الله

الخير في عظم الحلم

الخير في كثرة العلم

---

[1] الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري، أبو بكر العزاوي، مجلة دراسات أدبية سيميائية، ع٧، فاس المغرب، ١٩٩٢م: ١٠٥.

[2] ظ: على سبيل المثال، مصباح البلاغة: ١٣٨/١، ٣٠٦، ١٩/٢، ٢٥٠، ٥٨/٣، ١١٦/٤، ونهج البلاغة: ٥٥/١، ١٧٢، ٢٤١/٢، ومستدرك نهج البلاغة: ١٨١، ١٨٨، ٢٠٣.

[3] نهج البلاغة: ٤٤٥/٤.

لكن

ليس الخير في كثرة المال والولد

- بل:

وهي إحدى أدوات الربط، التي تعمل على الربط بين قولين ومعناها ((الإضراب عن الأول والإثبات للثاني))[١]، ويكون هذا الإضراب نفيا أو إثباتا وهذا ما يُعَيِّنُه السياق الواردة فيه، وهي تدخل على المفردات والجمل[٢]، وتكمن حجاجية **(بل)** في أنها تقدم حججا أقوى من الحجج التي تأتي قبلها فضلا عن أنها تبين ضعف الحجج الأولى مقابل الحجج الثانية[٣].

وقد وردت **(بل)** في جملة من المواضع من جوابات الإمام(عليه السلام)[٤]، من ذلك قوله مجيبا على من اتَّهم **مالك الأشتر** برفضه التحكيم وترك أمر الإمام وأنه كان لا يرى إلا قتال القوم إذ يقول(عليه السلام): ((**وَأَمَّا الَّذِي ذَكَرْتُم مِن تَرْكِهِ أَمْرِي وَمَا أَنَا عَلِيهِ فَلَيْسَ هو مِنْ أُولَئِكَ وَلَا أَعْرِفُهُ عَلَى ذَلِك، وَلَيتَ فِيْكُم مِثْلَهُ اثْنَين، بَل لَيْتَ فَيكُم مِثْلَهُ وَاحِداً يَرَى فِي عَدُوِّي مِثْلَ رَأيِهِ**))[٥]، فالإمام(عليه السلام) بجوابه هذا يرد تلك الأباطيل والاتهامات التي كالها القوم افتراء على مالك الأشتر فقد أظهر(عليه السلام) سفاهة رأيهم وكذب ادعائهم بإلزامهم الحجة إذ قال: **(فَلَيْسَ مِنْ أُولَئِكَ وَلَا أَعْرِفُهُ عَلَى ذَلِك، وَلَيتَ فِيْكُم مِثْلَهُ اثْنَين)**، فقد نفى(عليه السلام) خروج مالك عن رأيه لما عهده منه من التقوى والورع والشجاعة والإقدام في سبيل حمل راية الإسلام ونصرة الدين فمن كانت هذه خصاله يكون أكبر من أن يخرج على رأي إمامه ثم بين لهم(عليه السلام) بعد ذلك بأن هذا الذي افتريتم عليه لا يوجد مثله فيكم حتى اثنين وقد استعمل(عليه السلام) في هذه المحاجَّة أسلوب التمني بتوظيف الحرف**(ليت)** والتمني بحسب ما نعلم يستعمل مع الأمور مستحيلة الحصول فيكون المعنى هو: (محال أن أجد

---

[١] المقتضب، المبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة: ١٥٠/١.

[٢] ظ: معاني النحو: ٢٢٣/٣.

[٣] ظ: خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي، حمدي منصور جودي(رسالة ماجستير):١٥٢

[٤] ظ: على سبيل المثال، نهج البلاغة: ٢٣١/٢، ونهج السعادة: ٣٩٩/١، ٢٨١/٢، ومستدرك نهج البلاغة، ٤٧.

[٥] نهج السعادة: ٢١١/٢، وظ: مصباح البلاغة: ٣٠٠/١.

فيكم اثنين كمالك) ثم أورد حرف الإضراب(**بل**) وما بعده بقوله(عليه السلام): (**بَل لَيْتَ فَيكُم مِثْلَهُ وَاحِداً يَرَى فِي عَدُوِّي مِثْلَ رَأيِهِ**)، وهذا الإضراب ليس على سبيل الاضراب الإبطالي الذي يفيد الإتيان بجملة تبطل معنى الجملة السابقة لها[1]، بل على سبيل الاضراب الانتقالي الذي يعني الانتقال من غرض الى غرض آخر مع عدم إرادة ابطال الكلام الأول[2]، فالإمام(عليه السلام) بانتقاله الى الحجة الثانية لم يبطل الحجة الأولى بل أكدها بدلالة أقوى فيكون المعنى: أنه محال أن يوجد بينكم مثل مالك اثنين ولا حتى واحد وهذا يشير الى تقريعهم وتصغير شأنهم لما كانوا عليه من الضلال والعمي ويمكننا التمثيل لتلك الحجج بالآتي:

ن: تنزيه مالك الأشتر عن الخيانة

لا يوجد مثله حتى واحد يرى كرأيه في العدو

بل

ليس في القوم المتَّهِمين مثله اثنين

لم يكن مالك منشقا ولم يعرف عنه ذلك

- حتى:

وهي من أدوات السلم الحجاجي وتكمن وظيفتها في ترتيب عناصر القول وتُعد هذه الأداة من الادوات النحوية التي كثر الحديث حولها نتيجة تنوع وظائفها ودلالتها فهي تأتي جارة للاسم أو المصدر وناصبة للفعل المضارع وعاطفة تشرك بين الأول والثاني في اللفظ والمعنى إذا كانت

---

(1) ظ: معاني النحو:٣/٢٢٣.

(2) ظ: نفسه.

بمعنى الواو، نحو **(جاء القوم حتى صغارهم)**، أي: وصغارهم علاوة على مجيئها ابتدائية غير عاملة[١].

ومن الأمثلة الواردة عليها في الجوابات[٢]، كلامه(عليه السلام) حين سُئل عن الرجل يذنب ويستغفر ثم يذنب ويستغفر ثم يذنب ويستغفر، فقال(عليه السلام): ((**يَسْتَغْفِرُ أَبَدَاً حَتَّى يَكُونَ الشَّيطَانُ هُوَ الحَسِيرُ**))[٣]، ففي جوابه(عليه السلام) دعوة الى عدم الاستسلام والركون الى اليأس وارتكاب الذنب بل إن باب الرحمة والمغفرة مفتوح على مصراعيه مع كثرة اقتراف الذنوب وتكرارها ولا بد من الدوام على الاستغفار؛ لأن رحمة الله (عز وجل) واسعة تشمل جميع العباد فلا يقول أحد أني أذنبت كثيرا وأن الله(سبحانه وتعالى) سوف لن يغفر لي أبدا فيصيبه الإحباط واليأس من المغفرة بدليل جواب الإمام(عليه السلام) إذ ذكر حجته الأولى التي تتمثل بدوام الاستغفار بقوله: **(يستغفر أبدا)**، أي باستمرار الدهر ثم عضد الإمام(عليه السلام) هذه الحجة وأكدها وثبتها بحجة أقوى ذكرها بعد الأداة**(حتى)** بقوله(عليه السلام): **(حتى يكون الشيطان هو الحسير)**؛ للتدليل على الكثرة والمبالغة في الاستغفار والرجوع عن الذنب الى الله(سبحانه وتعالى) ويكون ذلك الى الحد الذي يجعل فيه الشيطان ضعيفا ذليلا. ونحن نعلم أن الشيطان لا يكلّ ولا يملّ في غواية الإنسان فدأبه أن يزلّه ويأخذ بيده الى مهاوي الظلام لكنَّ الإمام(عليه السلام) وصفه بـ**(الحسير)**؛ للمبالغة بكثرة الاستغفار ولزومها وعدم اليأس من غفران الذنوب ومن ثم مثلت الحجج التي أشار اليها الإمام(عليه السلام) في كلامه سلما حجاجيا متصاعدا كان الرابط بينهما الأداة **(حتى)**، يُلحظ المخطط الآتي:

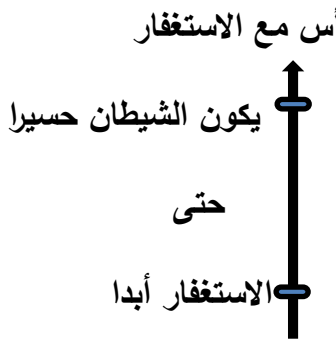

٢.العوامل الحجاجية:

---

[١] ظ: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريفي: ٦٢٤/٢.

[٢] ظ: على سبيل المثال، نهج البلاغة: ١٧١/١، ٢٨٣/٢، ٤٨٢/٤، ومصباح البلاغة: ٢/٣-٣، ١١٦/٤، مستدرك نهج البلاغة: ١٧٢، ١٨٨، ١٩٤، ونهج السعادة: ٢٨١/٩، ٢٢/١٠.

[٣] نهج السعادة: ٢٠٣/١٠.

وهي الألفاظ التي إن وجدت في ملفوظ ما فإنها تحوِّل الامكانات الحجاجية له[١]، ومن هذه العوامل أدوات القصر، التي كان لها ظهور في جوابات الإمام(عليه السلام) في مواضع متنوعة[٢]، من ذلك جوابه لمعاوية في معرض مقابلته بين الطرفين إذ يقول(عليه السلام): ((**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كَرْهاً**))[٣]، إذ نلحظ في كلام الإمام(عليه السلام) خطابا إثباتيا يشتمل على عامل حجاجي متمثل في أدوات القصر **(ما ... إلا)** إذ قصر الوسائل الحجاجية في أن من أسلم من بني أمية كان مرغما[٤] نتيجة تعاظم أمر المسلمين فلم يكن إسلامهم عن وعي وعقيدة حقة صادقة؛ لأن الإسلام كان قد ضرب كثيرا من مصالحهم الدنيوية وحجَّم من نفوذهم فلم يكن ليتماشى مع رغباتهم وميولهم وتأسيسا على هذا لم يكن محبذا لديهم فقابلوه بالرفض ولكن عندما وجدوا أنفسهم مضطرين لأن يدخلوا في الإسلام بعد أن لم يبقَ لديهم خيار سوى الموت لجأوا الى لوائه مكرهين مجبرين على ذلك ومن ثم فقد سعى الإمام من هذه المحاججة الى ((كشف البواعث النفسية الموغلة في الحقد عند معاوية وأتباعه على ماجاء به الإسلام وما أقره من تعاليم، وما كان يضمره من كيد وتمويه للمبادئ الإنسانية، لذا نجد الإمام يركز على رفض هذا المبدأ ونسف أصوله ومرتكزاته بالدليل العقلي والنقلي الصارخين))[٥]، إذ استثمر (عليه السلام) أسلوب القصر في النص ليُحاجج به معاوية ويقابله بالحقيقة المؤلمة التي تبين حقيقة القبيلة التي ينتمي اليها.

ومن ذلك أيضا رده(عليه السلام) على جيشه عندما أقدموا على سبي الخوارج وأخذ أموالهم فمنعهم الإمام(عليه السلام) من ذلك فسألوا قائلين: ((كيف يحل لنا قتالهم ولا يحل لنا سبيهم وأموالهم؟))[٦] فأجابهم(عليه السلام)بقوله: ((**لَيْسَ عَلَى المُوَحِّدِيْنَ سَبْيٌ، وَلَا يَغْنَمُ مِنْ أَمْوَالِهِم إِلَّا مَا قَاتَلُوْا بِهِ أَو**

---

[١] ظ: البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه الى بني إسرائيل، د. قدور عمران: ٣٦.

[٢] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/٧٩، ١٧٢، ٢/١٧٨، ١٨١، ٤/٤٨٣، ومستدرك نهج البلاغة: ٨٥، ١٨٢، ٣٣٢، ونهج السعادة:٢/١٥٣، ٦/١٤٨، ومصباح البلاغة: ٤/٥٣.

[٣] نهج البلاغة: ٣/٤١٩.

[٤] ظ: بحار الانوار:٣٣/٩٢.

[٥] وظيفة الحجاج في نهج البلاغة: ٣٢٧.

[٦] مستدرك نهج البلاغة:٢٥٧.

عَلَيْهِ، فَدَعُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ، وَالزَمُوا مَا تُؤمَرُونَ))[1]، فقد استعمل الإمام(عليه السلام) أسلوب القصر المتمثل بـ**(لا...إلا)** لمحاججة جيشه وتصحيح مفاهيمهم الخاطئة حتى يميزوا الخطأ من الصواب؛ لأنه ليس في كل حرب يحل السبي واغتنام الأموال بل لكل مقام مقال ولما كان قتال الإمام(عليه السلام) مع الخوارج الذين كانوا أصحابا بالأمس وعقيدتهم واحدة وكتابهم واحد ونبيهم واحد دفع جيشه عن سبيهم؛ لأن الخوارج في النهاية موحدون بصرف النظر عن الأمور الأخرى التي حملتهم على الخروج على الإمام(عليه السلام) فقد أراد الإمام أن يوضح مسألة غاية في الأهمية، وهي أنه لا سبي على الموحد مهما اقترف من ذنب بل الأولى قتاله واستحلال كل ما يوظفه في ذلك القتال من مال وعدة وغيرهما فضلا عن أن الإمام كان صاحب مبدأ قويم فلم يكن همه من قتال الخوارج إلا ليردهم الى الطريق الواضحة فيجدوا ضالتهم فكان قتاله لهم من أجل الإصلاح والبناء لا من أجل الهدم.

ومن ثمَّ فقد حاججهم(عليه السلام) وردَّ رأيهم بتوظيف أسلوب القصر، الذي أدى غرضا إقناعيا تأثيريا فيهم مذكرا إياهم برابط التوحيد الذي يجمع بينهم وكان قد غاب عن أذهانهم لبرهة من الزمن.

أما أسلوب القصر بـ**(إنما)** فنجده في كلامه(عليه السلام)[2]، في معرض جوابه على بعض اليهود

بعد أن ادعى باطلا بقوله: ((ما دَفَنْتُم نَبِيَّكُم حتّى اختلفتم فيه))[3]، فأجابه الإمام(عليه السلام) بقوله: **((إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لاَ فِيهِ))**[4]، فقد حاول اليهودي في هذا المقام أن يثير الشبهات حول الإسلام الإسلام والمسلمين باتهامهم بالاختلاف في الرسول الكريم**(صلى الله عليه وآله)** حال وفاته؛ فنلحظ الإمام(عليه السلام) قد قابله بجواب مختصر اختصارا موجزا غير مخل مشتملا على دقة متناهية بقوله:**(عنه لا فيه)** فحصل التبديل في حرف المعنى فقط لكنَّ هذا التغيير البسيط قد حمل دلالات وإشارات كثيرة عظيمة تُرصِّن الدين وتحصِّنه إذ بيَّن الإمام (عليه السلام) لذلك اليهودي أن الاختلاف لم يكن في الرسول**(صلى الله عليه وآله)** أو في أصل النبوة والرسالة وما جاء به من

---

(1) نفسه.

(2) ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ١/١٧٢، ٢/٢٣١، ٢٨٣، ٣/٣٧٧، ومستدرك نهج البلاغة: ١٨٢، ونهج السعادة: ٢/٢٥٢، ٩/٢٨٣، ومصباح البلاغة: ١/٣٠٢، ٢/٣٣١.

(3) نهج البلاغة: ٤/٤٨٢.

(4) نفسه: ٤/٤٨٢-٤٨٣.

التوحيد وإنما كان في أمور مثلت الفرع عن ذلك الأصل، وقد أشار **ابن أبي الحديد(ت٦٥٦هـ)** الى هذا بقوله: ((ما أحسن قوله اختلفنا عنه لا فيه وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد والنبوة بل في فروع خارجة عن ذلك نحو الإمامة والميراث والخلاف في الزكاة هل هي واجبة أم لا))[١]، وقد رأينا كيف أخذت الخلافة مأخذها من ذلك الاختلاف عندما ادعاها قريش والأنصار فضلا عن أن الرسول**(صلى الله عليه وآله)** كان يُحَدِّث فيسمعه الحاضر أما من غاب فمنهم من يصله حديث الرسول**(صلى الله عليه وآله)**، ومنهم من لم يصله فيقول هذا بلغني ويقول ذلك لم يبلغني[٢]، فيحصل شيء من الاختلاف في النقل ومن ثم كان كل ذلك الاختلاف بين المسلمين لا يمس حقيقة التوحيد أو النبوة وبحسب هذا جاء جواب الإمام(عليه السلام)؛ مسكتا اليهودي ومفحما له بحجة كان مؤدَّاها توظيف أسلوب القصر المتمثل بـ**(إنما)**، التي عملت على تصحيح معتقد اليهودي ولشدة تأثير جواب الإمام(عليه السلام) ووقعه في نفس اليهودي حمله هذا البرهان على أن يُسْلِم بحسب ما تشير بعض الروايات[٣].

٣.السمات الدلالية:

ويُقصد بها تلك السمات التي تمتاز بها الحجج التي يرسلها المتكلم، والتي يختلف ترتيبها في السلم الحجاجي بحسب القوة والضعف فإن الحجة الواحدة قد ترتقي إلى أعلى السلم برأي، وقد تدنو إلى أدنى السلم بحسب رأي آخر[٤]، وذلك متوقف على طبيعة السمات الدلالية التي يستند إليها المتكلم من أجل بناء حججه، وقد كان لها ظهور في جوابات الإمام(عليه السلام) [٥] من ذلك تلك المقطوعة الحوارية، التي جرت بين الإمام(عليه السلام) وبعضهم عندما سُئل(عليه السلام)عن أفضل ما أعطي الانسان ؟ فقال: **((غَرِيْزَةُ عَقْلٍ، قِيلَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: فَأَخٌ مُستَشِيْرٌ، قِيْلَ: فَإِنْ لَمْ**

---

[١] شرح نهج البلاغة(أبن ابي الحديد): ٢٢٥/١٩.

[٢] ظ: في ظلال نهج البلاغة: ٤٠٦/٤.

[٣] ظ: بهج الصباغة: ٤٨٥/٤.

[٤] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٢١.

[٥] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٥٤/١، ومستدرك نهج البلاغة: ١٩٥، ونهج السعادة: ٨٢/١، ٣٠٢/٨، ٢٧٥/٩.

يَكُنْ؟ قَالَ: فَصَمْتٌ فِي المَجَالِسِ، قِيْلَ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: فَمُوتٌ عَاجِلٌ))[1]، فقد ظهر في خطابه جملة من الأمور، التي من المفترض أن تكون في الإنسان أو بعض منها، وهي: غريزة العقل ذلك الجوهر الثمين، الذي منحه الله(ﷻ) للإنسان مكرما إياه من بين مخلوقاته، فهو الوسيلة الأمثل التي يبلغ بها درجات العلا السامية أو ينحدر به أسفل سافلين أما إذا فقد الإنسان المقدرة على تحكيم العقل في أفعاله وأعماله، التي يقدم عليها فتأتي منزلة الأخ المستشير الذي يُفزع إليه في المشورة والرأي فيجد به ضالته ويُمكِّنه من اتخاذ القرار الصائب فيكون عونا له في ذلك؛ وأما إذا لم تكن هذه ولا تلك فالتزام الصمت في المجالس، وعدم التطفل، والحديث في أمور هو في غنى عنها، التي تجعل صاحبها في موقف محرج لا يحسد عليه فيكون مدعاة للمذمة، وأما إذا فقد الإنسان كل تلك الخصال فإن الموت العاجل يكون أولى به.

نلحظ من النص أن الحجج فيه قد رتِّبت ترتيبا تنازليا من الأعلى الى الأدنى لتمثل هذه الحجج أدلة تخدم نتيجة واحدة تتمثل في أفضل الأمور التي أُعطيت للإنسان ويمكن تمثيل هذه الحجج في المخطط الآتي:

ن: أفضل ما أعطي الإنسان

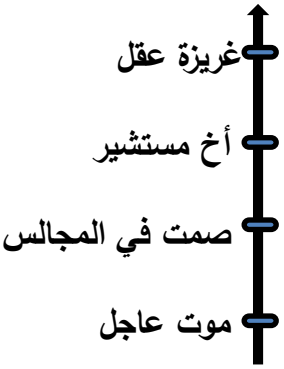

[1] **نهج السعادة:١٠/١٠٠.**

٤. درجات التوكيد:

جرت العادة عند الإنسان عندما يتكلم فأنه يعمد الى اختيار الكلمات التي تعينه على إيصال فكرته وبحسب الحاجة، وهذه الكلمات تختلف طبيعتها من حيث التوكيد وعدمه وبحسب طبيعة المتلقي فأحيانا يورد المُخاطب كلامه موجزا وأخرى يُطنب وتارة يرسله خاليا من التوكيد وتارة ثانية يذكره مؤكدا بتوكيد واحد أو اكثر من أجل إقناع المخاطب وتأسيسا على هذا تعد درجات التوكيد من أدوات السلم الحجاجي فهي تُستعمل ((استعمال التوكيد، بترتيب درجاته لغويا، وذلك عند إنتاج الخطاب الخبري في ثلاث درجات من التوكيد))[١]، وهذه الدرجات هي: الخبر الابتدائي، الذي يخلو من المؤكدات لخلو ذهن المُخَاطب من الحكم، والخبر الطلبي، الذي يحوي توكيدا واحدا لشك المُخَاطب بالقضية المطروحة، والخبر الإنكاري، الذي يشتمل على مؤكدين فأكثر ولإنكار المُخاطب ويمكن تمثيلها بالآتي:

- **زيدٌ قائم خبر ابتدائي.**
- **إنَّ زيداً قائم أو زيدٌ لقائم خبر طلبي.**
- **إنَّ زيداً لقائم خبر إنكاري**[٢].

وللتوكيد باختلاف درجاته ورود في جوابات الإمام(عليه السلام) وقد وُظف بحسب مكانة المخاطب فضلا عن المقام وما يستدعيه من درجات توكيدية[٣]، من ذلك كلامه(عليه السلام) مع جماعة من زعماء الفلاحين في الأنبار عندما مرَّ بهم في أثناء مسيره الى الشام لقتال معاوية فترجّلوا له واشتدّوا بين يديه، فقال لهم(عليه السلام): ((**مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ؟ فقالوا: خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا فقال: وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ! وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ، وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُمْ، وَمَا أَخْسرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءَهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ**))[٤]، فبمجرد أن لاحظ منهم الإمام(عليه السلام) هذا الفعل من ترجّلهم عن مراكبهم وَعَدْوَهُم تجاهه أنكر عليهم ذلك

---

[١] **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٢٣.**

[٢] **ظ: مفتاح العلوم: ٢٥٨- ٢٥٩.**

[٣] **ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٨١/١، ٣٣٨/٣، ٣٤٥، ٤٣٨/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ١٧٢، ونهج السعادة: ١٨٢/١، ٣٠٨/٥، ٣٣١، ومصباح البلاغة: ١٣٤/١، ١٥٤/٤.**

[٤] **نهج البلاغة: ٤٣٨/٤.**

فسألهم متعجبا بقوله(عليه السلام): **(مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ)**، وبعد أن أخبروه بأنه عادة لديهم يقدمون على فعلها مع أمرائهم عمد(عليه السلام) إلى بيان سوء هذا العمل ودناءته؛ لأنه يورد المشقة على النفس في الدنيا والآخرة فكان في كلامه(عليه السلام) إشارات ودلالات جمة تدعو الإنسان الى التحرر من هذه القيود التي أوجبها على نفسه والابتعاد عن ذل العبودية والتعظيم والتقديس للأشخاص فقد وظف أسلوب التوكيد في جوابه بغية بيان قباحة عملهم ليكون رفضه وذمَّه مؤكدا، فقال: **(وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ)** فقد ضمَّنه(عليه السلام) توكيدين **(إنَّ+ لام التوكيد)** فضلا عن أنه قد سبق هذين التوكيدين بالقسم في قوله(عليه السلام): **(وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ)** فيكون كلامه تأسيسا على هذا أكثر تأثيرا وإقناعا بالنظر الى أنه لم يصدر عن إنسان اعتيادي بل صدر عن إمام وخليفة له مكانته ومنزلته عند أولئك الدهاقين فيكون وقعه أكبر ولاسيما أنه يريد به مصلحتهم وأن استمرارهم على ما أقبلوا عليه فيه مضرة للطرفين للمُعَظِّم والمُعَظَّم ومن ثمَّ كان التوكيد من أجل القيام بوظائف حجاجية تتمثل بالإرشاد والتوجيه ورفض العادات الجاهلية، التي كانت سائدة عند العرب ويمكن تمثيل ذلك السلم بالآتي:

ن: إقناعهم بضرر تعظيم الأمراء

وَإِنَّكُمْ لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ/ مؤكدان اثنان(إنَّ+ ل)

وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهذَا أُمَرَاؤُكُمْ/ مؤكد واحد (والله)

ومن التوكيد أيضا كلامه(عليه السلام) لعثمان بعد أن غواه (مروان بن الحكم)[1]، ومنعه من تأدية حقوق الناس، الأمر الذي جعلهم يتألبون عليه: **((وَاللهِ مَا مَرْوَانُ بِذِي رَأْيٍ فِي دِيْنِهِ وَلَا فِي نَفْسِهِ، وَأَيمُ اللهِ إِنِّي لَأَرَاهُ سَيُوْرِدُكَ ثُمَّ لَا يُصْدِرُكَ، وَمَا أَنَا عَائِدٌ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا لِمُعَاتَبَتِكَ))**[2]،

لقد كان مروان على خبث ودهاء كبيرين ومن ثمَّ أراد الإمام(عليه السلام) لعلمه به أن ينبّه عثمان من غفلته ويجعله يُحكّم عقله قبل فوات الأوان إذ كان قد حذَّره من مروان، الذي ليس له رأي

---

[1] هو مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي رابع خلفاء الدولة الأموية ومؤسس الدولة الأموية الثانية، كان كاتبا لعثمان في أثناء خلافته، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان ولاه معاوية على المدينة ثم عزله وقد كان من المعادين لأهل البيت(عليهم السلام) ولد سنة ٤هـ وتُوفي سنة ٦٤هـ(ظ: كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد الزهري(ت٢٣٠هـ)، تح: علي محمد عمر: ٣٩/٧).

[2] نهج السعادة: ١٩٤/١.

يعتد به بل ((ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة))[1]، ومن ثمَّ استعمل الإمام(عليه السلام) مع هذا التنبيه والتحذير جملة من المؤكدات التي، تجلت في القسم **(والله، أيم الله)**، وفي أن ولام التوكيد **(إني لأراه)**، وقد كان لكثرة هذه المؤكدات غاية تتمثل في الإشارة إلى خطورة الموقف الذي كان عليه عثمان ولاسيما أن الأمر يتعلق بالناس وظلمهم وانتهاب حقوقهم عنوة دون أدنى وجه حق وأن مثل هذا الأمر ليؤلم الإمام(عليه السلام) كثيرا وبحسبانه حشد تلك المؤكدات ليُشعِر عثمان بحساسية الأمر عله يلتفت إليه ويعلم ما أوصله إليه الفاسدون الحمقى أمثال مروان فيفتك من قيوده ولا يكون تابعا له وأن يمتنع عن مشورته والأخذ برأيه ويبعده عن أسوار الخلافة؛ لأن مروان كان يدس السم بالعسل فيما يبديه من مشورة لعثمان وكان سببا في قتله وهذا الموقف صوره الإمام(عليه السلام) لعثمان فقد أخبره بأن حاله مع هذا المنافق كحال الذي يُؤخذ بيده ليورد الماء ثم يعود وهو ضمآن في تصوير بديعي تشوبه الدقة ويمكن تمثيل هذا السلم الحجاجي بالخطاطة الآتية:

ن: إقناع عثمان بخبث مروان

إِنِّي لَأَرَاهُ سَيُوْرِدُكَ ثُمَّ لَا يُصْدِرُكَ/ مؤكدان اثنان

وَالله مَا مَرْوَانُ بِذِي رَأْيٍ فِي دِيْنِهِ/ مؤكد واحد

ب. تقنيات السلم الحجاجية:

لا يقتصر ترتيب الحجج في سلم واحد على استثمار بعض الروابط والأدوات اللغوية التي سبقت الإشارة إليها، بل هناك آليات وأدوات أخرى تُستعمل في ترتيب حجج السلم؛ لتغيير تصورات المتلقي وإقناعه ومن هذه الآليات:

١.التعدية بأفعل التفضيل:

ويُقصد بها: ((ترتيب الأشياء في سلّم بعقد العلاقة بينها ، بالرغم من عدم وجود هذه العلاقة قبل التلفظ بالخطاب))[2]، من ذلك استعمال (أفعل التفضيل) في سياق الإثباتات.

---

[1] **نفسه: ٩/٢٥٧.**

[2] **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٢٦.**

وأفعل التفضيل صفة أو اسم مشتق على وزن (أفعل)، بشروط يدل على أن شيئين أو أكثر اشتركا في معنى أو في صفة حقيقة أو تقديرا، وزاد أحدهما على الآخر فيه[١] وقد عبر عنه **سيبويه** بـ((أفعل منك))[٢].

وتكمن حجاجية (أفعل التفضيل) في ((أنه يتضمن صيغا تمكن المرسل من إيجاد العلاقة بين أطراف ليس بينها أي علاقة بطبعها، كما أنه يمكنه من ترتيب الأشياء ترتيبا معينا، فبدون استعماله ما كان لها أن تترتب، ولذلك يصنفه (بيرلمان) في حجاج التعدية))[٣].

والمفاضلة وردت في غير موضع من الجوابات بغية ترجيح أحد المفضولين على الآخر وجعله دليلا يُحتج به على المُخَاطب[٤] من ذلك جواب الإمام(عليه السلام) عندما سُئل عن أيهما أفضل العدل أو الجود؟ فقال(عليه السلام): ((**اَلْعَدْلُ يَضَعُ اَلْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَاَلْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ اَلْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَاَلْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَفْضَلُهُمَا وَأَشْرَفُهُمَا**))[٥]، إذ نلحظ في الخطاب أنه(عليه السلام) فاضل بين العدل والجود مرجحا كفة العدل ومقدما إياها ((وقد يُظن لأول وهلة أن جواب الامام(عليه السلام) سيكون بأن الجود أفضل من العدل، لأن العدل هو إعطاء الناس حقوقهم، أما الجود فهو الاعطاء بأكثر من الحق ولكن الامام(عليه السلام) يجيب بعكس هذا، مقدّما العدل على الجود))[٦]، وذلك من منطلقين **الأول:** أن العدل يضع الأمور في نصابها، التي ينبغي لها فهو ضد الانحراف والإجحاف فلا يكون معه إفراط أو تفريط؛ لأن أي شيء وضعته في مكانه، الذي ينبغي له فقد عدلت وأنصفت وإذ ما انحرفت به عن موضعه فقد ظلمت وأجحفت على حين أن الجود يخرج الأمور عن مواضعها فهو فضل وإحسان بمثابة الرحمة وقد يدخل فيه التفريط

---

[١] ظ: معاني النحو: ٢٦٧/٤، ونحو اللغة العربية: ١٦٣.

[٢] كتاب سيبويه: ٢٠٢/٣.

[٣] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٢٨.

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٣٢١/٢، ٢٣١/٢، ٤٥٠/٤، ومستدرك نهج البلاغة: ١٨١، ١٨٢، ٢٧٣، ٢٨١، ونهج السعادة: ١٥٣/٢، ١٤/٤، ٩٠، ١٥٧/٥، ومصباح البلاغة: ٢٦٠/٣.

[٥] نهج البلاغة: ٥٠١/٤.

[٦] تصنيف نهج البلاغة:٥٩٢/٢

والإسراف والتبذير، فقوله(عليه السلام): **(وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا)** يكون الخروج فيه هو التجاوز بالأشياء عن مواضعها الى جهة البر والإحسان، أو الى جهة البذخ والتبذير، **والثاني:** أن العدل سائس عام، أي مصلح مطلوب وضروري في الأمور الدينية والدنيوية إذ به نظام العالم وقوام الوجود ومن ثمَّ فهو ((أساس ونظام للحياة بشتى جهاتها، فالقوة بلا عدل هي استبداد، والحرية بلا عدالة فوضى، والعلم بلا إنصاف ضلال وفساد))[1]، على حين أن الجود عارض خاص فليس عموم نفعه كعموم نفع العدل وأن الحياة من الممكن أن تستقيم من دون جود بخلاف العدل[2].

فكان تقديم الإمام(عليه السلام) للعدل قائما على أسس منطقية عقلية وقد بين أرجحية العدل باستثمار أفعل التفضيل **(أفضل، وأشرف)** فقد كان(عليه السلام) في ترجيحه هذا إشارة واضحة الى أن كل إنسان إذا ما التزم بحقه ولم يتنازل عنه من جهة وأعطى غيره ما يستحقه من جهة أخرى، كلّ بحسب استعداده وعمله، فسيجد كل شخص مكانه في المجتمع، ويصبح المجتمع كاملا متوازنا تسود فيه العدالة الاجتماعية وتختفي منه الفوارق الطبقية، وعند ذلك لا تعود هناك أدنى حاجة للفضل والجود؛ لأن الجود في حقيقته عمل غير طبيعي للمجتمع، تستدعيه الحاجة عندما يعمُّ في المجتمع الظلم والتفرقة والحرمان فيعود الناس وقتذاك بحاجة الى الجود والعطاء ومن ثم كان تقديم الإمام(عليه السلام) وترجيحه للمبادئ الاجتماعية العامة المتمثلة بمصلحة الجماعة المتجلية بالعدل على المبادئ الفردية العارضة، التي لا يمكن أن تمثل قانونا عاما في المجتمع، وتتجلى في الجود[3]، ويمكن تمثيل ذلك بما يأتي:

ن: فضل العدل وشرفه على الجود

---

[1] في ظلال نهج البلاغة: ٤/٤٦٩.

[2] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٢/٨٥، وبهج الصباغة: ٦/٣٥٥.

[3] ظ: تصنيف نهج البلاغة: ٢/٥٩٢.

٢.صيغ المبالغة:

تُعد صيغ المبالغة من الأدوات أو الآليات الصرفية التي يستعين بها المُرسل في بناء السلم الحجاجي؛ لأنها تمكنه من التعبير عن درجة الحجة، التي يريد أن يعبر بها في خطابه[١]، انطلاقا من كونها ((تفيد الكثرة والمبالغة الصريحة في معنى فعلها الثلاثي الأصلي، ما لا تفيده إفادة صريحة صيغة (فاعل)))[٢]، وأشهر أوزانها خمسة قياسية هي: ((فعَّال، وفعول، ومِفْعال، وفعِيل، وفَعِل))[٣].

وقد كان حضور هذه الصيغ بيِّنا في جوابات الإمام(عليه السلام)[٤] من ذلك قوله لمتثاقلي النـــاس ممن قعد عن مجابهة العدو من أهل الشام وصدَ غاراته: (((**وَاللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ وَلَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ. إِنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةٍ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتَمَاعِ قُلُوبِكُمْ**))[٥]، يُلمح في جوابه(عليه السلام) أنه لم يكن يرجو بأن ينتهي قومه على هذه الحالة بعد أن دبَّ اليأس في نفسه(عليه السلام) من سوء صنيعهم وقبح فعالهم وكثرة دعوتهم إلى الحق والهدى ودفع الضرر والحيف والعدوان ولكن دونما جدوى[٦]، حتى أنه(عليه السلام) لولا ما كان يرجوه من الشهادة ولقاء الله على ذلك لَمَا بقِي بين ظهرانيهم البتة؛ لأن قومه بدلا من أن يطيعوا خليفتهم وأميرهم ويطبقوا ما يُراد منهم ويتبعوه لما يدعوهم إليه راحوا يشغلون أنفسهم بأشياء مذمومة في الإسلام تتمثل بالطعن في أعراض الناس واغتيابهم وذكرهم ما لا يُحبون كإظهار عيوبهم وما شاكل ذلك هذا فيما يخص حياتهم الاجتماعية، أما فيما يخص الحرب والقتال فتجدهم يحيدون عن الحق هربا الى الباطل[٧]، ويروغون عنها كما يروغ الثعلب في مكرهم وخديعتهم وجنوحهم الى الطرق

---

[١] ظ: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٢٩.

[٢] نفسه.

[٣] شرح ابن عقيل: ١١١/٣، وظ: نحو اللغة العربية: ١٤١.

[٤] ظ: على سبيل المثال: نهج البلاغة: ٨١/١، ١٦٩، ٤٨٤/٤، ومستدرك نهج البلاغة:٤٧، ونهج السعادة: ١٩٥/١، ٥٦١، ٥٩٧/٩، ومصباح البلاغة: ٤٧/٤.

[٥] نهج البلاغة: ١٦٩/١.

[٦] ظ: منهاج البراعة (الخوئي): ٩٤/٨.

[٧] ظ: شرح نهج البلاغة(الموسوي): ٣٢٠/٢.

الملتوية كل ذلك فرارا من الحق والموت وقد احتج عليهم الإمام(عليه السلام) بأسلوب المبالغة في ذكر تلك الصفات، التي تجذَّرت فيهم بقوله: **(طَعَّانِينَ عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ رَوَّاغِينَ)**؛ للدلالة على كثرة إقدامهم على تلك الصفات حتى أنهم اعتادوها في حياتهم فأصبحت جزءا لا يتجزأ من تكوينهم فقد كان على الرغم من كثرة عددهم غير متفقين على رأي أو مبدأ فقد تفرقت قلوبهم واختلفت ميولهم إذ لم يكونوا ليجتمعوا تحت لواء واحد ومن ثم فأنه لا خيرة ولا فائدة في هذه الكثرة المجتمعة الأبدان المتفرقة القلوب[1] ولو كان ((رجلان متفقين قلبا أكثر غناء من ألف مختلفين))[2]، فذكر(عليه السلام) تلك الحجج مستعينا بأسلوب المبالغة؛ لتكون تلك الصيغ أدلة تخدم النتيجة التي يُريد(عليه السلام) بيانها، وهي تكمن في تقريعهم والتنكيل بهم وإظهار اليأس من انصلاح أحوالهم ويمكن توضيح هذا الحجاج بما يأتي:

ن: سوء أحوال قومه(عليه السلام) وتخاذلهم في الجهاد ونصرة الحق

حيَّادين روَّاغين عن الحرب

طعَّانين عيَّابين مع الناس

٣..فحوى الخطاب:

ومن بين آليات السلم الحجاجي ما يُدعى بفحوى الخطاب، وهو: ((أن ينص على الأعلى وينبه على الأدنى، أو ينص على الأدنى وينبه على الأعلى فحكم هذا حكم النص، وهذا يتضمن التلفظ بالدرجة العليا في السلم، ونفي ما عداها ضمنا، كما قد يكون ترتيب الحجة ضمنيا، وذلك بتوظيف المعرفة المخزونة والسابقة، ومناسبتها للسياق))[3]، ومما ورد من ذلك في جوابات الإمام(عليه السلام)[4] كلامه، الذي ردَّ به على **(خطباء الحرورية)**[1]، بقوله: **((أَمَا أَن أَشْهَد عَلَى**

---

[1] ظ: شرح نهج البلاغة(ابن ابي الحديد): ٢٨٧/٧.

[2] بهج الصباغة: ٤٩٠/١٠.

[3] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ٥٣٠

[4] ظ: على سبيل المثال: ٣٢١/٢، ومستدرك نهج البلاغة: ١٩٥، ٢٨١، ونهج السعادة: ١٨٢/١، /١٥٩. /١٥٩.

نَفسِي بِالضَّلَالَةِ، فَمَعَاذ الله أَنْ أَكُونَ أرتَبْتُ منذ أَسْلَمت، أَو ضَلَلْتُ مُنذُ أهتَدَيتُ، بَل بِنَا هَدَاكُم الله مِن الضَّلَالَةِ، وَأستَنْقَذَكُم مِن الكُفرِ، وَعَصَمَكُم مِن الجَهَالَةِ، وَإِنَّمَا حَكَّمْتُ الحَكَمَينِ بِكِتَابِ الله وَالسُّنَّةِ الجّامِعَةِ غَيرِ المُفرِقَة، فَإِنَّ حَكَمَا بِكِتَابِ الله كُنْتُ أَوْلَى بِالأَمْرِ مِنْ حُكْمِهُمَا، وإِنْ حَكَمَا بِغِيرِ ذَلِكَ لَم يَكُن لَهُمَا عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ حُكْمٌ))[٢]، إذ كان خطباء الحرورية قد رموا الإمام(عليه السلام) بتهمة الشك والضلالة بسبب تحكيمه لعدوه معاوية وما جرى في تلك الحادثة بعد رفع المصاحف فقد أخبروا الإمام(عليه السلام) بأنهم استجابوا له عندما دعاهم الى القرآن الكريم وقاتلوا معه في صفين، والجمل وقد قُتل منهم طائفة مطيعة للإمام(عليه السلام) في هاتين الواقعتين ثم اتهموه بالشك في دين الله وخضوعه للتحكيم ومن ثمَّ فقد ضل ولا بد له من أن يتوب أو يشهد على نفسه بالضلالة.

وبحسبان تلك الأكاذيب التي كالوها للإمام(عليه السلام) جاء جوابه محتجا عليهم مبينا لهم خلاف زعمهم وما ظنوه في نفوسهم بذكر الحجج تدريجيا فقد نصَّ على الحجة الأدنى المتمثلة بقوله: **(فَمَعَاذ الله أَنْ أَكُونَ أرتَبْتُ منذ أَسْلَمت، أَو ضَلَلْتُ مُنذُ أهتَدَيتُ)**، فقد نفى(عليه السلام)عن نفسه الشك في دين الله منذ إسلامه فضلا عن الضلالة منذ اهتدائه الى دين الحق فمثل هذه الشبهات لا تعرف إلى الإمام(عليه السلام) طريقا، ولا تقوى على الصمود أمام التمحيص والنظر ثم بعد ذلك ذكر(عليه السلام) الحجة الأعلى في السلم بقوله:(**بَل بِنَا هَدَاكُم الله مِن الضَّلَالَةِ، وَاستَنْقَذَكُم مِن الكُفرِ، وَعَصَمَكُم مِن الجَهَالَةِ)**، فقد أراد(عليه السلام) أن يلفت نظرهم إلى ما غفلوه وغاب عن أذهانهم، وهو أن أهل البيت**(عليهم السلام)** انطلاقا من الرسول الكريم**(صلى الله عليه وآله)** حتى آخر الأئمة الأطهار كانت غايتهم الأسمى ورسالتهم المثلى هي الدعوة الى الصلاح والهداية الى الله(سبحانه وتعالى) والإسلام، فهم أنوار يقتدى بهم ويُلجأ إلى ضيائهم فلا يُعقل أن تصدر الضلالة عمن هو سبيل الى الله(سبحانه وتعالى)؛ فكانت أباطيلهم مفندة لا يقبلها المنطق ولا دليل عقلي عليها ويمكن التمثيل لهذا السلم بما يأتي:

---

[١] الحرورية فرقة إسلامية ظهرت واشتد أمرها في عهد علي بن أبي طالب سموا الحرورية نسبة إلى بلدة حَرُوراء في الكوفة إذ خرجوا إليها لقتال الإمام وكانت عدتهم اثني عشر ألفًا، فهم يمثلون أول الخوارج ومن معتقداتهم أن من ارتكب كبيرة فهو مشرك، (ظ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين المقريزي(ت٨٤٥هـ):٢/٣٥٠).

[٢] نهج السعادة: ٢/٢٥٦.

ن: نفي الريب والضلالة عنه(عليه السلام)

نستنتج مما سبق أنّ الإمام(عليه السلام) في جواباته وردوده كان قد عمد إلى استعمال أغلب التقنيات الحجاجية في كلامه وتوظيفها توظيفا شبه منطقي، إذ منحت له(عليه السلام) هذه التقنيات مساحة كبيرة في تقديم حججه وبنائها للبلوغ بها إلى النتائج المنشودة فقد استُعملت الأدوات اللغوية بأقسامها كلها، واعتُمدت الآليات البلاغية لما لها من دور كبير يكمن في التأثير في المُخاطب والمتلقي، علاوة على توظيف الآليات شبه المنطقية، التي تتمثل بالسلّم الحجاجي، إذ عمد(عليه السلام) الى الوسائل الحجاجية كلها؛ للإجابة على السائلين ومحاورة الأصحاب فضلا عن مقارعة الظلمة والمعاندين، حتى أنه(عليه السلام) لم يترك سبيلا حجاجيا إلا وسلكه بغية إقناع المتلقي والتأثير فيه، متوخيا في ذلك كله ثقافات المتلقين المختلفة إذ حاجج كلا منهم بما يتماشى مع طبيعته الاجتماعية وميوله من أجل تحقيق الغرض من الخطاب، وهو هداية الناس إلى الحق وتوعيتهم من غفلتهم وردهم عن ظلمهم وافترائهم ودحض أباطيلهم وافتراءاتهم إلى غير ذلك من المواقف، التي تطلبت منه(عليه السلام) الجنوح الى الاستدلال والمحاججة.

الخاتمة والنتائج

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ ، الأعـراف: ٤٣، بعـد هـذه الرحلة العلمية الممتعة والشيقة في ميدان الجوابات العلوية بما تضمنته من بلاغة ينتهي البحث بصاحبه الى أهم النتائج التي توصل إليها، وهي:

١. إن جوابات الإمام(عليه السلام) مثلت خطابا بلاغيا على مستوى كبير من البيان والفصاحة والتصوير الفني الإبداعي وكيف لا يكون كذلك وهي صادرة عن أمير البلاغة والفصاحة والبيان وفارسها وقد تنوعت بين التهديد والوعيد والنصح والإرشاد والتنبيه والتقويم ورد الشبهات وغير ذلك بحسبان طبيعة المواقف والأحداث المختلفة، التي تطلبت جوابات تعبر عنها وتتماشى معها فضلا عن ألفاظها، التي جاءت معبرة عن تلك الاحداث وما تمتاز به من قوة ورصانة وتأثير وتمكن في نفس المخاطب فكانت تلك الجوابات وسيلة من وسائل الدعوة الى طريق الحق وترك كل ما من شأنه أن يودي بالإنسان الى الهلكة؛ لما تضمنته من وسائل متنوعة للوصول الى الغرض المرجو.

٢. إن التنويع في استعمال الضمائر في الجوابات ساعد في إنجاح الخطاب والتفاعل مع أطراف الخطاب فكان تنوعها مهما في إنجاز العملية التواصلية؛ لأن التلفظ بها يعطي العملية التواصلية بعدا تداوليا؛ لما يوجد بين المتخاطبين من خبرات خاصة تحيل الى الأبعاد المشتركة بينهم فعلى الرغم من غموضها تحمل قيمة تداولية اكتسبتها بحسبان السياق أو المقام، الذي قيلت فيه.

٣. في الإشاريات الشخصية المعبرة عن ذات المتكلم يورد الإمام(عليه السلام) في جواباته ضمير المفرد فضلا عن الجمع فعندما يكون الخطاب مختصا به(عليه السلام) دون سواه يوظف الضمير المفرد (**أنا، والتاء**)؛ للاعتداد بالنفس أو غير ذلك وعندما يكون الخطاب مختصا به(عليه السلام) مع الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته أو أصحابه يورد الضمير الجمع (**إنَّا، ونحن**)؛ لما تحمله هذه الضمائر من قيمة تداولية تكمن في المشاركة فيذيب الإمام(عليه السلام) ذاته في ذات الجماعة.

٤. منح الالتفات أو العدول في العود على مرجع الضمير الخطاب العلوي غرضا تداوليا مهما بالتغاير بين صيغ الخطاب الأمر، الذي يسهم في إبقاء المخاطب على تواصل مع

الكلام الملقى؛ لأن من شأن الالتفات أن يكسر النمطية، التي يسير عليها الخطاب وينشط المخَاطَب فيكون له دور كبير في التأثير والإقناع.

٥. مثلت الضمائر بأنواعها وبما حملته من دلالات على التكلم والخطاب والغيبة والإشارة وسيلة من وسائل اللغة المستعملة؛ للكشف عن العلاقة القائمة بين المرسل للخطاب والمستقبل له ببيان الوضع النفسي لأطراف الخطاب في المقام التخاطبي، وكان الانتقال بين صيغها؛ لإجبار المتلقي على البقاء متصلا بالعملية التخاطبية؛ وشد انتباهه للخطاب كفيلا بإحداث تأثير ما فيه، وبحسب هذا تعدّ أبرز الإشاريات الشخصية .

٦. لقد كان للإشاريات الزمانية حضور كبير في جوابات الإمام(عليه السلام)، وقد فُتحت دلالتها في الغالب لتشمل أزمنة أخرى تُزاد على زمنها الأصلي ومن ثمَّ لا يكون تطابقا بين الزمنين الكوني والنحوي، وهي تأسيسا تحقق غرضا تداوليا يتمثل في السعي الى جعل المتلقي طرفا في عملية التخاطب فضلا عن ورود جملة من الأفعال، التي تحررت عن زمنها النحوي الموضوع لها، وهذا ما أرشد إليه السياق المقامي في جواباته(عليه السلام).

٧. كان للإشاريات المكانية الواردة في جوابات الإمام(عليه السلام) تنوع ملحوظ بين دلالتيها الحقيقية والمجازية إذ خرجت بعض تلك الإشاريات عن معناها الحقيقي الدال على المكان المحدود الى معانٍ مجازية يحددها سياق الموقف للخطاب والظروف المختلفة، التي قيل فيها زيادة على توظيف الإمام(عليه السلام) بعض أسماء الإشارة، نحو: **(هذا)**، وبعض الأسماء الموصولة، نحو: **(الذي)** للإشارة الى المكان ناهيك بالأفعال الواردة لتحديد المكان وجهته قربا وبعدا، نحو: **(أقبل، وأدبر)**.

٨. لم يقتصر الغرض الحجاجي في جوابات الإمام(عليه السلام) على مفهوم الإقناع فحسب بل تجاوزه الى مفاهيم أخرى تمثلت في التنبيه والتوجيه والنصح والإرشاد وكان كل ذلك مُؤدَّى بأساليب وعبارات وألفاظ استدلالية يتخللها عامل التأثير والتمكن من نفس المحاجَج وتشويقه لمعرفة ما يُضمر من الحجج.

٩. لم يكن الأسلوب الحجاجي عند الإمام(عليه السلام) في جواباته سائرا على وتيرة واحدة من حيث الموضوع بل تنوع بين الحجاجات الإنساني والاجتماعي والعقائدي والسياسي والتشريعي وما سواها؛ لاختلاف المحاجَجين وطبيعة ميولهم من محب أو مبغض أو معاند أو عدو أو غير مسلم فكان كل منهم يحتاج الى أسلوب حجاجي يتلاءم معه يختلف عن الآخر.

١٠. كان الإمام(عليه السلام) في حجاجه ساعيا الى تصحيح مسار جملة من الأمور التي تتجلى في التفكير الخاطئ بالذات الإلهية أو التهذيب الأخلاقي للسلوك الإنساني أو رد الأكاذيب

والترهات، التي أُثيرت حوله وإبطالها أو إحقاق الحق المسلوب المتمثل بالخلافة التي دافع عنها بأسلوبي الترغيب والترهيب أو في التقريع والتوبيخ للمهزوزين من الناس الى غير ذلك من الأمور الكثيرة الأخرة فكانت اللغة، التي وظفها(عليه السلام) في حجاجه مكتنزة في نفسها حملت أدلة وبراهين كانت كالنور الساطع في إشراقه.

١١. في الجوابات العلوية كان الإمام(عليه السلام) قد وظف أغلب تقنيات الحجاج المتمثلة في الأدوات اللغوية والآليات البلاغية، والآليات شبه المنطقية، التي تتجلى في السلم الحجاجي، التي تتنامى فيه الحجج صعودا فأتاح له(عليه السلام) ذلك تقديم حججه وبنائها بقوة وتمكن فقد لاقى(عليه السلام) الحجة بالحجة من أجل تحقيق الغرض من الخطاب، وهو التأثير في المتلقي لإقناعه في قبول ما يلقى عليه ومن ثَّم إفحامه بتلك الحجج.

١٢. كان للأسلوب البلاغي في خطاب الإمام(عليه السلام) الحجاجي حضور بيِّن ولاسيما البيان كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والبديع المتمثل في السجع، والجناس، والتكرار، والطباق، وغيرها؛ لما لهذه الفنون من قوة تأثيرية استثمرها الإمام(عليه السلام) مفجرا كل طاقاتها وجمالياتها إذ وظفها الإمام(عليه السلام) معولا على الجانب الحجاجي الإقناعي فيها؛ لأن الغرض منها هو التأثير والإقناع في المخاطَب؛ ليحرك كل طاقاته ويدعوه الى إعمال الذهن والمساهمة في تأويل الخطاب حتى يكون عاملا مساعدا في القبول والتسليم للحجج.

١٣. كان القرآن الكريم والحديث الشريف عاملين من العوامل الرئيسة، التي أسهمت في ترصين الخطاب الحجاجي لدى الإمام(عليه السلام) وتثبيته وتقويته إذ استعان بهما؛ ليجعل من حججه حقائق وثوابت لا تدع للمتلقي فسحة لردها أو التشكيك فيها فضلا عن توظيفه(عليه السلام) لشيء من الأشعار، والأمثال العربية في أثناء خطابه الحجاجي؛ ليتحلى بطابع التأثير والتمكن من نفس المخاطَب بتغيير معتقداته وأفكاره ومواقفة، التي جرى عليها.

١٤. في الأفعال الكلامية نلحظ غلبة الفعل الكلامي التوجيهي في جواباته(عليه السلام) وبحسبان المكانة، التي كان يتحلى بها الإمام(عليه السلام) في المجتمع إذ كان خليفة وقائدا وفقيها وعالما فضلا عن منزلته(عليه السلام) الخاصة، التي حظي بها بين أصحابه المقربين كل ذلك حتم عليه إصدار الأوامر وتوجيه المتلقين ودعوتهم الى القيام بأمور معينة والالتزام بها فكثرت بوجودها الأفعال الكلامية التوجيهية، التي توزعت بين الأمر، والنهي، والنداء زيادة على الألفاظ التي حملت بين طياتها معنى الأمر فكان الإمام(عليه السلام) في ذلك آمرا وموجها ومنبها ومرشدا وناصحا.

١٥. كشفت لنا الأفعال الكلامية التعبيرية عن قمة الألم والحرقة والاستياء وغير ذلك من الحالات النفسية والانفعالية، المختلفة، التي اعتلت الإمام(عليه السلام) كان يقاسيها نتيجة ابتلائه بقوم صم ذوي أسماع، وعمي ذوي أبصار لم يكونوا ليوافقونه على رأي البته بل كان ديدنهم المخالفة، والتقاعس، والخنوع فضلا عن اضطراب الأحداث واختلافها فعبر(عليه السلام) عن ذلك كله بأفعال اتسمت بطابع الصدق والإخلاص محققة الغرض الإنجازي من الكلام زيادة على الغرض التأثيري.

١٦. سجل الأسلوب غير المباشر، المتمثل في الخروج على مقتضى الظاهر حضورا قويا في الجوابات العلوية إذ وجدنا فيها خروج جملة كبيرة من الأفعال الكلامية على معانيها الظاهرة الى دلالات أخرى تكمن خلف المعنى الحقيقي جعلتها أفعالا كلامية غير مباشرة؛ وقد أراد الإمام(عليه السلام) من هذا الأسلوب أن يكون تأثيره أمكن في المتلقي إذ لا يدعوه أو يأمره أو ينهاه بطريقة مباشرة وإنما بتقنيات اختفت خلف الخطاب المباشر تجعل من المخاطَب متنبها أكثر لما يُقال ومتواصلا معه ومحققا فيه؛ ليصل الى المعنى المقصود فكان هذا الأسلوب مبنيا على مبدأ التأدب في مخاطبة الآخر والترفق به.

المصادر والمراجع

***القرآن الكريم.**

١. الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني، د. صابر الحباشة، ط١، الدار المتوسطة للنشر، تونس، ٢٠١٠م.

٢. الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي: أ.د نادية رمضان النجار، ط١ ، مؤسسة حورس للنشر والتوزيع ، الإسكندرية، ٢٠١٣م .

٣. الاتجاهات الحديثة في علم الاساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ط١، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، اعتنى به وعلق عليه: مصطفى شيخ مصطفى، ط١، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت- لبنان، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥. اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٦. أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع، حسن موسى الصفار، ط١، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٤٢٢هـ

٧. الاحتجاج، ابو منصور أحمد بن علي الطبرسي(ت –٢٦٠هـ) ، ط١، منشورات الشريف الرضي، شريعت، ١٣٨٠هـ.

٨. أدب الضيافة، جعفر البياتي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرفة، ط١، ردمك، ١٤١٨هـ.

٩. الاربعين في إمام الأئمة الطاهرين، محمد طاهر القمي الشيرازي(ت١٠٩٨هـ)، تح: السيد مهدي الرجائي، ط١، مطبعة الأمير، قم المقدسة، ١٤١٨هـ.

١٠. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١١. أساليب الإنشاء في النحو العربي، عبد السلام هارون، ط٥، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

١٢. أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين ، د. قيس إسماعيل الأوسي، بيت الحكمة للنشر والترجمة والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨م.

١٣. استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤م.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابو عمر يوسف بن عبد البر(ت٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، تح: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، قدم له: محمد عبد المنعم البري، وعادل أحمد عبد الموجود، وجمعة طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

١٦. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني، جدة، ١٩٩١م.

١٧. الإصابة في تمييز الصحابة، احمد بن علي ابو الحجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٨. أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية- تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتويع، تونس، ٢٠٠١م.

١٩. الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية، محمد عبد الواحد حجازي، ط١، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ٢٠٠٢م.

٢٠. الاعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي(ت١٨٧٣هـ)، دراسة وتحقيق محمد عمارة، سلسلة التراث ٢٦٣، مكتبة الأسرة، ٢٠١٠م.

٢١. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٢. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د.محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.

٢٣. آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، د. أحمد المتوكل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

٢٤. الأفق التداولي (نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية): د. إدريس مقبول، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، ٢٠١١م.

٢٥. أمالي الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي(ت٣٤٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٢، دار الجيل، بيروت- لبنان، ١٤٠٠٧هـ- ١٩٧٨م.

٢٦. الإمام علي سيرة وتاريخ، مركز الرسالة، سلسلة المعارف الإسلامية، ٢٣.

٢٧. الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي(ت٤١٤هـ)، صححه وضبطه وشرح غريبه: احمد أمين واحمد الزين، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر_القاهرة

٢٨. الأمثال في نهج البلاغة، محمد الغروي، ط١، انتشارات فيروز آبادي، قم، ١٤٠١هـ.

٢٩. الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد، جامعة منوبة، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ٢٠١١.

٣٠. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني(ت٧٣٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.

٣١. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي(ت١١١٠هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

٣٢. بديع القرآن، ابن أبي الأصبع المصري(ت٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف، ط١، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٧٧هـ– ١٩٥٧م.

٣٣. البرهان في علوم القرآن : الامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م .

٣٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ)، تح: محمد علي النجّار، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م.

٣٥. البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجه الى بني إسرائيل، د. قدور عمران، ط١، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أربد– الأردن، ٢٠١٢م.

٣٦. بلاغة الإقناع في المناظرة، د. عبد اللطيف عادل، ط١، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.

٣٧. بلاغة الحجاج وتقنيات التأثير، ربيعة العربي، مركز الدراسات والبحوث العلمانية في العالم العربي، ٢٠١٣.

٣٨. بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٢م.

٣٩. البلاغة العربية قراءة أخرى، محمد عبد المطلب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ١٩٩٧م.

٤٠. البلاغة العربية، أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

٤١. البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، دار غريب للباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٤٢. البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، أبو البركات بن الأنباري(ت٥٧٧هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه: رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

٤٣. بناء الأسلوب في شعر الحداثة التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٥م.

٤٤. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري، ط١، دار أمير كبير للنشر، طهران، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧هـ.

٤٥. البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت٢٢٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، ط٧، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٤٦. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، تح: عبد الكريم العزباوي، راجعه: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤٧. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تح: السيد أحمد صقر، ط٣، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٤٨. تبسيط التداولية من افعال اللغة الى بلاغة الخطاب السياسي، د.بهاء الدين محمد مزيد، ط١، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠م.

٤٩. التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت٧٤٣هـ)، تحقيق د .هادي عطية مطر الهلالي، ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥٠. تجديد المنهج في تقويم التراث، د.طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.

٥١. التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، ط١، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٥٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٨٨٤م.

٥٣. تحليل الخطاب، ج.ب. براون وج. يول، ترجمة وتعليق: د. محمد لطفي الزليطني، ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٥٤. تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٣م.

٥٥. التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، صالح إسماعيل عبد الحق، ط١، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت- لبنان تنوير، ١٩٩٣م.

٥٦. تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، حسام أحمد قاسم، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧م.

٥٧. التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م

٥٨. التداولية عند العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي): مسعود صحراوي، ط١ ، دار الطليعة ، بيروت، ٢٠٠٥م.

٥٩. التداولية في البحث اللغوي والنقدي، تحرير: بشرى البستاني، ط١، سلسلة دراسات محكمة في اللغة والأدب والنقد، مؤسسة الشباب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ٢٠١٢م.

٦٠. التداولية من أوستن الى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية – اللاذقية، ٢٠٠٧م.

٦١. التداولية والحجاج مداخل ونصوص ، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، دمشق– سوريا، ٢٠٠٨م.

٦٢. التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة: سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيباني، مراجعة: د. لطيف زيتوني، ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت– لبنان، ٢٠٠٣م.

٦٣. تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، ط٢، مركز النشر مكتب الإعلام الاسلامي، ١٤٠٨هـ.

٦٤. تفسير ابن عرفه، ابو عبد الله محمد بن عرفة(ت٨٠٣هـ)، تح: جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ٢٠٠٨م.

٦٥. تفسير البحر المحيط، ابو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

٦٦. التفسير الكبير(مفتاح الغيب)، الفخر الرازي(ت٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠١هـ– ١٩٨١م.

٦٧. تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي(ت١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم المشرفة، ١٣٧٢هـ.

٦٨. التلخيص في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٠٤م.

٦٩. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، أبو جعفر الطوسي(ت٤٦٠هـ)، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت– لبنان، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م.

٧٠. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن احمد الازهري (ت٣٧٠هـ) الجزء الحادي عشر ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ، مراجعة: علي محمد البجاوي، والجزء الرابع عشر، تح: يعقوب عبد النبي، مراجعة: محمد علي النجار، مطابع سجل العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٧١. التواصل والحجاج، عبد الرحمن طه، جامعة ابن زهر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط – المغرب ، ١٩٩٣ – ١٩٩٤م.

٧٢. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن المناوي(ت١٠٣١هـ)، تح: عبد الحميد صالح حمدان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ– ١٩٩٠م.

٧٣. جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه: محمد ابو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطاش، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م.

٧٤. جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، إشراف: صدقي محمد جميل، ط٢، مؤسسة الصادق عليه السلام للطباعة والنشر، طهران، ١٣٨٣هـ.

٧٥. الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي– ليبيا، ٢٠٠٨م.

٧٦. الحجاج في الشعر العربي ، بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ط٢، عالم الكتب الحديث، أربد– الأردن، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م.

٧٧. الحجاج في القرآن، عبد الله صولة، ط٢، دار الفارابي، بيروت– لبنان، ٢٠٠٧م.

٧٨. الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ابو بكر العزاوي، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١٠م.

٧٩. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل(بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، د. علي عبد العزيز الشبعان، تقديم: حمادي صمود، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٠م.

٨٠. خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني أبو عبد الله محمد بن محمد(ت٥٩٧هـ) ، تح: محمد بهجة الأثري ، وجليل سعيد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٦٤م.

٨١. خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨١م.

٨٢. الخطاب التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، د. قدور عمران، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.

٨٣. الخطاب القرآني (دراسة في البعد التداولي): د.مؤيد آل صوينت ، مكتبة الحضارات ، ط١ ، بيروت ٢٠١٠م .

٨٤. دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، ط٣، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ ١٩٨١م.

٨٥. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، د.سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٨٦. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله الخطيب الاسكافي(ت٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، ط١، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٨٧. دليل الناقد الأدبي (إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً): ميجان الرويلي ، وسعد البازعي ، ط٥ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧م

٨٨. ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ- ١٩٩٥م.

٨٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

٩٠. روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن احمد بن قدامة(ت٦٢٠هـ)، قدم له ووضح غوامضه وخرج شواهده: د. شعبان محمد اسماعيل، ط١، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

٩١. الزمن واللغة ، د. مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٦ م.

٩٢. سير اعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي(ت٧٤٨هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، ط٣، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٣. السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولو دال، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية، ٢٠٠٤م.

٩٤. شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (٧٦٩ هـ)، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ط ١ ، دار الميزان ، قم – ايران ، ١٤٢٧ هـ .

٩٥. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني(ت – ١٠٨١هـ)، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ط١، منشورات المكتبة الإسلامية، طهران.

٩٦. شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، جمال الدين ابن مالك(ت٦٧٢هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، وطارق فتحي السيد، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٩٧. شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاستراباذي (ت٦٨٦هـ)، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٩٨. شرح المائة كلمة للإمام علي ابن أبي طالب، شرح: العالم الرباني علي بن ميثم البحراني، مؤسسة العروة الوثقى، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

٩٩. شرح المفصل، موفق الدين بن يعيش النحوي(ت٦٤٣هـ)، تح: مشيخة الأزهر، طبع ونشر إدارة الطباعة المنيرية، مصر.

١٠٠. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد(ت٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

١٠١. شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي، ط١، دار الرسول الأكرم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٠٢. شرح نهج البلاغة، الشرح الكبير، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني(ت٦٧٩هـ) ، ط١، دار الثقلين، بيروت- لبنان ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٠٣. الصاحبي في فقه اللغة، احمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، علق عيه ووضع حواشيه: احمد حسن لبسج، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٠٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

١٠٥. صحيح ابن حبان، أبو حاتم بن حبان الخرساني(ت٣٥٤هـ)، تح: خليل بن مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة للباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٠٦. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي(ت٧٠٥هـ)، تح: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا- لبنان، ٢٠٠٢م.

١٠٧. عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

١٠٨. العقد الفريد، احمد بن عبد ربه الاندلسي(ت٣٢٨هـ)، تح: د.مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م.

١٠٩. العقل واللغة والمجتمع، جون سيرل، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

١١٠. علم الدلالة السمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الاردن، ٢٠٠١م.

١١١. علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١١٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني(ت٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار السلم للنشر والتوزيع والطباعة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

١١٣. عندما نتواصل نغير(مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل)، عبد السلام مشير، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٦م.

١١٤. عن الذاتية في اللغة ضمن تلوين الخطاب، فصول مختارة من اللسانيات والعلوم الدلالية والمعرفية والتداولية والحجاج، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ٢٠٠٧م.

١١٥. العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية ١٩٨٢ م .

١١٦. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

١١٧. الفهرست، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب إسحاق ابن النديم، تح: رضا محمد تجدّد المازندراني – طهران ١٣٥٠هـ- ١٩٧١م .

١١٨. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، طه عبد الرحمن، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١١٩. في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، علي محمود الصراف، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٢٠. في بلاغة الخطاب الإقناعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة البلاغة العربية، محمد العمري، ط٢، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٢م.

١٢١. في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، نواري سعودي أبو زيد، ط١، بيت الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

١٢٢. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، شرح: محمد جواد مغنية، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.

١٢٣. في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بوجادي، ط١، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر، ٢٠٠٩

١٢٤. القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، تح: مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

١٢٥. قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م.

١٢٦. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(بنية الخطاب من الجملة الى النص)، د.أحمد المتوكل، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب.

١٢٧. الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، جمال الدين ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ)، تح: د.صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة.

١٢٨. كتاب سيبويه، ابو بشر عمر بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

١٢٩. كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء الكتب العربية، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.

١٣٠. كتاب الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت٢٣٠هـ)، تح: علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

١٣١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١،مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

١٣٢. الكليات، أبو البقاء ايوب بن موسى الكفوي(ت١٠٩٤هـ)، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

١٣٣. لسان العرب، ابن منظور(ت٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

١٣٤. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م.

١٣٥. لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج: منشورات مختبر تحليل الخطاب، دار الامل، تيزي وزو،الجزائر.

١٣٦. لسانياًت النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا، ليندة قياس، تقديم: عبد الوهاب شعلان، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٣٧. اللغة العربية معناها ومبناها، د.تمام حسان، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.

١٣٨. لغة القرآن الكريم دراسة لسانية للمشتقات في الربع الاول، د.بلقاسم بلعرج، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة- تونس.

١٣٩. اللغة والحجاج ، أبو بكر العزاوي، ط١، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

١٤٠. اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز، ترجمة: د. عباس صادق الوهاب، مراجعة: د. يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإعلام، العراق- بغداد، ١٩٨٧م.

١٤١. اللُّمع، ابو نصر السراج الطوسي(ت٣٧٨هـ)، حققه وقدم له وخرج أحاديثه: د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

١٤٢. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، فاضل صالح السامرائي، ط٣، دار عمار للنشر، عمان، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٤٣. مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، ط٢، دار القصبة للنشر، تدمك، الجزائر، ٢٠٠٦م.

١٤٤. المبسوط في فقه الإمامية، أبو جعفر الطوسي، صححه وعلق عليه: محمد الباقر البهبودي، تقديم: مؤسسة الغري للمطبوعات، بيروت- لبنان، توزيع: دار الكتاب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١٤٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير(ت٦٣٧هـ)، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة- القاهرة.

١٤٦. مجمع الأمثال، لابي الفضل النيسابوري الميداني(ت٥١٨هـ)، حققه وفصله وضبط غرائبه وعلق عليه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

١٤٧. مجمع البيان، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(ت٥٤٨هـ) ، ط١، دار المرتضى، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧م.

١٤٨. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة – علي بن إسماعيل بن سيده(ت٤٥٨هـ) ، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٤٩. المحيط في اللغة: الصاحب اسماعيل بن عباد (ت٣٨٥هـ) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ط١، عالم الكتب ، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٥٠. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٠هـ)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩م.

١٥١. مداخلات لسانية(مناهج ونماذج)، بنعيسى أزابيط ، سلسلة دراسات وأبحاث رقم ٢٦، مطبعة مكناس، ٢٠٠٨م.

١٥٢. المدارس اللسانية المعاصرة، د.نعمان بوقرة ، مكتبة الآداب، الجزائر، ٢٠٠٣م .

١٥٣. مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلالي، ترجمة: محمد يحياتين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

١٥٤. مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي(ت١٤٠٥هـ)، تصحيح وتحقيق: نجل الحاج الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٩هـ.

١٥٥. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

١٥٦. مستدرك نهج البلاغة، الشيخ هادي كاشف الغطاء، تح: السيد ابو الحسن علي الموسوي، منشورات مؤسسة كاشف الغطاء العامة، العراق- النجف الأشرف، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥م.

١٥٧. مستدرك نهج البلاغة الموسوم بمصباح البلاغة، حسن الميرجهاني الطباطبائي، ١٣٨٨هـ.

١٥٨. المسترشد، في إمامة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب، محمد بن جرير الطبري، تح: الشيخ أحمد المحمودي، ط١، مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، سلمان الفارسي، قم، ١٤١٥هـ.

١٥٩. مسند الإمام علي، السيد حسن القبانجي، تح: طاهر السلامي، ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٦٠. المسند الجامع، تح: بشار عواد، واحمد عبد الرزاق، وايمن ابراهيم الزاملي، ومحمود محمد خليل، وأبو المعاطي محمد النوري، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

١٦١. مسند محمد بن قيس البجلي حول قضايا أمير المؤمنين وغيرها، دونها حققها وعلق عليها: بشير المحمدي المازندراني، ط١، منشورات المركز العالمي للدراسات الإسلامية، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

١٦٢. المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، ط١، مركز النشر الجامعي، منوبة- تومس، ٢٠٠٩م.

١٦٣. المشيرات المقامية في القرآن ، منى الجابري، ط١، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م.

١٦٤. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت٧٧٠هـ)، تح: عبد العظيم الشناوي، ط٢، دار المعارف، القاهر.

١٦٥. المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم انجليزي- عربي، د. محمد عناني، ط٣، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، ٢٠٠٣م.

١٦٦. المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة، ط١، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٩م.

١٦٧. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

١٦٨. معاني النحو، د.فاضل السامرائي، ط٣، شركة العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

١٦٩. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، محمد حسن الشريفي، ط١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٧٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د.أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧١. معجم المصطلحات اللغوية: رمزي منير البعلبكي، ط١ ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٠م.

١٧٢. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، القاهرة ١٣٦٦هـ.

١٧٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

١٧٤. المعجم الوظيفي لمقاييس الأدوات النحوية والصرفية، عبد القادر عبد الجليل، ط١ ، دار صفاء، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م.

١٧٥. المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، ط٢، دار المدار الإسلامي، ردمك- ليبيا، ٢٠٠٧م.

١٧٦. مغامرة المعنى من النحو الى التداولية، صابر الحباشة، ط١، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠١١م.

١٧٧. مفاهيم القرآن، العلامة جعفر السبحاني، ط١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.

١٧٨. مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي(ت٦٢٦هـ)، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١٧٩. المفردات في غريب القرآن، ابو القاسم الراغب الاصفهاني(ت٥٠٢هـ)، ضبط: هيثم طعيمي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

١٨٠. مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ٢٠٠٨م.

١٨١. المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة، د.سعيد علوش، ط١، مركز الإنماء القومي، الرباط- المغرب، ١٩٨٦م.

١٨٢. المقتضب، ابو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

١٨٣. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تصنيف: حسن زاده الآملي ، ضبط وتحقيق: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٨٤. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، تقي الدين ابو العباس احمد بن علي المقريزي(ت٨٤٥هـ) ، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٨٥. نحو اللغة العربية، محمد أسعد النادري، ط٢، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا– بيروت، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

١٨٦. النحو الوافي، عباس حسن، ط٣، دار المعارف، مصر.

١٨٧. نزهة القلوب في تفسير كتاب الله العزيز، أبو بكر السجستاني(ت٣٣٠هـ)، حقق نصوصه وعلق عليه: أ.د.يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٣٤هـ– ٢٠١٣م.

١٨٨. نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصا)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

١٨٩. النص الأدبي بين التلقي وإعادة الإنتاج، من أجل بيداغوجيا تفاعلية للقراءة والكتابة، ميلود حبيبي، ضمن كتاب نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الرباط.

١٩٠. النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م.

١٩١. النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠م.

١٩٢. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، ترجمة عبد القادر قينيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١م.

١٩٣. النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، فاطمة الطبال بركة، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

١٩٤. النظرية الشعرية (بناء لغة الشعر، اللغة العليا)، جون كوين، ترجمة وتقديم وتعليق: د. أحمد درويش، ط٤، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٩٥. نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة- تونس.

١٩٦. نقد الشعر، قدامة ابن جعفر، تحقيق وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٩٧. نقد المذاهب المعاصرة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م

١٩٨. النقد النصي وتحليل الخطاب، د. نبيل أيوب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

١٩٩. النكت والعيون، ابو الحسن الماوردي البصري(ت٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢٠٠. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين بن عمرو بن الحسين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق ودراسة د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٨٥م.

٢٠١. نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع: الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، ط١، منشورات الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م.

٢٠٢. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، تصحيح: عزيز آل طالب، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٨هـ.

٢٠٣. الهوامل والشوامل، أبو حيان التوحيدي ومسكويه، تقديم: د. صلاح رسلان، نشره: احمد أمين والسيد احمد الصقر، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢٠٤. الوظيفة بين الكلية والنمطية، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الامان للنشر والتوزيع، الرباط- المغرب، ٢٠٠٣م.

الرسائل والأطاريح

٢٠٥. الأحاديث القدسية من منظور اللسانيات التداولية، حورية رزقي، رسالة ماجستير كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠٠٥-٢٠٠٦.

٢٠٦. الأفعال الكلامية في القرآن الكريم(سورة البقرة) دراسة تداولية، د. محمد مدور، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر- باتنه، ٢٠١٣- ٢٠١٤م.

٢٠٧. تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، رحيمة شيتر، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، ٢٠٠٨- ٢٠٠٩م.

٢٠٨. خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي، حمدي منصور جودي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة محمد خيضر- بسكرة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

٢٠٩. الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد عبيد آل صوينت، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

البحوث والدوريات

٢١٠. الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د.رضوان الرقبي، مجلة عالم الفكر، ع٢، مج:٤٠، الكويت، ٢٠١١م.

٢١١. التداولية امتداد شرعي للسيميائية، سحالية عبد الحكيم، الملتقى الدولي الخامس"السيمياء والنص الأدبي" المركز الجامعي، الطارف.

٢١٢. التداولية البعد الثالث في سيموطيقيا مورس، عيد بلبع، مجلة فصول، ٦٦٤، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢١٣. التداولية دراسة في المجالات والفروع، علجية أيت بو جمعة، جامعة مولود معمري، تيزي– وزو.

٢١٤. التداولية في الخطاب العربي المعاصر ، مفهوم المناظرة الأسس والمساءلات مجلة اللغة والأدب ، قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية الآداب و اللغات ، جامعة الجزائر، ع١٧، جانفي ٢٠٠٠م.

٢١٥. التداولية محاولة لضبط الدرس اللساني تجريبياً: فالح حسن ، مجلة الأقلام ، الشؤون الثقافية العامة ، ع٥ ، بغداد ، ٢٠٠٨م.

٢١٦. التداولية (النشأة والمفهوم): مؤيد عبيد، مجلة الأقلام، الشؤون الثقافية العامة، ع٥، بغداد، ٢٠٠٨م.

٢١٧. التداولية والبلاغة العربية : باديس لهويمل ، بحث منشور في مجلة المخبر ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة – الجزائر ، ع ٧ ، ٢٠١١ م .

٢١٨. التعبير الإشاري في (الخصيبيّ) مقاربة تداولية، كاظم جاسم منصور العزاوي، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، مج ٢٤، ع١، ٢٠١٦م.

٢١٩. تقنيات الحجاج في نهج البلاغة، مؤيد آل صوينت، مجلة كلية الآداب جامعة المستنصرية.

٢٢٠. الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ٢٠٠١، ع١، مج٣٠.

٢٢١. الحجاج والشعر نحو تحليل حجاجي لنص شعري، أبو بكر العزاوي، مجلة دراسات أدبية سيميائية، ع٧، فاس المغرب، ١٩٩٢م.

٢٢٢. الحجاج اللغوي عند ديكرو وأنسكومبر، يعمرانن نعيمة، جامعة مولود معمري، تيزي وزر.

٢٢٣. دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم مقاربة تداولية ، حكيمة بوقرومة، مجلة الخطاب منشورات مختبر تحليل الخطاب، دار الامل للطباعة والنشر ع٣، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،ماي ٢٠٠٨م.

٢٢٤. الذاتية في اللغة، اميل بنفنيست، ترجمة: حميد سمير، وعمر حلي، مجلة نوافذ، ع٩، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٢٢٥. سلطة الفعل الكلامي من خلال رسائل الإمام (علي بن أبي طالب)، دراجي صافية، جامعة بجاية، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء والنص الأدبي).

٢٢٦. الضمائر أسلوب القرآن المعجز. أحمد محمد عبد المنعم عطية، (بحث منشور على شبكة الألوكة).

٢٢٧. العلامة والرمز في الفلسفة المعاصرة (التأسيس والتجديد): د.الزواوي بغورة ، مجلة عالم الفكر ، ع٣ ، م٣٥ ، الكويت ، ٢٠٠٧م.

٢٢٨. في التداولية (إشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب): د.عيد بلبع، مجلة الأقلام، الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ع٥، ٢٠٠٨م .

٢٢٩. اللسانيات ومراتب اللغة، د. عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام، ع٧ ، بغداد ، ١٩٨٦م.

٢٣٠. مجازات النداء وحقيقته وأغراضها في الخطاب القرآني، د. ظافر بن غرمان العمري، بحث منشور في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع٦، ذو الحجة ١٤٢٩ هـ .

٢٣١. المرجعية اللغوية في النظرية التداولية: د.عبد الحليم بن عيسى ، مجلة دراسات، ع١، الجزائر، ٢٠٠٨م.

٢٣٢. مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، عباس حشاني، مجلة المخبر، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر، ع٩، ٢٠١٣م.

٢٣٣. المعنى الحركي في بدائع الإمام علي (ع)، د. مشكور كاظم العوادي، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي الدولي الأول، كلية التربية الأساسية جامعة الكوفة، ٩-١٠ آيار، ٢٠٠٩م.

٢٣٤. نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة الأدب واللغة، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ع١٧، ٢٠٠٦م.

٢٣٥. نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية: صلاح الدين ملاوي، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر، ع٤، جانفي، ٢٠٠٩م.

٢٣٦. نظرية الحدث الكلامي من أوستن الى سيرل، العيد جلولي، مجلة الأثر العدد الخاص، أشغال المتلقي الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

٢٣٧. وظيفة الحجاج في نهج البلاغة (قراءة في الأنماط والدلالات)، د. هادي شندوخ حميد السعيدي، ود. حيدر برزان سكران العكيلي، مجلة كلية الآداب، جامعة ذي قار، ع ١٩.

بحوث ومواقع الأنترنت

٢٣٨. البراغماتية (المعنى في السياق)، جيفري ليش وجيني توماس، بحث منشور على شبكة الانترنت:www.pdffactory.com .

٢٣٩. التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر، رخرور أمحمد، بحث منشور على شبكة الأنترنت، الجزائر، www.mohamedrabeea.com/books/book1_272.docx

٢٤٠. محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بوخشة، محاضرات منشورة على شبكة الانترنت لطلاب السنة الثالثة ل م د، الجزائر، على الموقع: elearning.univ-jijel.dz/elearning/mod/resource/view.php?id=2556

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
University of Kufa/ Faculty of Arts
Department of the Arabic Language

Answers of Imam Ali (peace be upon him) in Nahjul-Balaghah and Mustadrak (A Pragmatic Study)

A Thesis
Submitted to the Council of the Faculty of Arts /University of Kufa
As a Partial Fulfillment of the Requirements for the PhD Degree in
Arabic Language & its Literature

By
Muhannad Bade'a Naji Al-Khafaji

Supervised by
Prof. Dr. Hasan Abdul-Majeed Al-Shaeer

2018A.D. ***1439A.H.***

Abstract:

The texts of the book of Nahj Al-Balaghah and Mustadrak are rich texts in research and study from different aspects. They have a moral process and endless epiphany, the immortal miracle of the Imam, and the first ideal creativity of Arabic after the Holy Quran. The great value of these texts, and the researcher to delve into the subject shows the face of the bright faces that illuminated the ways of the scholars, (Answers of Imam Ali (peace be upon him) in Nahjul-Balaghah and Mustadrak (A Pragmatic Study)); to find a blog of these valuable books which is the blog of the replies of the Imam peace be upon him.

At the present time, scholars are keen to study the modern linguistic methods and the theories of modern criticism, which are not limited to interpreting the texts in the traditional way, or standing on their initial indications. Rather, they seek to find the indications behind them, The text; Based on this, I have chosen my choice of pragmatics theory, which combines the tools of language and its different methods as well as the rhetoric in the study of text and then provide an integrated vision in research and study.

This study was determined in a series of responses in the approach of Al-Balaghah as well as the books that were acquired by it, which varied in a remarkable manner. This study is consistent with the meanings that have been presented and is consistent with the pictorial context. The approach study was examined in the light of the pragmatic approach.

The study was followed by a descriptive and analytical method. It was based on extrapolating the answers of Imam Ali (peace be upon him) from the book of Nahj al-Balaghah and what is required of it, with studying and analyzing it in the light of the pragmatics theory repreenting the Personal, the pronouns of the addressee, the absentee, and the method of heterogeneity, diversification and coloring among them, as well as the picture in which peace was mentioned temporal and spatial conditions in their true meaning sometimes and psychological metaphor at other times, as well as the acts used by the Imam peace be upon him Its grammatical time to other times defined by the context.

The second aspect of the verbal acts that have been shown in the study of the method of Imam peace be upon him to accomplish the direct and indirect acts that seek to address the other as well as the statement of the impact of those actions in that address, while the third side represents the

theory of pilgrims, through which the tools, mechanisms and methods Linguistic, rhetorical, logical and quasi-logical, which the Imam used in his answers to the argument of the recipient and the addressee to increase the listener gathered a large and rich blog for this research.

The sources and references that relied on it varied greatly according to the type of study which did not stand on the limits of a linguistic phenomenon in itself. It relied on linguistic and standard dictionaries, sources of language and eloquence of various types, and sources of contemporary linguistics, especially parliamentary books. It is indispensable to search for them, as well as a number of permutations, transcripts, and research.